أدب أهل القلوب

محمد واضح رشيد الحسني الندوي

الناشر
دار الرشيد
لكناؤ - الهند

www.abulhasanalinadwi.org

حقوق الطبع محفوظة
لدار الرشيد

الطبعة الثانية المزيدة المنقحة
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

يطلب من

المجمع الإسلامي العلمي
ص ب ١١٩ - ندوة العلماء - لكناؤ (الهند)
رقم الهاتف : ٠٥٢٢٢٧٤١٥٣٩
فاكس : ٠٥٢٢٢٧٤٠٨٠٦
E-mail:info @ airpindia.com

www.abulhasanalinadwi.org

محتوى الكتاب

١. الإمام الحسن البصري (٢١هـ - ١١٠هـ)

٢. الفضيل بن عياض (١٠٧هـ - ١٨٧هـ)

٣. بشر الحافي (١٥٠هـ - ٢٢٧هـ)

٤. الحارث المحاسبي (١٦٥هـ - ٢٤٣ هـ)

٥. الجنيد بن محمد البغداي (٢١٥هـ - ٢٩٧ هـ)

٦. الإمام أبو حامد الغزالي (٤٥٠ هـ - ٥٠٥ هـ)

٧. الشيخ عبد القادر الجيلاني (٤٧١هـ - ٥٦١ هـ)

٨. عبد الرحمن ابن الجوزي (٥١٠ هـ - ٥٩٧ هـ)

٩. جلال الدين الرومي (٦٠٤هـ - ٦٧٢ هـ)

١٠. الشيخ نظام الدين أولياء (٦٣٦ هـ - ٧٢٥ هـ)

١١. العلامة ابن تيمية (٦٦١هـ - ٧٢٨ هـ)

١٢. العلامة ابن قيم الجوزية (٦٩١هـ - ٧٥١ هـ)

١٣. الشيخ شرف الدين يحيى المنيري (٦٦١هـ - ٧٨٢ هـ)

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

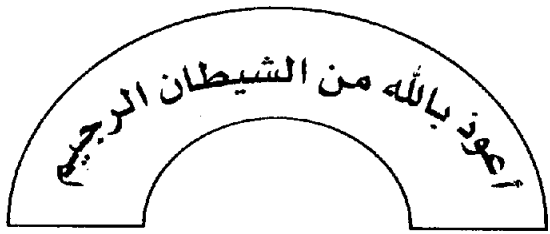

فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور

[الحج : ٤٦]

www.abulhasanalinadwi.org

من مشكاة النبوة

"ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب"

[رواه البخاري]

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهذه مجموعة بحوث ومقالات مما قدمت في الندوات الأدبية العالمية ونشرت في المجلات العربية الشهيرة، دبجها يراع فضيلة الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي رئيس الشؤون التعليمية لندوة العلماء بلكناؤ، وتناول فيها الحديث عن عظماء هذه الأمة من أهل القلوب المشرقة الذين كانوا امتداداً للرعيل الأول، وصورة صادقة للدين الحنيف، ونماذج رائعة لقوة البيان وجمال التعبير.

إن هؤلاء الرجال الذين كانوا يتمتعون بقلوب نيرة، حية نابضة، سليمة مؤمنة، مخلصة واعية، كانوا لا ينعزلون عن الحياة، ولا يعيشون في الكهوف وشعب الجبال، ولا يغضون عن حاجات المجتمع ومقتضيات العصر، وإنما كانوا يتصلون بالحياة الواقعية، ويطلعون على مكائد النفس ومزالقها، ويتصدون لما انتشر في مجتمعهم من الأمراض النفسية والأدواء الخلقية والمشاكل الاجتماعية وتتحرق قلوبهم على خسارة الروح وخسارة الضمير وخسارة الإيمان، وتتقطع ألماً على التقصير في العمل والغفلة عن الدين، والجهل بالشريعة.

فهذا الكتاب ينقل إلينا تلك الحرقة والابتهال، والقلق والاضطراب، والعاطفة والحماس، والأنين والآهات، التي فقدنا

www.abulhasanalinadwi.org

اليوم بسبب انغماسنا في الحياة المادية، وانسياقنا وراء الأهواء والملذات التي تضع الغطاء على الأعين فلا ترى، وتسدل الستار على القلوب، فلا تفقه.

فنحن اليوم في أشد حاجة إلى مثل هذا الكتاب، الذي يرشدنا إلى القلوب التي يشع منها النور، وتصدر منها كلمات لا تسمعها الآذان، ولكن تسمعها القلوب، القلوب التي تعرف بخضوعها للحق، وصمودها أمام الباطل، واستخفافها بالمظاهر الجوفاء، وأبهة الملوك والأمراء، وزينات قصور الأغنياء، والأثرياء.

وقد سبق أن تمّ جمع بعض أجزاء هذه المجموعة بين دفتي كتاب، وتولت نشره مكتبة أبي الحسن الندوي بدلهي، وتناولته الأيدي بإعجاب وتقدير، ونفدت نسخه في مدة قصيرة، وألح الأصدقاء على المؤلف بطبعة جديدة له، فتستجيب دار الرشيد لهذا النداء، وتحقق ذلك الرجاء بنشر هذه المجموعة التي هي بمثابة باقة زهور زكية وثروة أدبية رائعة بعد أن راجعها المؤلف الفاضل ونقحها، وقام بإضافات وزيادات في التراجم والأقوال والمواعظ، على أمل أن يكون ذلك أعم نفعاً وأكثر فائدة.

نسأل الله عزوجل أن يتقبل مجهودات المؤلف ومساعيه في مجال الدعوة والصحافة والأدب والفكر من خلال كتاباته ومحاضراته القيمة، ويجزيه على ذلك بأحسن ما يجزي به عباده الصالحين المخلصين، وما ذلك على الله بعزيز.

الناشر

١٤٢٨/٦/٢٦ هـ
٢٠٠٧/٧/١٢م

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد !

فإني أحمد الله تعالى أولاً على أن الطبعة الأولى لكتاب "أدب أهل القلوب" قد نالت قبولاً عاماً، وأدعوه أن يتقبل هذا العمل ويجعله حافزاً على التوجه إلى الله تعالى، والخشوع له، ويكون سبباً لغرس محبة الصالحين في القلوب، ودافعاً إلى الاقتداء بهم، وقد نفدت الطبعة الأولى التي كانت قد قامت بإصدارها مكتبة "أبو الحسن علي الندوي بدهلي" لصاحبها الشيخ حسن عسكري طارق نزيل المدينة المنورة، وكنت قد وعدت أني سأضيف تراجم الصالحين من أهل القلوب، وستصدر أجزاء جديدة، وقد رأيت أن أضيف هذه التراجم في مجلد واحد بدلاً من الأجزاء المتفرقة، وهذه هي التراجم الجديدة :

"الفضيل بن عياض" "الجنيد بن محمد البغدادي" "جلال الدين الرومي" "العلامة تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية" "العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية" "مخدوم الملك الشيخ شرف الدين يحيى المنيري" .

وقد زينت هذه الطبعة بتعليقات وتراجم أعلام بصورة موجزة بقلم الأخ العزيز محمد وثيق الندوي، فأشكره على هذه

www.abulhasanalinadwi.org

الإضافات المفيدة، كما أشكر ابني جعفر مسعود الندوي حفظه الله على الاعتناء بإصدار الطبعة الحديثة المزيدة المنقحة من "دار الرشيد" التي أنشئت حديثاً.

وأشكر بصفة خاصة أخي الكريم الكاتب الإسلامي الكبير فضيلة الدكتور سعيد الأعظمي الندوي مدير دار العلوم ندوة العلماء لكناؤ، و رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي" على كلمته القيمة المنيرة، وقد سبقني في هذا الباب بتأليف كتاب "ساعة مع العارفين" الذي صدرت له عدة طبعات، ونال القبول عند أهل القلوب، فجزاه الله خيراً.

وأسأل الله تعالى دوام التوفيق للجميع والبركة والأجر، والتقدم في العلم، والعمل الصالح، والاقتداء بالصالحين.

محمد واضح رشيد الحسني الندوي
ندوة العلماء - لكناؤ
١٤٢٨/٦/٢٦هـ
٢٠٠٧/٧/١٢م

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بقلم : الدكتور سعيد الأعظمي الندوي
مدير دار العلوم ندوة العلماء لكناؤ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد !

لقد كانت بعثة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، ذاك أن الله سبحانه اصطفاه، لحمل رسالته الأخيرة إلى الناس جميعاً، كما صرّح بذلك في كتابه العظيم، فقال عز من قائل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[1]، وخصه بمجموعة من الصفات العالية والتميزات السامية مما لم يحظ به أحد من الأنبياء والرسل الذين سبقوه في مجال الدعوة إلى الله، كل في محيطه وبيئته ومع قومه، وعلى التقيد بالزمان والمكان، ولكن المصطفى صلى الله عليه وسلم بعثه الله تعالى كآخر نبي إلى آخر أمة، مع آخر دين وكتاب، ليس بعده نبي ولا أمة، ولا دين، فقد أكمل الله تعالى الدين مستوعباً جميع احتياجات الإنسان بصورة دائمة، وجعله رسالة السماء إلى الأرض كاملة نامية، ودائمة باقية إلى يوم الدين،

---

[1] سورة الأنبياء : ١٠٧

www.abulhasanalinadwi.org

فكانت آية الكمال ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[1]، آخر آية نزلت في كتاب الله تعالى وبشرت بأن الإسلام هو الدين المرضي عند الله تعالى، وليس بعده دين ولا حضارة، ولا نظرية ولا فلسفة، فلما قرأها أحبار اليهود قضوا منها العجب، وجاء أحدهم إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لو أن مثل هذه الآية نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيداً.

ذلك هو الدين العظيم الذي أنجب بفضل تربية النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم رجالاً مثلوا كمال هذا الدين في حياتهم وأعمالهم وسلوكياتهم وأساليب عيشهم، فقد توفر النبي صلى الله عليه وسلم على تخريج ذلك الجيل المسلم المؤمن من خلال ما أكرمه الله تعالى به من ميزات أساسية تحدث عنها في أوائل سورة الجمعة فقال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾[2].

من هذه المدرسة النبوية (على صاحبها ألف ألف تحية وسلام) تخرج ذلك الجيل الذي تنزهت حياته، وتزكى قلبه، وعاش ما عاش مسلسلاً تاريخياً لأعلام هذه الأمة، تنتقل نفحاته الإيمانية وروعته البيانية جيلاً إلى جيل، ولم يعتم أن يضيء القلوب ويمهد الطريق نحو الاتصال بالله، وتقديم ضريبة الحب والطاعة له ولرسوله

---

[1] سورة المائدة: ٣

[2] سورة الجمعة: ٢

www.abulhasanalinadwi.org

صلى الله عليه وسلم، حتى لا يرضى بالعيش من غير هذه الربانية التي تمتزج بلحمه ودمه.

ومن ثم أصبح للربانيين وللأولياء من عباد الله آداب ومصطلحات يعتمدون عليها في بث أشواقهم ودعوة الناس إلى تذوق حلاوة الحب الخالص وطعم الإيمان، والإخلاص، لذلك فإن أدب أهل القلوب يختلف عن أدب أهل اللسان، أضف إلى ذلك ما يحمل أدبهم من تأثير وبلاغة، وروعة وجمال، ويسترعى انتباه كل من يقرؤه أو يطلع عليه، وذلك تأسياً بأدب النبي صلى الله عليه وسلم، وأسلوبه في خطاباته وخطبه، وتعامله مع الصحابة رضي الله عنهم، واختياره المناسبات المواتية للخطاب والكلام، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وإن هذا الكتاب القيم الذي ألفه سعادة الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي معتمد التعليم لندوة العلماء ورئيس تحرير صحيفة "الرائد" الصادرة من ندوة العلماء لكناؤ، إنما يحتوي على بيان أولئك الأعلام من أهل القلوب ممن أكرموا بموهبة أدبية وفكر خصيب، حتى إن تاريخ الإسلام الدعوي والتربوي اعتبر كل واحد منهم مدرسة أدبية بالذات، وأصبحت لهم مكانة متميزة بين أصحاب العلم والقلم من أدباء الإسلام في فجر التاريخ الإسلامي وبعده، وذلك كالإمام الحسن البصري، والإمام أبي حامد الغزالي، والشيخ عبد القادر الجيلاني، وعبد الرحمن الجوزي، والفضيل بن عياض، والجنيد بن محمد البغدادي، وجلال الدين الرومي، والإمام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية، ومخدوم الملك الشيخ شرف

www.abulhasanalinadwi.org

الدين يحيى المنيري، والشيخ نظام الدين أولياء من الهند، الذين أسدوا إلى المجتمع الإسلامي بمعروف لا ينساه التاريخ في أي فترة منه، فكم من عقول تنورت بهم، ونفوس تهذبت بفضل مجهوداتهم المخلصة، وكم من أناس اهتدوا إلى الطريق، وكم من معضلات وجدت طريقها نحو الحلول الصحيحة، بل الواقع أن هؤلاء الرجال إنما كانوا كمنارة نور وهداية في حلكة الظلام، وكسفينة نوح في بحر العصيان والطغيان، فكانوا مفخرة العالم الإنساني بلا تدافع، ومن عجائب التاريخ البشري بكل جدارة واعتراف، مثّلوا دوراً مشرّفاً خالداً في مجال الربانية والاتصال بالله تعالى، وإسعاد المجتمعات البشرية في العالم، والعودة بالإنسان إلى مصدر حياته ونشاطه من جديد..

بهذه الكلمة القصيرة أتقدم إلى سعادة المؤلف الكريم بالتهاني القلبية الخالصة على هذه الهدية الغالية التي أتحفها إلى الأمة الإسلامية، فما أحوجها إلى ذلك في جميع الأوضاع والظروف.

﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[1]

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

سعيد الأعظمي الندوي
مدير دار العلوم لندوة العلماء
و رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي
لكناؤ-الهند

١٤٢٨/٦/٢٧هـ
٢٠٠٧/٧/١٤م

[1] سورة التوبة : ١٠٥

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم : فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : فإن التاريخ الإسلامي الذي يمتد في زمنه إلى أكثر من أربعة عشر قرناً زاخر بالأحداث، والأحوال، والظروف، ولقد وصل إلينا من أخبارها شيء كثير، وإذا استعرضنا هذه الأحوال والأحداث التي زخرت بها كتب التاريخ والاجتماع والثقافة وجدناها تتسم أكثرها بالسمة السياسية، وتدور حول قصور الحكام، والتقلبات الحكومية، وكذلك الذي يجري في المحافل والمجالس الأدبية والثقافية، مما تتصل بأهواء النفوس، والمتعة الرخيصة، وإذا بحثنا عن النشاطات الفكرية، والأعمال العلمية الدينية في هذا التاريخ الزاخر الطويل وجدناها تدور حول الموضوعات الفلسفية، أو تحمل لوناً من الألوان الفكرية الوافدة من البلدان الغربية، فهذه الثروة العلمية والأدبية التي ورثناها من خلال الكتب المؤلفة في حقبة الحضارة العربية الإسلامية إنما جاءت إلينا من أصحاب الأقلام المحترفين بحرفة الكلام والبيان، وتحمل حب الاستزادة من متع الدنيا، والغفلة في أمر الآخرة.

www.abulhasanalinadwi.org

أما أهل الإخلاص لدين الله، وأصحاب التقوى وإصلاح الباطن، فكان أكثرهم مشتغلين بالعبادة، وتربية النفوس بالوسائل العملية، وهم الذين لم يروا حاجة إلى اختيار وسائل الإعلام لإظهار جهودهم وأعمالهم إلا قليلاً، ولذلك لم نجد أعمالهم وجهودهم التي كان لها الأثر الأكبر لبقاء الأمة الإسلامية على أسسها الدينية القويمة عبر القرون الماضية، إلا مغمورة ومبعثرة في كتب التراث التاريخي والفكري والأدبي، وذلك قليل من ذلك الكثير الحامل للموضوعات السياسية والثقافية والأدبية، وهذا القليل يحمل أهمية وقيمة كبيرة رغم قلة إظهاره وبيانه، لأنه هي القاعدة التي قامت عليها الأمة الإسلامية، وبقيت مصونة ومحفوظة عن الانحراف عن الجادة الأصيلة، و سيتجلى بالتنقيب عن هذا التراث المغمور القليل والبحث عنه رجال الأمة الإسلامية وطبيعتهم الدينية، وروح التقوى، والإخلاص لدين الله.

فإن الواجب علينا نحو ديننا وأصالتنا الإسلامية أن نبحث هذا القليل في غمار ذلك الكثير الذي نجده في بطون الكتب المؤلفة في الموضوعات التاريخية، والعلمية، ونقدمه إلى شبابنا وجيلنا الناهض، وعلى هذا الأساس نجد قيمة كبيرة للكتب التي اعتنى فيها مؤلفوها بإيراد المعاني الرفيعة، وأحوال أصحابها الدينية المحافظة، وهذه الكتب توجد في المكتبات الإسلامية، وهي مورد فياض ينهل منه الناهلون، ويستفيد منه المستفيدون، وعلى غرار ذلك نجد كتباً ألفت في بيان أحوال صلاح الباطن والتقوى والزهد في متاع الدنيا، ومن ذلك ظهر موضوع التصوف ونبغ فيه رجال أعلام.

www.abulhasanalinadwi.org

وقد يرى بعض الناس أن مثل هذا الاتجاه الذي هو تابع لموضوع التصوف والزهد في الدنيا يحمل روح التجرد من الانتفاع من نعم الله تعالى التي أنعم بها في حياة الدنيا، بل كانت الرهبانية التي ذكرها الله تعالى في سياق ذكر المسيحية القديمة فقد قال ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾ فكانت هي التي ظهرت في أحوال أصحاب التصوف، ﴿فما رعوها حق رعايتها﴾، ولكن الشخصيات الإسلامية التي عرضت في هذه المجموعة كانت على صلة بالشعب، وبمجريات الأمور، ولم تكن منعزلة عن الحياة، بل كانت موجهة للحياة إلى جهتها ومجراها السليم بسلوكها وأعمالها، وأقوالها، وكان لعدد منهم تأثير على الحكام، فتختلف اختلافاً بائناً عمن مارس الرهبانية، فلا رهبانية في الإسلام، وكان لها وقع على التاريخ.

وهذا الزهد في الدنيا الذي يختاره أهل الخشية من الله والرجاء إلى الآخرة ليس على طبيعة الرهبانية التي كانت المسيحية اختارتها في ماضيها الغابر، ولقد شرح ذلك سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله في كتابه "ربانية لا رهبانية" وقد ألف سماحته كتاباً ضخماً في مجلدات عديدة باسم" رجال الفكر والدعوة في الإسلام" تحدث فيها عن جهود أهل الدعوة والفكر الإسلامي ونصرة الحق، والتمسك بالأصالة الإسلامية، ذكر فيها حياة أولئك العظماء الذين سعوا سعياً بالغاً في صيانة الأصالة الإسلامية والتمسك بحياة إيثار الآخرة على العكوف على متاع الدنيا، والتركيز على الاقتداء بالقيم الدينية الإسلامية الأصيلة، واجتناب الجري وراء المتعة الهابطة.

www.abulhasanalinadwi.org

ومن دواعي السرور أن أخانا العزيز محمد واضح رشيد الحسني الندوي عميد "كلية اللغة العربية وآدابها في جامعة ندوة العلماء" لكناؤ، قد عكف على البحث عن النصوص التي تحمل زاداً قيماً من هذا التراث الإيماني الرقيق من بطون كتب التراجم والسير أمثال الإمام الحسن البصري، وبشر الحافي، والحارث المحاسبي، وأبي حامد الغزالي، والشيخ عبد القادر الجيلاني، وعبد الرحمن ابن الجوزي، والشيخ نظام الدين أولياء، فإننا نجد في كلام هؤلاء العلماء الربانيين ومواعظهم وتوجيهاتهم وأحوالهم قطعاً أدبية دافقة بالحياة، والقوة، والجمال، ونماذج رائعة خالدة للغة العربية الأصيلة، وإرشادات للتربية، وتعليمات في تزكية النفوس، ومراقبة الله في السر والعلن، والخوف من عاقبة الأمور بالثواب أوالعقاب في الآخرة، وإيضاحات لما تكنه القلوب، وتضمره النفوس من الرياء والكبر وهوى النفس، والاشتغال بما يسر الشيطان في سعيه لإمالة القلوب إلى الغفلة عن أمر الآخرة، والانجراف وراء ملذات الدنيا، لقد أثرت تربية هؤلاء الرجالات المخلصين المربين على الذين كانوا يحضرون مجالسهم، ويستمعون إلى مواعظهم الرقيقة المرققة، وكان لها تأثير عميق على النفوس والأذهان، وبذلك التأثير تتغير الأحوال والظروف.

وكان التفات الناس إلى كلام هؤلاء العلماء الأعلام وأئمة الدين العظام قليلاً لكثرة ما ألف في موضوعات أخرى من سياسية وثقافية وعلمية في مختلف الأزمان، وكان اشتغال القراء بخاصة في العهد الحديث بقراءة الموضوعات المتصلة بأهواء النفس، والمتسمة

www.abulhasanalinadwi.org

بالفكر المادي وهو يحول دون العناية بالبحث عن الموضوعات المزكية للنفوس والانتفاع بها، قد ألف أخونا هذا الكتاب، وأصبح بذلك باقة زهور للمقتبسات الكريمة الروحية التي هي أصدق تمثيلاً للغة العربية وأدبها العالي، ومثال رائع للكتابة الأدبية العالية يتدفق قوة وحياة وتأثيراً، وذلك الأدب الحي الخالد الجدير بالبقاء، فإنه اقتبسها من بطون كتب التاريخ والسيرة والتراجم والفكر الإسلامي، وجعلها هدية ثمينة لطالبي الأهداف الإيمانية. ويقدمها إلى الشباب الذين صاروا منبهرين أمام هجمات الإعلام الغربي الملهي والأدب الإباحي اللذين أصبحا مؤثرين على أذهانهم، ثم على اتجاهاتهم، وعلى سلوك حياتهم، وعلى تصوراتهم.

ونعد هذه المجموعة إضافة إلى ما ألف ويؤلف من كتب في الأدب الإسلامي، وكانت رابطة الأدب الإسلامي العالمية أجدر بأن تقوم بنشرها وتوزيعها، ولكن إحدى دور النشر مما لها صلة برابطة الأدب الإسلامي العالمية تكفلت نشرها وتوزيعها، فأهلاً بذلك وسهلاً.

وندعو الله تعالى له بالقبول والعمل به، ولله عاقبة الأمر.

محمد الرابع الحسني الندوي
ندوة العلماء - لكناؤ
١٤٢٦/٤/٣هـ
٢٠٠٥/٥/١٢م

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقال أحد الحكماء: الناس في الأدب على ثلاث طبقات:

أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم الفصاحة والبلاغة، وحفظ العلوم والمنظوم، أما أهل الدين فأكثر آدابهم في رياضة النفوس، وتأديب الجوارح، وحفظ الحدود، وترك الشهوات.

وأما أهل الخصوصية أي الصوفية، فأكثر آدابهم في طهارة القلوب، ومراعاة الأسرار، والوفاء بالعهود التي بين العبد وربه، وحفظ الوقت، وقلة الالتفات إلى الخواطر، وحسن الأدب في مواقف الطلب، وأوقات الحضور، ومقامات القرب[١].

يقسم العلامة ابن قيم الجوزية القلب على ثلاثة أقسام، فيقول:

"إن القلب ينقسم إلى ثلاثة أحوال: القلب الصحيح، القلب الميت، القلب المريض، أما القلب الصحيح فهو القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب**

[١] "رسالة المسترشدين" للحارث المحاسبي، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة

www.abulhasanalinadwi.org

سليم﴾[١]. فالقلب السليم هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل قد خلصت عبوديته لله: إرادة ومحبة، وتوكلاً، وإنابة، وإخباتاً، وخشية، ورجاء.

والقلب الميت: ضد هذا، وهو القلب الميت الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاذاته، ولو كان فيه سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه، رضي ربه أم سخط.

والقلب المريض: فهو قلب له حياة وبه علة، فله مادتان، تمده هذه مرة، وهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله والإيمان به، والإخلاص له، والتوكل عليه: ما هو مادة حياته.

وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها، والحسد والكبر والعجب، وحب العلو في الأرض بالرياسة: ما هو مادة هلاكه وعطبه.

فالقلب الأول حي مخبت لين واع، والثاني يابس ميت، والثالث مريض، فإما إلى السلامة أدنى، وإما إلى العطب أدنى"[٢].

وليس للقلب تأثير على الأفعال والأعمال والسلوكيات فحسب، بل يرى علماء الأدب أن له تأثيراً على الكلام، فيختلف الكلام الذي تصدر من القلب عن الكلام الذي لا تصدر من القلب.

قال عامر بن عبد القيس: الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الأذان، وقال

---

[١] – الشعراء: ٨٨-٨٩

[٢] – طب القلوب، للعلامة ابن القيم الجوزية، ص: ٣٤-٣٩ .

www.abulhasanalinadwi.org

الحسن رضي الله عنه، وقد سمع متكلماً واعظاً لم يؤثر وعظه في نفسه: يا هذا! إن لقلبك شراً أو لقلبي [١].

وقد حفظ التاريخ لنا ثروة غنية من كلام أهل القلوب من الصالحين، العاملين بالشريعة، الخاشعين لله، المحاسبين لأنفسهم، والزاهدين في حياتهم، وقصص تأثير مواعظهم على قساة القلوب، وعملها في صقل القلوب وجلاءها معروفة مسجلة في كتب التراجم التي أغفلها المعنيون بالأدب عامة، كان منهم الإمام أبو سعيد الحسن البصري، (١١٠هـ) الذي كانت له مواقف مع الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان من تأثير كلامه أن الشاعر الإسلامي الكبير الفرزدق كان يتوب من غوايته كلما زاره، ومرة ربط نفسه بأسطوانة، وعاهد أن يحفظ القرآن الكريم، وله قصائد في حكاية حاله، وتوبته، وتزخر كتب التراجم بمواعظ الإمام الحسن البصري رحمه الله، وقصص تأثيره في قساة القلوب من الحكام والأمراء.

ومن هؤلاء الصالحين الذين تزخر كتب التراجم بمواعظهم وحكايات تأثيرهم الفضيل بن عياض (١٨٧هـ)، وأبو محفوظ معروف ابن فيروز الكرخي (٢٠٠هـ)، وأبو الفيض ذو النون المصري (٢٤٥هـ) والحارث المحاسبي (٢٥٣هـ)، وأبو الحسن السري بن المغلس بن السقطي (٢٥٣هـ)، وأبو محمد سهل بن عبد الله التستري (٢٨٣هـ)، وأبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي (٢٩٧هـ)، وأحمد بن محمد بن سهل بن عطاء (٣٠٩هـ)، وأبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري صاحب "الرسالة" (٤٦٥هـ)، وحجة الإسلام أبو حامد محمد

[١] "البيان والتبيين" للجاحظ.

www.abulhasanalinadwi.org

الغزالي صاحب الإحياء (٥٠٥هـ)، والشيخ عبد القادر الجيلاني (٥٦١هـ)، وأبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، وغيرهم من الزهاد والصالحين، لهم كلام رصين، وحكم تحمل التأثير في النفوس رغم مرور قرون من صدورها أو تأليفها، فيها تعبير عن الأعمال النفسية، وأحوال القلوب وخطراتها وأخطارها وعلاجها، ما يؤثر على القلب والوجدان والشعور، ويغير مجرى الحياة.

وقد أنجبت الهند أيضاً في القرون المتأخرة نخبة من أهل القلوب النيرة كالشيخ فريد الدين مسعود الأيودهني (٦٦٤هـ)، والشيخ بهاء الدين زكريا بن محمد الملتاني (٦٦٦هـ)، والشيخ نصير الدين جراغ دهلي (٧٥٧هـ)، والشيخ نظام الدين البدايوني ٦٣٦-٧٢٥هـ)، والإمام الرباني الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي مجدد الألف الثاني (م١٠٣٤هـ)، وكان شيخه الشيخ باقي بالله (م١٠١٤هـ)، الذي وصل إلى الهند من "كابول"، من أقوى المشايخ في التأثير على القلوب، وقد روى المؤرخون أن الذي حضر مجلسه تغيرت حياته بوعظه، والإمام أحمد السرهندي الذي كان لرسائله تأثير عجيب، ولا تزال رسائله تحتفظ بذلك التأثير الذي يرقق القلوب، ويستميل النفوس، وهي من أقوى الرسائل تأثيراً، ولها قيمة أدبية، ولا تحمل الرسائل الأدبية المنقولة في كتب الأدب ذلك التأثير الذي تحمله رسائل الإمام السرهندي، فقد أحدثت هذه الرسائل انقلاباً في الحياة في ذلك العصر، ولا تزال تؤثر في نفوس القراء، كذلك تلاميذه الشيخ آدم البنوري (م ١٠٥٣هـ)، والشيخ محمد معصوم (١٠٠٧- ١٠٧٩هـ)، وأتباعهم من أهل القلوب إلى

www.abulhasanalinadwi.org

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ ولي الله الدهلوي (١١١٤-١١٧٦هـ) ، وأتباعه البررة، والشيخ المرزا مظهر جان جانان (١١١١ أو ١١١٣-١١٩٥هـ)، وللشيخ عبد العزيز الدهلوي(١١٥٩- ١٢٣٩هـ) دور في تهذيب الأسلوب الأدبي، وخاصة اللغة الأردية، وفي مواعظهم وخطبهم ورسائلهم وشعرهم تأثير قوي على القلوب.

أما الشيخ الإمام الحسن البصري (٢١-١١٠هـ) رحمه الله فقد اتفق الأدباء على عذوبة كلامه، وتأثيره في النفوس.

يقول أبو عمرو بن العلاء عن الإمام الحسن البصري: "وما رأيت أفصح من الحسن البصري، والحجاج بن يوسف، والحسن أفصح منه".

وقال الإمام أبو حامد الغزالي في إحياء العلوم: "كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأقرب هدياً من الصحابة رضي الله عنهم، اتفقت الكلمة على ذلك، فكان ذا شخصية قوية جذابة، حبيبة إلى النفوس، وكان الناس مأخوذين بسحرها، خاضعين لعظمتها، وقال ثابت بن قرة بن زهرون الحراني (م٢٢١-٢٨٨هـ): كان كالبحر اللجاج تدفقاً، وكالسراح الوهاج تألقاً، ولا تنسى مواقفه ومشاهده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عند الأمراء وأشباه الرجال، بالكلام الفصل واللفظ الجزل".

يقول في إحدى مواعظه: هيهات هيهات أهلك الناس الأماني، قول بلا عمل، ومعرفة بغير صبر، وإيمان بلا يقين، مالي

www.abulhasanalinadwi.org

أرى رجالاً، ولا أرى عقولاً، وأسمع حسيساً ولا أرى أنيساً دخل القوم والله ثم خرجوا، وعرفوا ثم أنكروا، وحرموا ثم استحلوا، إنما دين أحدهم لعقة على لسانه، وإذا سئل أ مؤمن أنت بيوم الحساب ؟ قال: نعم! كذب، ومالك يوم الدين، إن من أخلاق المؤمن قوة في دين، وإيماناً في يقين، وعلماً في حلم، وحلماً بعلم.

كان هذا التأثير الخلاب في كلام هؤلاء الصالحين للحب الغامر والعشق الذي كان يغمر قلوبهم، وتأثير ذكر الله، والإخلاص معه في السر والعلن، والعاطفة الجياشة التي كانت تنفخ الروح في كلامهم والعذوبة في لسانهم، فإن الحب يسخر القلوب، ويرقق النفوس، وقد قال الشيخ جلال الدين الرومي هو يكشف سر تأثير الصالحين :

"إن الحب يحول المر حُلواً، والتراب تبراً، والكدر صفاء، والألم شفاء، والسجن روضة، والسقم نعمة، والقهر رحمة، وهو الذي يلين الحديد، ويذيب الحجر، ويبعث الميت، وينفخ فيه الحياة، ويسود العبد".

ويقول: "إن هذا الحب هو الجناح الذي يطير به الإنسان المادي الثقيل في الأجواء، ويصل من السمك إلى السماك، ومن الثرى إلى الثريا، إذا سرى هذا الحب في الجبال الراسيات ترنحت ورقصت طرباً"[1].

كان هذا التأثير في كلامهم يرجع إلى صفاء قلوبهم، ومجاهدة النفوس، ومكابدة نزعاتها، وحفظ القلوب عن طوارق الغفلات،

[1] – رجال الفكر والدعوة للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي .

www.abulhasanalinadwi.org

وهواجس الخطرات، والزهادة عن كل ما يلهي عن ذكر الله، ويعلق بالقلوب سواه، والاعتناء الزائد بالطيب.

وإذا صدر الكلام من لسان مهذب النفس، مؤدب الذهن، صافي الخاطر، وسامي الفكر، مرتفع عن سفساف الدنيا، ورذائل النفس، وترافقه عاطفة صادقة، وانفعال نفسي، وتأثر قلبي كان للكلام تأثير على النفس، وقد روت كتب التاريخ غرائب من قصص التأثير لكلام الصالحين العاملين بما يقولون، فقد ذكر عن الإمام أحمد بن عرفان الشهيد (١٠-١٢-١٢٤٦هـ) أنه كان يتوب في مجالسه السراق، واللصوص، والقتلة، والفساق، والماجنون، وأنه عندما زار كلكته أغلقت الحانات، ودور السنيما.

كذلك كان تأثير كلام أتباعه المخلصين، وألف المؤلفون كتباً في جمع كلام هؤلاء الصالحين المربين، وتحمل هذه الكتب تأثيراً على نفوس القراء، وحتى بعد مرور مدة طويلة على عهد هؤلاء الصالحين.

وألف عدد من هؤلاء الزهاد والصالحين الذين عرفوا بالبلاغة والفصاحة، وحسن البيان، رسائل في التربية، والموعظة الحسنة، وعدت هذه الرسائل من رسائل التربية والتزكية، وشاعت في الأوساط الدينية، وكانت سبباً لتربية النفوس، ودعوتها إلى الخير، والصلاح والرشاد، منها كتب ضخمة ككتاب "عوارف المعارف" وإحياء العلوم" للإمام أبي حامد الغزالي، ومنها رسائل كـ"الرسالة القشيرية"، و "رسالة المسترشدين" للحارث المحاسبي.

يقول الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في مقدمة شرحه لرسالة

www.abulhasanalinadwi.org

المسترشدين: " أودعها الشيخ المحاسبي، غالي النصح، وأطيب الإرشاد، وأوفى الموعظة، وأجلى التنبيه والإيقاظ، وأخلص القول والبيان، والتوجيه في جمل مكنوزة بالعلم والمعاني، تفهم سريعاً، وتقرأ سريعاً، ولكن لا يستفيد منها قارئها تمام الفائدة، إلا إذا قرأها في أناة وتدبر تام جملة جملة كالذي يكرر الشيء ويتأنى به ليحفظه ويستظهره ويتدبره".

يقول العلامة عبد الرحمن ابن الجوزي رحمه الله وهو يبين تأثير كلام الصالحين وسيرهم:

" رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب، إلا أن يمزج بالرقائق، والنظر في سير الصالحين، لأنهم تناولوا مقصود النقل، وخرجوا عن صور الأفعال المأمور بها إلى ذوق معانيها والمراد بها".

ويقول:

"وقد جمعت لكل واحد من مشاهير الأخيار كتاباً فيه أخباره وآدابه، فجمعت كتاباً في أخبار الحسن، وكتاباً في أخبار سفيان الثوري، وإبراهيم بن أدهم، وبشر الحافي، وأحمد بن حنبل، ومعروف، وغيرهم من العلماء والزهاد، والله الموفق للمقصود"[1]

وألف العلماء كتباً في الطبقات، وتراجم وسير الصالحين، تعد موسوعات في الموضوع.

إن هذا الصنف من الكلام المؤثر لا يجد مكاناً عامة في كتب الأدب، ولا يشكل موضوعاً للنقد الأدبي رغم تأثيره في القلوب،

[1] – صيد الخاطر

www.abulhasanalinadwi.org

وتحليه بخصائص الكلام الجميل، وقد عقدت رابطة الأدب الإسلامي العالمية ندوة خاصة حول هذا الأدب في مدينة لكناؤ، وقدم هذا المقال في تلك الندوة، ثم نشر في صحيفة" الرائد" التي تصدرها مؤسسة الصحافة والنشر بندوة العلماء، وقد أبدى الأخ الكريم الفاضل الأستاذ حسن عسكري طارق نزيل المدينة المنورة وصاحب مكتبة أبي الحسن الندوي أن ينشره في كتاب مستقل، فقمت بإضافات وزيادات في التراجم، والأقوال، والمواعظ، وأسأل الله تعالى أن ينفع به، ويتقبل هذا العمل وإن كان بمثابة قطرة في بحر الموسوعات المدونة في الموضوع، وهي مفصلة، وليس في وسع كل شخص الرجوع إليها إلاّ من تصدى له.

وأخيراً أشكر العزيز محمد وثيق الندوي أستاذ دار العلوم ندوة العلماء على اهتمامه واعتنائه بمراجعة المراجع، ونقل المواد، وأسأل الله تعالى له التوفيق والسداد، وأن يهبنا جميعاً حب الصالحين، واتباعهم، والله هو الموفق، وبه يستعان.

محمد واضح رشيد الحسني الندوي
دار العلوم ندوة العلماء ، لكناؤ
٢٩/ ربيع الأول ١٤٢٦هـ

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

الإمام الحسن البصري[١]

٢١-١١٠هـ

ولد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري سنة ٢١هـ ، ويكنى أبا سعيد، وكان أبوه يسار مولى زيد بن ثابت الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب الوحي، ويسار من سبي ميسان، سكن المدينة، واعتق، وتزوج بها في خلافة عمر رضي الله عنه، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، ونشأ الحسن في بيت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، ولقي جماعة كثيرة من الصحابة وسمع منهم، قرأ القرآن على حطان بن عبد الله الرقاشي، وروي عن خلق من التابعين، ورأى عثمان، وطلحة، والكبار، ودعا له عمر رضي الله وقال: "اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس"[٢].

قال محمد بن سعد (١٦٨-٢٣٠هـ)[٣] في "الطبقات" كان

---

[١] - سيرأعلام النبلاء٤/٥٦٣، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/٦٩، شذرات الذهب١/١٣٦، النجوم الزاهرة :١/٢٦٧، تذكرة الحفاظ : ١/٦٦، طبقات الحفاظ للسيوطي: ص ٢٨، طبقات ابن سعد: ٧/١٥٦، أخبار القضاة:٢/٣، الحسن البصري لابن الجوزي، الحلية: ٢/١٣١، البداية والنهاية: ٩/٢٦٦، تاريخ الإسلام للذهبي: ٤/٩٨، رجال الفكر والدعوة في الإسلام للشيخ أبي الحسن الندوي الجزء الأول .

[٢] - أخبار القضاة :٢/٥

[٣] - انظر ترجمته في تاريخ بغداد: ٥/٣٢١، تهذيب التهذيب: ٩/١٨٣، الفهرست،

www.abulhasanalinadwi.org

الحسن رحمه الله جامعاً، عالماً، رفيعاً، فقيهاً، ثقة، حجة، مأموناً، عابداً، ناسكاً، كثير العلم، فصيحاً، جميلاً، وسيماً، وما أرسله فليس بحجة"[١].

وقال يونس بن عبيد[٢]: "أما أنا فإني لم أر أحداً، أقرب قولاً من فعل من الحسن".

وقال عوف: "ما رأيت رجلاً أعلم بطريق الجنة من الحسن".

وقال إبراهيم بن عيسى اليشكري: "ما رأيت أحداً أطول حزناً من الحسن، ما رأيته إلا وحسبته حديث عهد بمصيبة".

قال خالد بن صفوان:

" لقيت مسلمة بن عبد الملك وقال: يا خالد! أخبرني عن حسن أهل البصرة؟ قلت: أصلحك الله أخبرك عنه بعلم، أنا جاره إلى جنبه، وجليسه في مجلسه، وأعلم من قبلي به: أشبه الناس سريرة بعلانية، وأشبههم قولاً بفعل، إن قعد على أمر قام به، وإن قام على أمر قعد عليه، وإن أمر بأمر كان أعمل الناس به، وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له، رأيته مستغنياً عن الناس، ورأيت الناس محتاجين إليه، قال: حسبك، كيف يضل قوم هذا فيهم"[٣]

النجوم الزاهرة، تذكرة الحفاظ: ٤٢٥، شذرات الذهب: ٦٩/٢، الأعلام للزركلي: ١٣٦/٦، وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٥١/٤

[١] – طبقات ابن سعد ١٥٧/٧–١٥٨

[٢] – انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: ٢٨٨/٦، طبقات ابن سعد: ٢٦٠/٧، حلية الأولياء: ١٥/٣، الكامل في التاريخ: ٣١٩/٥.

[٣] – لحلية ١٤٧/٢، نقلاً عن سير أعلام النبلاء ٥٧٦/٤.

www.abulhasanalinadwi.org

وفي صفة الصفوة لابن الجوزي: قال حكيم بن جعفر: قال لي مسمع: لو رأيت الحسن لقلت قد بث عليه حزن الخلائق، من طول تلك الدمعة وكثرة ذلك النشيج، وقال محمد بن سعد قال يزيد ابن حوشب ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز كأن النار لم تخلق إلا لهما.

قال حجاج الأسود[١]: "تمنى رجل فقال: ليتني بزهد الحسن، وورع ابن سيرين، وعبادة عامر بن عبد قيس، وفقه سعيد بن المسيب، وذكر مطرِّف بن الشخير بشيء، قال: فنظروا في ذلك، فوجدوه كله كاملاً في الحسن".

وقال حماد بن سلمة (م١٦٧هـ)[٢]: "أنبأنا علي بن زيد: قال رأيت سعيد بن المسيب وعروة، والقاسم في آخرين، ما رأيت مثل الحسن".

وقال أبو قتادة: ما رأيت أحداً أشبه رأياً بعمر بن الخطاب منه، يعني الحسن.

وقال حماد بن زيد(٩٨-١٧٩هـ)[٣]: سمعت أيوب يقول:

---

[١] – هو بصري صدوق، كان من الصلحاء، وثقه ابن معين، مات سنة بضع وأربعين ومئة. وانظر ترجمته في طبقات ابن سعد: ٢٦٩/٧، ميزان الاعتدال: ٤٦٠/١، لسان الميزان: ١٧٥/٢، سير أعلام النبلاء: ٩٧/٧.

[٢] – انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: ٤٤٤/٧، معجم الأدباء: ٢٥٤/١٠، حلية الأولياء: ٢٤٩/٦، طبقات ابن سعد: ٢٨٢/٧، شذرات الذهب: ٢٦٢/١، ميزان الاعتدال: ٥٩٠/١.

[٣] – هو ابن درهم، العلامة الحافظ الثبت، محدث الوقت أبو إسماعيل الأزدي، مراجع ترجمته: سير أعلام النبلاء: ٤٥٦/٧، طبقات ابن سعد: ٢٨٧/٧، البداية والنهاية: ١٧٤/١٠، طبقات القراء لابن الجوزي: ٢٥٨/١، التاريخ الكبير: ٢٥/٣، حلية الأولياء: ٢٥٧/٦، عبر الذهبي: ٢٧٤/١، مشاهير علماء الأمصار: ١٥٧.

www.abulhasanalinadwi.org

كان الحسن يتكلم بكلام كأنه الدر، فتكلم قوم من بعده بكلام يخرج من أفواههم كأنه القئ".

كان واسع العلم غزير المادة في التفسير، والحديث، وكان مع ذلك غاية في الفصاحة، وحلاوة المنطق، والتأثير في مستمعيه، يقول أبوعمرو بن العلاء: "ما رأيت أفصح من الحسن البصري، والحجاج ابن يوسف الثقفي، والحسن أفصح منه".

وقد وصفه ثابت بن قرة (٢٢١-٢٨٨هـ)[١]، كما نقل عنه أبو حيان التوحيدي فقال:

"كان من دراري النجوم، علماً وتقوى، وزهداً وورعاً، وعفة ورقة، وفقها، ومعرفة، ويجمع مجلسه ضروباً من الناس، هذا يأخذ عنه الحديث، وهذا يلقف منه التأويل، وهذا يسمع منه الحلال والحرام، وهذا يحكي له الفتيا، وهذا يتعلم الحكم، والقضاء، وهذا يسمع منه الوعظ، وهو في جميع ذلك كالبحر اللجاج تدفقاً، وكالسراج الوهاج تألقاً، ولا تنسى مواقفه ومشاهده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عند الأمراء، وأشباه الأمراء بالكلام الفصل واللفظ الجزل".

ويقول: "كان صاحب عاطفة قوية، وروح ملتهبة، وكان من كبار المخلصين، وكان يجمع بين بلاغة اللسان، وقوة الإيمان، وكان يؤمن بما يقوله، ويعلم بما يعتقده، وكان الذي يقول يخرج من

---

[١] – كان من أعيان عصره في الفضائل، وله تآليف كثيرة في فنون من العلم، انظر ترجمته في وفيات الأعيان: ٣١٣/١، الفهرست: ٢٧٢، ابن أبي أصيبعة: ٢٠٤/١، أخبار الحكماء: ١١٥، البداية والنهاية: ٨٥/١١، عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٣٩٥، تحقيق د/نزار رضا.

www.abulhasanalinadwi.org

القلب، فيدخل في القلب، وكان إذا ذكر الصحابة أو وصف الآخرة، أدمع العيون، وحرك القلوب، لأنه يتذوق الإيمان، ويتكلم عن عاطفة ووجدان".

ويقول: انجذب إليه الناس انجذاب الحديد إلى المغناطيس، وذلك شأن أهل القلوب والإخلاص من كل زمان.

كلمة حق عند سلطان جائر:

كان الحسن البصري أحد الرجال القلائل الذين تصدوا لطغيان الحجاج بن يوسف الثقفي، وجهروا بين الناس بسوء أفعاله، وصدعوا بكلمة الحق في وجهه.

من ذلك أن الحجاج بنى لنفسه بناء في "واسط"، فلما فرغ منه نادى في الناس أن يخرجوا للفرجة عليه والدعاء له بالبركة.

فلم يشأ الحسن أن يفوِّت على نفسه فرصة اجتماع الناس هذه..

فخرج إليهم ليعظهم ويُذكرهم ويزُهدهم بعرض الدنيا، ويُرغِّبهم بما عند الله عز وجل..

ولما بلغ المكان، ونظر إلى جُموع الناس وهي تطوف بالقصر المنيف مأخوذة بروعة بنائه، مدهوشة بسعة أرجائه، مشدودة إلى براعة زخارفه... وقف فيهم خطيباً، وكان في جُملة ما قاله:

لقد نظرنا فيما ابتنى أخبث الأخبثين فوجدنا أن فرعون شيد أعظم مما شيد، وبنى أعلى مما بنى..

ثم أهلك الله فرعون وأتى على ما بنى، وشيد..

ليت الحجاج يعلم أن أهل السماء قد مقتوه، وأن أهل الأرض قد غرُّوه...

www.abulhasanalinadwi.org

ومضى يتدفق على هذا المنوال حتى أشفق عليه أحد السامعين من نقمة الحجاج فقال له :

حسبك يا أبا سعيد.. حسبك

فقال له الحسن :

لقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم لَيُبيِّنُنَّه للناس ولا يكتُمونه...

وفي اليوم التالي دخل الحجاج إلى مجلسه وهو يتميز من الغيظ وقال لجُلاَّسه : تباً لكم وسُحْقاً..

يقوم عبد من عبيد أهل البصرة ويقول فينا ما شاء أن يقول : ثم لا يجد فيكم من يرده أو يُنكر عليه!!

والله لأسقينكم من دمه يا معشر الجبناء...

ثم أمر بالسيف والنطع فأحضرا..

ودعا بالجلاد فمثل واقفاً بين يديه.

ثم وجه إلى الحسن بعض شرطه..

وأمرهم أن يأتوه به.

وما هو إلا قليل حتى جاء الحسن فشخصت نحوه الأبصار.

ووجفت عليه القلوب ...

فلما رأى الحسن السيف والنطع والجلاد حرَّك شفتيه.

ثم أقبل على الحجاج ، وعليه جلال المؤمن ، وعزة المسلم ، ووقار الداعية إلى الله.

فلما رآه الحجاج على حاله هذه هابه أشد الهيبة وقال له :

ها هنا يا أبا سعيد...ها هنا..

www.abulhasanalinadwi.org

ثم مازال يوسع له ويقول:

هنا هنا .. والناس ينظرون إليه في دهشة واستغراب حتى أجلسه على فراشه.

ولما أخذ الحسن مجلسه التفت إليه الحجاج، وجعل يسأله عن بعض أمور الدين، والحسن يُجيبه عن كل مسألة بجنان ثابت، وبيان ساحر، وعلم واسع.

فقال له الحجاج:

أنت سيد العلماء يا أبا سعيد.

ثم دعا بغالية وطيَّب له بها لحيته وودَّعه.

ولما خرج الحسن من عنده تبعه حاجب الحجاج وقال له:

يا أبا سعيد! لقد دعاك الحجاج لغير ما فعل بك، وإني رأيتك عند ما أقبلت، ورأيت السيف والنطع قد حركت شفتيك فماذا قلت؟

فقال الحسن:

لقد قلت: يا ولي نعمتي وملاذي عند كربتي اجعل نقمته برداً وسلاماً علي كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم.[1]

ويقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي: "مواعظه مثال جميل للنثر البليغ والأدب الرفيع، وموضوع دراسة الأديب والناقد"[2].

أقواله:

"هيهات هيهات! " أهلك الناس الأماني، قول بلا عمل،

---

[1] – صور من حياة التابعين للدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا: ٢/١٧-٢٢

[2] – رجال الفكر والدعوة في الإسلام، للشيخ أبي الحسن الندوي، المجلد الأول

www.abulhasanalinadwi.org

ومعرفة بغير صبر، إيمان بلا يقين، مالي أرى رجالاً ولا أرى عقولاً، وأسمع حسيساً ولا أرى أنيساً".

ويقول: "إن من أخلاق المؤمن قوة في دين، وإيماناً في يقين، وعلماً في حلم، وحلماً بعلم، وكيساً في رفق، وتجملاً في فاقة، وقصداً في غنى، وشفقة في نفقة، ورحمة لمجهود، وعطاء في الحقوق، وإنصافاً في الاستقامة، ولا يحيف على من يبغض، ولا يأثم في مساعدة من يحب، ولا يهمز، ولا يلمز، ولا يلغو، ولا يلهو، ولا يلعب، ولا يمشي بالنميمة، ولا يتبع ما ليس له، ولا يجحد الحق الذي عليه، ولا يتجاوز في العذر، ولا يشمت في الفجيعة، إن حلت بغيره، ولا يسر بالمعصية إذا نزلت بسواه.

المؤمن في الصلاة خاشع، وإلى الركوع مسارع، قوله شفاء، وصبره تقى، وسكوته فكرة، ونظره عبرة، يخالط العلماء ليعلم، ويسكت بينهم ليسلم، ويتكلم ليغنم، إن أحسن استبشر، وإن أساء استغفر، وإن عتب استعتب، وإن سفه عليه حلم، وإن ظلم صبر، وإن جير عليه عدل، ولا يتعوذ بغير الله، ولا يستعين إلا بالله، وقور في الملأ، شكور في الخلاء، قانع بالرزق، حامد على الرخاء، صابر على البلاء، إن جلس مع الغافلين كتب من الذاكرين، وإن جلس مع الذاكرين كتب من المستغفرين".

قال عمران القصير: "سألت الحسن عن شيء، فقلت: إن الفقهاء يقولون كذا، فقال: وهل رأيت فقيهاً بعينك، إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه".

www.abulhasanalinadwi.org

قال حزم بن أبي حزم (م٣٥٠هـ)[١] : "سمعت الحسن يقول : بئس الرفيقان، الدينار والدرهم، لا ينفعانك حتى يفارقاك".

[١] – هو مؤلف التاريخ الكبير في أسماء الرجال في عدة مجلدات، وكان أحد أئمة الحديث، له عناية تامة بالآثار، مراجع ترجمته: سير أعلام النبلاء: ١٦/١٠٤، تاريخ علماء الأندلس: ١/٤٣، معجم الأدباء:٣/٥٠، نفح الطيب:٣/١٧٠، جذوة المقتبس: ١٢٥.

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

الفضيل بن عياض[1]

١٠٧- ١٨٧ هـ

عصره:

إن من يقرأ تاريخ الأدب العربي يقف عند شعراء النقائض في العصر الأموي فيصادف العصبيات القبلية المتأججة، وهتك الأعراض، وذكر الخصومات، أو شعراء الغزل والنسيب، أما العصر العباسي الأول فهو أكثر حرية في الفكر، والحياة، فيصادف القارئ شعر بشار بن برد، وأبي نواس، وأبي العتاهية، وحماد عجرد، وصلة هارون الرشيد الوثيقة بالشاعرين، وتسامحه معهما، رغم استرسالهما في المجون ومخالفة القيم الإسلامية، وقد بلغ من دالة أبي نواس عليه أنه كان يمر به بنو هاشم والقواد والكتاب فيحيونه وهو متكئ ممدود الرجل، ولا يتحرك لأحد منهم، كذلك انتشار الزندقة في عهد الهادي والمهدي، ومحاكمة المارقين، والمنحرفين فيأخذ صورة سيئة للمجتمع الإسلامي، ولا يجد في كتب تاريخ الأدب العربي مكاناً لكلام الصادقين المصلحين من أهل القلوب النيرة الصافية الذين

---

[1] - وفيات الأعيان: ٤٧/٤، سير أعلام النبلاء: ٤٢١/٨، تذكرة الحفاظ: ٢٣٥، صفة الصفوة: ١٣٤/٢، حلية الأولياء: ٨٤/٨، النجوم الزاهرة: ١٢١/٢، طبقات الصوفية للسلمي: ١٤/٦، شذرات الذهب: ٣٦١/١، تاريخ ابن عساكر: ١٢٩/١٤، ميزان الاعتدال: ٣٦١/٣.

www.abulhasanalinadwi.org

كانت أقوالهم بفصاحتها وحسن بيانها وخروجها من القلب تؤثر في النفوس، حتى في نفوس الأمراء والخلفاء، ومن يراجع كتب التراجم يجد قصصاً مؤثرة لتأثير كلام هؤلاء الزهاد في نفوس القساة، والجبابرة من الحكام، وقصة هارون الرشيد مع الفضيل بن عياض أكبر شاهد على ذلك، يقول الدكتور أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام:

"يقابل حركةَ الزندقة والشك، حركةُ إيمان صادق من جانب آخر، اشتهر جماعة كثيرة في ذلك، كانوا المثل الأعلى في الإيمان أمثال عبد الله بن المبارك (م١٨١هـ) وسفيان الثوري (م١٦١هـ) وسفيان بن عيينة (م١٩٨هـ) وداود الطائي(م١٦٥هـ) والفضيل بن عياض (م١٨٧هـ) وغيرهم، فتبين فيهم ورعاً، وتقوى، وإيماناً صادقاً وهروباً من الاتصال بوال أو بأمير، ورفض أي منصب يعرضه عليه العباسيون"[١].

ويقول الدكتور شوقي ضيف في كتابه تاريخ الأدب العربي:

"كانت مساجد بغداد عامرة بالعباد والنساك، وأهل التقوى والصلاح، وكان في كل ركن منها حلقة لواعظ يذكر بالله واليوم الآخر، وكان من الوعاظ من يقتحم قصر الخلافة ليعظ الخلفاء، على نحو ما هو معروف عن عمرو بن عبيد(٨٠-١٤٤هـ)[٢] في وعظه للمنصور، وصالح بن عبد الجليل في وعظه للمهدي، وابن السماك

---

[١]- ضحى الإسلام: ١/١٥٩.

[٢]- انظر ترجمته في: وفيات الأعيان: ٣/٤٦٠، سير أعلام النبلاء: ٦/١٠٤، البداية والنهاية: ١٠/٧٣، تاريخ بغداد: ١٢/١٦٢، مروج الذهب: ٣/٣١٣.

www.abulhasanalinadwi.org

(م ١٨٣هـ) [١] في وعظه لهارون الرشيد"

وكانوا يحبون حياة زهد خالصة، وحياة إيمان خالص، واعتقاد صادق، ومنهم الفضيل بن عياض الذي يتسم كلامه بالعذوبة والحلاوة، والأصالة والسلاسة.

سفيان الثوري:

هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري الكوفي، وهو من نسل عدنان، كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم، وأجمع الناس على دينه وورعه، وزهده وثقته، وأحد الأئمة المجتهدين.

وتعارضت الروايات في تاريخ ولادته منها ٩٥هـ، وقيل: ولد سنة ٩٦هـ، وقيل: سنة ٩٧، وتوفي بالبصرة أول سنة إحدى وستين مائة.

وقال يونس بن عبيد: ما رأيت كوفياً أفضل من سفيان، قالوا إنك رأيت سعيد بن زبير، وفلاناً وفلاناً، قال ما رأيت كوفيا أفضل من سفيان.

وقال بشر بن الحارث: كان سفيان الثوري كأن العلم بين عينيه، يأخذ ما يريد ويدع ما يريد.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: ما رأيت رجلاً أحسن عقلاً

---

[١] – الزاهد القدوة، سيد الوعاظ أبو العباس محمد بن العجلي المعروف بابن السماك القاضي الكوفي الزاهد المشهور، انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: ٣٢٨/٨، وفيات الأعيان: ٣٠١/٤، صفة الصفوة: ١٠٥/٣، تاريخ بغداد: ٣٦٥/٥، الطبقات الكبرى للشعراني: ٥٢، الكواكب الدرية للمناوي: ١٦٨، شذرات الذهب: ٣٠٣/١، عبر الذهبي: ٢٨٧/١.

www.abulhasanalinadwi.org

من مالك بن أنس، ولا رأيت رجلاً أنصح لأمة محمد صلى الله عليه وسلم من عبد الله بن المبارك، ولا أعلم بالحديث من سفيان، ولا أقشف من شعبة.

وقال سفيان بن عيينة (١٠٧-١٩٨هـ)[١]: ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثوري.

وقال عبد الله بن المبارك: لا نعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان الثوري[٢].

عبد الله المبارك:

هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي مولى بني حنظلة كان قد جمع بين العلم والزهد، تفقه على سفيان الثوري، ومالك بن أنس رضي الله عنهما، وروى عنه الموطأ، وكان كثير الانقطاع، محباً للخلوة، شديد التورع.

ولد عبد الله بن المبارك بمرو، سنة ١١٨هـ، وتوفي سنة ١٨١هـ. حكى ابن خلكان أنه قدم هارون الرشيد الرقة، فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك، وتقطعت النعال، وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج الخشب، فلما رأت الناس قالت: ما هذا! قالوا: عالم خراسان قدم الرقة يقال له عبد الله بن المبارك، فقالت: هذا والله الملك، لا ملك هارون الذي لا يجمع

---

[١] – انظر ترجمته في: تاريخ بغداد: ١٧٤/٩، حلية الأولياء: ٢٧٠/٧، صفة الصفوة: ١٣٠/٢، وفيات الأعيان: ٣٩١/٢، طبقات ابن سعد: ٤٩٧/٥، تاريخ الطبري: ١٠/١، سير أعلام النبلاء: ٤٥٤/٨

[٢] – وفيات الأعيان لابن خلكان ج٢/، ومراجع ترجمته: حلية الأولياء: ٣٥٦/٦، تاريخ بغداد: ١٥١/٩، تذكرة الحفاظ: ٢٠٣، الفهرست: ٢٢٥، طبقات الشيرازي: ٢٣..

www.abulhasanalinadwi.org

الناس إلا بشرط وأعوان[1].

الفضيل بن عياض:

هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الأصل اليربوعي، ولد بأبيورد، وقيل سمرقند، ونشأ بأبيورد، وقدم الكوفة وسمع الحديث بها، ثم انتقل إلى مكة شرفها الله تعالى، وجاور بها إلى أن مات في المحرم سنة ١٨٧هـ.

كان في أول أمره شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وسمع يوماً وهو يرتقي الجدران تالياً يتلو **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾** فقال يا رب قد آن، فرجع وآواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة، يقول بعضهم نرتحل، فقال الآخر حتى نصبح فإن فضيلاً في الطريق يقطع علينا، فتاب الفضيل وأمنهم، وكان من كبار السادات.[2]

وارتحل في طلب العلم، فكتب بالكوفة عن منصور، والأعمش، وليث، وعطاء، وحميد الطويل. وبيان بن بشر، وحصين بن عبد الرحمن، وصفوان بن سليم، وعبد العزيز بن رفيع، وأبي إسحاق الشيباني، ويحي بن سعيد الأنصاري، وهشام ابن حسان، وابن أبي ليلى، ومجاهد، وأشعث بن سوار، وجفعر الصادق، وسواهم من الكوفيين والحجازيين.

حدث عنه ابن المبارك ويحيى القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وابن عيينة، والأصمعي، وقتيبة، وبشر الحافي، والسري بن

---

[1] – وفيات الأعيان: ٣/٣٢، تاريخ بغداد: ١٠/١٥٢، حلية الأولياء: ٨/١٦٢، عبر الذهبي: ١/٢٨٠، تذكرة الحفاظ: ٢٧٤.

[2] – وفيات الأعيان لابن خلكان: ٤/٤٧.

www.abulhasanalinadwi.org

مغلس السقطي، وخلق كثير، وروي عنه سفيان الثوري، أجل شيوخه.

وقال إسحاق بن إبراهيم الطبرى:

"كان الفضيل صحيح الحديث، صدوق اللسان، شديد الهيبة للحديث إذا حدث، فكان يثقل عليه الحديث جداً وربما قال لي: لو إنك طلبت مني الدنانير كان أيسر عليَّ مني أن تطلب مني الحديث".

قال سفيان بن عيينة: فضيل ثقة.

وقال العجلي: كوفي ثقة متعبد، رجل صالح، سكن مكة.

وقال محمد بن سعد: كان الفضيل ثقة نبيلاً، فاضلاً، عابداً، ورعاً، كثير الحديث.

وقال ابن المبارك: ما بقي على ظهر الأرض عندي أفضل من الفضيل بن عياض.

وقال: إن الفضيل بن عياض صدق الله فأجرى الحكمة على لسانه، فالفضيل ممن نفعه علمه.

وقال إبراهيم بن الأشعث: ما رأيت أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل، كان إذا ذكر الله، أو ذكر عنده، أو سمع القرآن، ظهر به من الخوف، والحزن، وفاضت عيناه، وبكى حتى يرحمه من يحضره، وكان دائم الحزن، شديد الفكرة، ما رأيت رجلاً يريد الله بعلمه وعمله، وأخذه وعطائه، ومنعه وبذله، وبغضه وحبه، وخصاله كلها غيره، كنا إذا خرجنا معه في جنازة لا يزال يعظ، ويذكر ويبكي، كأنه مودع أصحابه، ذاهب إلى الآخرة، حتى يبلغ المقابر فجلس مكانه بين الموتى من الحزن، والبكاء، حتى يقوم وكأنه

www.abulhasanalinadwi.org

رجع من الآخرة يخبر عنها .

وكان يعيش من صلة ابن المبارك ونحوه من أهلَ الخير، ويمتنع من جوائز الملوك .

قال بعضهم كنا جلوساً عند الفضيل بن عياض، فقلنا له كم سنك؟ فقال :

بلغت الثمانين أو جزتها فمـــاذا أومـل اذ انتظـر
علتني السنـون فأبلينني فدق العظام وكل البصر

قلت : هو من أقران سفيان بن عيينة في المولد، لكنه مات قبله بسنوات [١].

وفي البداية والنهاية : أحد أئمة العباد الزهاد، وأحد العلماء الأولياء، قدم الكوفة، وهو كبير فسمع بها الأعمش ومنصور بن المعتمر، وعطاء بن السائب، وحصين بن عبد الرحمن، وغيرهم، ثم انتقل إلى مكة .

كان حسن التلاوة، كثير الصلاة والصيام، وكان سيداً جليلاً، ثقة من أئمة الرواية، وله قصة مشهورة مع الرشيد .

قال له الرشيد يوماً : ما أزهدك، فقال : أنت أزهد مني، لأني أنا زهدت في الدنيا، التي هي أقل من جناح بعوضة، وأنت زهدت في الآخرة، التي لا قيمة لها، فأنا زاهد في الفاني، وأنت زاهد في الباقي، ومن زهد في درة أزهد ممن زهد في بعرة .

حكى الفضيل بن الربيع : قال : حج أمير المؤمنين - يعني هارون - فقال لي : ويحك، قد حك في نفسي شيء، فانظر لي رجلاً

[١]- سير أعلاء النبلاء، للذهبي : ٤٤٢/٨.

www.abulhasanalinadwi.org

أسأله .

فقلت : هاهنا سفيان بن عيينة .

فقال الرشيد : امض بنا إليه ، فأتيناه فقرعت بابه.

فقال سفيان : من ذا؟

فقلت : أجب أمير المؤمنين .

فخرج مسرعاً. فقال : يا أمير المؤمنين ، لو أرسلت إليّ أتيتك.

فقال الرشيد : خذ لما جئتك له .

فحدثه سفيان ساعة ، ثم قال له هارون : عليك دين .

قال نعم : فقال لي هارون اقض دينه .

فلما خرجنا قال هارون : ما أغنى عني صاحبك شيئاً.

قلت : ها هنا عبد الرزاق .

قال هارون : امض بنا إليه ، فأتيناه ، فقرعت الباب فخرج عبد الرزاق ، وحادثه ساعة ، ثم قال هارون : عليك دين؟

قال نعم ، فقال هارون : أبا عباس ، اقض دينه .

فلما خرجنا قال هارون : ما أغنى عني صاحبك شيئاً ، انظر لي رجلاً أسأله .

قلت : هاهنا الفضيل بن عياض .

قال هارون : امض بنا إليه ، فأتيناه ، فإذا هو قائم يصلي ، يتلو آية يرددها .

فقال هارون : اقرع الباب ، فقرعت

فقال الفضيل : من هذا؟

قلت : أجب أمير المؤمنين .

www.abulhasanalinadwi.org

قال الفضيل: مالي ولأمير المؤمنين؟

قلت: سبحان الله، أما عليك طاعة، فنزل الفضيل، ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة، فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية.

فدخلنا، فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف هارون قبلي إليه.

فقال: يا لها من كف ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله.

فقلت في نفسي: ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي.

فقال هارون له: خذ لما جئناك له، رحمك الله.

فقال الفضيل: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب، ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء، فأشيروا عليَّ، فعدَّ الخلافة بلاء، وعددتها أنت وأصحابك نعمة.

فقال سالم: إن أردت النجاة، فصم الدنيا وليكن إفطارك منها الموت.

وقال له ابن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله، فليكن كبير المسلمين عندك أباً، وأوسطهم أخاً، وأصغرهم ولداً، فوقر أباك، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك.

وقال له رجاء: إن أردت النجاة من عذاب الله، فأحب للمسلمين ما تُحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إذا شئت.

وإني أقول لك هذا، وإني أخاف عليك أشد الخوف يوماً، تزل فيه الأقدام، فهل معك رحمك الله من يشير عليك بمثل هذا.

www.abulhasanalinadwi.org

فبكى هارون بكاء شديداً حتى غشي عليه .

فقلت له : ارفق بأمير المؤمنين .

فقال الفضيل : يا ابن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك ، وأرفق به أنا ؟

ثم أفاق هارون ، فقال له : زدني رحمك الله .

قال الفضيل : بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكي إليه ، فكتب إليه ، يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد ، وإياك أن ينصرف بك من عند الله ، فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء ، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم عليه ، فقال : ما أقدمك؟ قال : خلعت قلبي بكتابك ، لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله .

فبكى هارون بكاء شديداً .

فقال الفضيل : يا أمير المؤمنين ، إن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم جاء إليه فقال : أمِّرني ، فقال له : "إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة ، فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل"

فبكى هارون ، وقال : زدني .

قال الفضيل : يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة ، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار ، فافعل ، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "من أصبح لهم غاشّاً لم يرح رائحة الجنة".

فبكى هارون وقال له : عليك دين ؟

www.abulhasanalinadwi.org

قال الفضيل: نعم، دين لربي، لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن ساءلني والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم ألهم حجتي.

قال هارون: إنما أعنى من دين العباد.

قال الفضيل: إن ربي لم يأمرني بهذا، أمرني أن أصدق وعده، وأطيع أمره، فقال عزوجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

فقال هارون: هذا ألف دينار خذها، فأنفقها على عيالك، تقو بها على عبادة ربك.

فقال الفضيل: سبحان الله، أنا أدلك على طريق النجاة، وأنت تكافئني بمثل هذا، سلمك الله، ووفقك، ثم صمت، فلم يكلمنا.

فخرجنا، فقال هارون: أبا عباس، إذا دللتني، فدلني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين.

فدخلت على الفضيل امراة من نسائه فقالت: قد ترى ما نحن فيه من الضيق، فلو قبلت هذا المال.

قال الفضيل: إنما مثلي ومثلكم كمثل قوم لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر، نحروه، فأكلوا لحمه.

فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسى أن يقبل المال.

فلما علم الفضيل، خرج فجلس في السطح على باب الغرفة. فجاء هارون، فجلس إلى جنبه، فجعل يكلمه فلا يجيبه،

---

[1] – الذاريات: ٥٦

www.abulhasanalinadwi.org

فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء، فقالت: يا هذا، قد آذيت الشيخ منذ الليلة، فانصرف فانصرفنا[1]

من كلام الفضيل :

قال في قوله تعالى﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ يعني أخلصه وأصوبه، أن العمل يجب أن يكون خالصاً لله، وصواباً على متابعة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال: رهبة العبد من الله على قدر علمه بالله، وزهده في الدنيا على قدر رغبته في الآخرة.

وقال: من خالط الناس لا ينجو من إحدى اثنتين: أما أن يخوض معهم إذا خاضوا في الباطل، أو يسكت أن رأى منكراً، أو يسمع من جليسه شيئاً فيأثم فيه.

وقال: رحم الله عبداً، أخمل ذكره، وبكى على خطيئته، قبل أن يرتهن بعمله.

وقال: كامل المروءة من برّ والديه، وأصلح ماله، وأنفق من ماله، وحسن خلقه، وأكرم إخوانه، ولزم بيته.

وقال: لا تستوحش طريق الهدى لقلة أهلها، ولا تغتر بكثرة الناس.

وقال: حزن الدنيا للدنيا يذهب بهمّ الآخرة، وفرح الدنيا للدنيا يذهب بحلاوة العبادة.

وقال: إذا أحب الله عبداً أكثر غمَّه، وإذا أبغض عبداً أوسع عليه دنياه.

---

[1] - سير أعلام النبلاء، ج: ٨/٤٢٨-٤٣١

www.abulhasanalinadwi.org

وقال: إن الدنيا بحذافيرها عرضت عليَّ، على أن لا أحاسب عليها لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه.

وقال: ترك العمل لأجل الناس هو الرياء، والعمل لأجل الناس هو الشرك.

وقال: لو أن لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في إمام فصلاح الإمام صلاح العباد.

وقال: لأن يلاطف الرجل أهل مجلسه ويحسن خلقه معهم خير له من قيام ليله وصيام نهاره.

وقال أبو علي الرازي: صحبت الفضيل ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكاً، ولا مبتسماً إلا يوم مات ابنه علي، فقلت له في ذلك، فقال إن الله أحب أمراً وأحببت ذلك الأمر، وكان ولده المذكور من كبار الصالحين.

وكان عبد الله بن المبارك يقول: إذا مات الفضيل ارتفع الحزن من الدنيا.

وقال الفضيل لأبي تراب: الدخول في الدنيا هين، ولكن الخروج منها شديد.

وقال: خصلتان تقسيان القلب، كثرة النوم وكثرة الأكل.

قال: أكذب الناس العائد في ذنبه، وأجهل الناس المدل بحسناته، وأعلم الناس بالله أخوفهم منه، لن يكمل عبد حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك عبد يؤثر شهوته على دينه.

قال الفضيل: عاملوا الله عزوجل بالصدق في السر، فإن

www.abulhasanalinadwi.org

الرفيع من رفعه الله، وإذا أحب الله عبداً أسكن محبته في قلوب العباد.

وقال: من خاف الله تعالى لم يخره شيء، ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد، وسأل عبد الله بن مالك، فقال: يا أبا علي ما الخلاص مما نحن فيه؟ فقال: أخبرني من أطاع الله عزوجل هل تضره معصية أحد؟ قال: لا، قال: فمن عصى الله سبحانه وتعالى هل تنفعه طاعة أحد؟ قال: لا، قال فهو الخلاص إن أردت الخلاص.

وقال الفضيل: الخوف أفضل من الرجاء ما دام الرجل صحيحاً، فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف.

قال الفضيل بن عياض: قيل يا ابن آدم اجعل الدنيا داراً تبلغك لأثقالك، واجعل نزولك فيها استراحة لا تحبسك كالهارب من عدوه، والمتسرع إلى أهله في طريق مخوف لا يجد مسالماً يقدم فيه من الراحة، متبدلاً في سفره ليستبقى صالح ما عنده لإقامته، فإن عجزت أن تكون كذلك في العمل فليكن ذلك هو الأمل، وإياك أن تكون لصاً من لصوص تلك الطريق **﴿ممن ينهون عنه وينأون عنه ما يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾** فإن العين مالم يكن بصرها من القلب فكأنما أبصرت سهواً، ولم تبصره وإن آية العمى إذا أردت أن تعرف بذلك نفسك أو غيرك، فإنها لا تقف عن الهلكة، ولا تمضيه في الرغبة، فذلك أعمى القلب، وإن كان بصير النظر، فإذا العاقل أخرج عقله فهو يدبر له أمره، ومن تدبر الكتاب تمضيه الرغبة، وترده الرهبة، فذلك البصير، وإن كان أعمى البصر.

قال الفضيل: ليست الدار دار إقامة، وإنما أهبط آدم إليها عقوبة، ألا ترى كيف يزويها عنه ويمرر عليه بالجوع مرة والعرى مرة

www.abulhasanalinadwi.org

وبالحاجة مرة، كما تصنع الوالدة الشفيقة بولدها، تسقيه مرة حضيضاً ومرة صبراً وإنما تريد بذلك ما هو خير له.

قال الفضيل: حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي له أن يلغو مع من يلغو، ولا أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، وينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى الخلق حاجة، لا إلى الخلفاء فمن دونهم، وينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه.

قال الفضيل بن عياض: ما من ليلة اختلط ظلامها وأرخى الليل سربال سترها إلا نادى الجليل جل جلاله: من أعظم مني جوداً، والخلائق لي عاصون، وأنا لهم مراقب، أكلؤهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوني، وأتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا، من بيني وبينهم أجود بالفضل على العاصي، وأتفضل على المسيء، من ذا الذي دعاني فلم أسمع إليه؟ أو من ذا الذي سألني فلم أعطه، أم من ذا الذي أناخ ببابي ونحيته، أنا الفضل ومني الفضل، أنا الجود ومني الجود، أنا الكريم ومني الكرم، ومن كرمي أن أغفر للعاصي بعد المعاصي، ومن كرمي أن أعطي التائب كأنه لم يعصني، فأين عني تهرب الخلائق، وأين عن بابي ينتحي العاصون.

قال الفضيل بن عياض: الغبطة من الإيمان، والحسد من النفاق، والمؤمن يغبط، ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط، والمؤمن يستر ويعظ وينصح، والفاجر يهتك ويعير ويفشي.

قال الفضيل بن عياض: إذا ظهرت الغيبة ارتفعت الأخوة في الله، إنما مثلكم في ذلك الزمان مثل شيء مطلي بالذهب والفضة، داخله خشب وخارجه حسن.

www.abulhasanalinadwi.org

قال الفضيل بن عياض: المؤمن يهمه الهرب بذنبه إلى الله، يصبح مغموماً ويمسي مغموماً.

قال الفضيل: حسناتك من عدوك أكثر منها من صديقك، قيل: وكيف يا أبا علي؟ قال: إن صديقك إذا ذكرت بين يديه قال: عافاه الله، وعدوك إذا ذكرت بين يديه يغتابك الليل والنهار، وإنما يدفع المسكين حسناته إليك، فلا ترض إذا ذكر بين يديك أن تقول: اللهم أهلكه لا بل أدع الله: اللهم أصلحه، اللهم راجع به، ويكون الله يعطيك أجر ما دعوت به، فإنه من قال لرجل اللهم أهلكه فقد أعطى الشيطان سؤاله، لأن الشيطان إنما يدور على هلاك الخلق.

قال الفضيل بن عياض: المؤمن قليل الكلام، كثير العمل، والمنافق كثير الكلام، قليل العمل، كلام المؤمن حكم، وصمته تفكر، ونظره عبرة، وعمله بر، وإذا كنت كذا لم تزل في عبادة.

قال الفضيل بن عياض: إن الله تعالى يقسم المحبة كما يقسم الرزق، وكل ذا من الله تعالى، وإياكم والحسد، فإنه ليس له دواء، من عامل الله عز وجل بالصدق أورثه الله عزوجل الحكمة.

www.abulhasanalinadwi.org

بشر الحافي[1]

١٥٠- ٢٢٧هـ

هو أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المعروف بـ" بشر الحافي"، كان من كبار الصالحين، وأعيان الأتقياء المتورعين، وأصله من "مرو"، وسكن "بغداد"، وإنما لقب بالحافي، لأنه جاء إلى إسكاف يطلب منه شسعاً لإحدى نعليه، وكان قد انقطع، فقال له الإسكاف: ما أكثر كلفتكم على الناس! فألقى النعل من يده و الأخرى من رجله، وحلف بأن لا يلبس نعلاً بعدها.

ويحكى أنه أتى باب المعافي بن عمران[2]، فدق عليه الحلقة، فقيل: من؟ فقال: بشر الحافي، فقالت بنت من داخل الدار: لو اشتريت نعلاً؟ بدانقين لذهب عنك اسم الحافي.

---

[1] - صفة الصفوة: ١٨٣/٢، حلية الأولياء: ٣٣٦/٨، وفيات الأعيان: ٢٧٤/١، سير أعلام النبلاء: ٤٦٩/١٠، طبقات الصوفية: ٣٩، تاريخ بغداد: ٦٧/٧، طبقات الأولياء: ١٠٩، شذرات الذهب: ٦٠/٢، النجوم الزاهرة: ٢٤٩/٢، تهذيب التهذيب: ٤٤٤/١، البداية والنهاية: ٢٩٧/١٠، مرآة الجنان: ٩٢/٩، شرح الرسالة القشيرية: ٩٨/١، طبقات الشعراني: ٨٤/١.

[2] - ولد سنة نيّف وعشرين مائة، ومات سنة خمسن وثمانين ومائة، وقيل: ١٨٤هـ، وقيل: ١٨٦هـ، مراجع ترجمته في تاريخ بغداد: ٢٢٦/١٣، طبقات ابن سعد: ٤٨٧/٧، سير أعلام النبلاء: ٨٠/٩، تذكرة الحفاظ: ٢٨٧/١، النجوم الزاهرة: ١١٧/٢، شذرات الذهب: ٣٠٨/١.

www.abulhasanalinadwi.org

وسبب توبته أنه أصاب في الطريق قرطاساً فيه اسم الله تعالى مكتوب، وقد وطئته الأقدام، فأخذه ونزل إلى النهر وغسله، وكان لا يملك من الدنيا إلا درهماً فيه خمسة دوانق، فاشترى بأربعة دوانيق مسكاً، وبدانق ماء ورد، فطيب القرطاس وجعله في حائط، فرأى في النوم، كأن قائلا يقول له: يا بشر! طيبت اسمي لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة، فلما تنبه من نومه تاب"[١].

ويقول ابن الجوزي:

"رحل بشر الحافي في طلب العلم إلى مكة، والكوفة، والبصرة، وسمع من وكيع، وعيسى بن يونس، وشريك بن عبد الله، وأبي معاوية، وأبي بكر بن عياش، وحفص بن غياث، وإسماعيل بن علية، وحماد بن زيد، ومالك بن أنس، وأبي يوسف القاضي، وابن المبارك، وهشيم، والمعافي بن عمران، والفضيل بن عياض، وأبي نعيم، غير أنه لم يتصد للرواية، فلم يضبط عنه من الحديث إلا اليسير"[٢].

وحدث عنه أحمد الدورقي، ومحمد بن يوسف الجوهري، ومحمد بن مثنى السمسار، وسري السقطي، وعمر بن موسى الجلاء، وإبراهيم بن هانئ النيسابوري، وخلق سواهم[٣].

ويقول ابن خلكان: كان لبشر ثلاث أخوات، وهن مضغة، ومخة، وزبدة، وكن زاهدات عابدات ورعات، وأكبرهن مضغة

---

[١] – وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٢٧٥، دارصادر بيروت، ١٩٧٨ تحقيق الدكتور إحسان عباس

[٢] – صفة الصفوة لابن الجوزي

[٣] – سير أعلام النبلاء

www.abulhasanalinadwi.org

ماتت قبل موت أخيها بشر، فحزن عليها بشر حزناً شديداً، وبكى بكاء كثيراً، فقيل له في ذلك فقال: قرأت في بعض الكتب أن العبد إذا قصر في خدمة ربه سلبه أنيسه، وهذه أختي مضغة كانت أنيستي في الدنيا.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: دخلت امرأة على أبي فقالت له: يا أبا عبد الله إني امرأة أغزل في الليل على ضوء السراج، وربما طفئ السراج فأغزل على ضوء القمر، هل علي أن أبين غزل السراج من غزل القمر، فقال لها أبي: إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبيني ذلك، فقالت له: يا عبد الله أنين المريض هل هو شكوى؟ فقال: إني أرجو أن لا يكون شكوى، ولكن هو اشتكاء إلى الله تعالى، ثم انصرفت.

قال عبد الله: فقال لي أبي: يا بني ما سمعت إنساناً قط يسأل عن مثل ما سألت هذه المرأة اتبعها، قال عبد الله: فتبعتها إلى أن دخلت دار بشر الحافي، فعرفت أنها أخت بشر، فأتيت أبي فقلت له: إن المرأة أخت بشر الحافي، فقال أبي: هذا والله هو الصحيح، محال أن تكون هذه المرأة إلا أخت بشر الحافي.

وقال عبد الله أيضاً: جاءت مخة أخت بشر الحافي إلى أبي فقالت: يا أبا عبد الله رأس مالي دانقان أشتري بهما قطناً فأغزله وأبيعه بنصف درهم، فأنفق دانقاً من الجمعة إلى الجمعة، وقد مر الطائف ليلة ومعه مشعل فاغتنمت ضوء المشعل، وغزلت طاقين في ضوئه، فعلمت أن لله تعالى فيّ مطالبة، فخلصني من هذا خلصك الله، فقال أبي: تخرجين الدانقين، ثم تبقين بلا رأس مال حتى

www.abulhasanalinadwi.org

يعوضك الله خيراً منه، قال عبد الله: فقلت لأبي: لو قلت لها حتى تخرج رأس مالها، فقال: يا بني سؤالها لا يحتمل التأويل، فمن هذه المرأة ؟فقلت: هي أخت بشر الحافي، فقال أبي: من ههنا أتيت [١].

قال إبراهيم الحربي(١٩٨-٢٨٥هـ) [٢]:

" ما أخرجت بغداد أتم عقلاً من بشر، ولا أحفظ للسانه، كان في كل شعرة منه عقل، وطئ الناس عقبه خمسين سنة ما عرف له غيبة لمسلم، ما رأيت أفضل منه".

ويقول:

" لو قسم عقل بشر على أهل بغداد صاروا عقلاء".

وقيل لأحمد: مات بشر قال: مات والله وماله نظير".

جاء رجل إلى بشر فقبله وجعل يقول يا سيدي أبا نصر، فلما ذهب قال بشر لأصحابه: رجل أحب رجلاً على خير توهمه، لعل المحب قد نجا، والمحبوب لا يدري ما حاله.

توفي في محرم سنة سبع وعشرين ومائتين (٢٢٧هـ).

أقواله:

"غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه وإخفاء مكانه عنهم".

"لقد شهرني ربي في الدنيا فليته لا يفضحني في القيامة، ما أقبح بمثلي يظن في ظن، وأنا على خلافه، إنما ينبغي لي أن أكون

---

[١] – وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٧٧/١

[٢] – هو شيخ الإسلام أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير البغدادي الحربي صاحب التصانيف، انظر ترجمته في تاريخ بغداد: ٣٨/٦، طبقات الحنابلة: ٨٦/١، معجم الأدباء: /١١٢، البداية والنهاية: ٧٩/١١، طبقات السبكي: ٢٥٦/٢، سير أعلام النبلاء: ٣٥٦/١٣

www.abulhasanalinadwi.org

أكثر ما يظن بي، أني أكره الموت وما يكره الموت إلا مريب، ولولا أني مريب لأي شيء اكره الموت".

قال رجل لبشر: مالي أراك مغموماً، قال: مالي لا أكون مغموماً، وأنا رجل مطلوب".

وقال:

"إن الجوع يصفي الفؤاد ويورث العلم الدقيق، طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره".

"حادثوا الآمال بقرب الآجال".

"عقوبة العالم في الدنيا أن يعمى بصر قلبه".

"من طلب الدنيا فليتهيأ للذل".

"أدوا زكاة الحديث، فاستعملوا من كل مائتي حديث خمسة أحاديث".

"لا ينبغي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من يصبر على الأذى".

"لو تفكر الناس في عظمة الله لما عصوا الله".

"عز المؤمن استغناؤه عن الناس، وشرفه قيامه بالليل".

"انظر خبزك من أين هو ولا تعرض للنار".

ويقول عن العلم وطلبه:

"إذا لم يعمل به فتركه أفضل، والعلم هو العمل، فإذا أطعت الله علمك، وإذا عصيته لم يعلمك".

"الصبر هو الصمت، والصمت من الصبر، ولا يكون المتكلم أورع من الصامت، إلا رجل عالم يتكلم في موضعه، ويسكت في

www.abulhasanalinadwi.org

موضعه".

"لا تعط شيئاً لمخافة ملامة الناس".

"اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك".

"إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم".

"من حرم المعرفة، لم يجد للطاعة حلاوة، ومن لا يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحوال، ومن زهد في الدنيا على حقيقة كانت مؤنته خفيفة، ومن وهب له الرضا فقد بلغ أفضل الدرجات، والمؤمن إذا عاش حزيناً ولم يرد القيمة، أفضل من الراضين عن الله".

وله أبيات، ومما ينسب إليه:

وليس من يروق لي دينه ... يغرني يا صاح تبريقه
من حقق الإيمان في قلبه ... يوشك أن يظهر تحقيقه

ويقول:

أقسم بالله لرضخ النوى ... وشرب ماء القلب المالحة
أعز للإنسان من حرصه ... ومن سؤال الأوجه الكالحة
فاستغن باليأس تكن ذا غنى ... مغتبطاً بالصفقة الرابحة
اليأس عز والتقى سؤدد ... ورغبة النفس لها فاضحة
من كانت الدنيا به برة ... فإنها يوما له ذابحة

ويقول:

خلت الديار فسدت غير مود ... ومن الشقاء تفردي بالسؤدد

ويقول:

قطع الليالي مع الأيام في حلق ... والنوم تحت رواق الهم والقلق

www.abulhasanalinadwi.org

أحرى وأعذر لي من أن يقال غداً إني التمست الغنى من كف مخلق
قالوا رضيت بذا قلت القنوع غنى ليس الغنى كثرة الأموال والورق
رضيت بالله في عسري وفي يسري فلست أسلك إلا واضح الطرق

نموذج من رسائله :

يقول علي بن خشرم(م ٢٥٧هـ)[1] : كتب إلي بشر بن الحارث أبو نصر :

" إلى أبي الحسن علي بن خشرم : السلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد! فإني أسأل الله أن يتم ما بنا وبكم من نعمة ، وأن يرزقنا وإياكم الشكر على إحسانه ، وأن يميتنا ويحيينا ، وإياكم على الإسلام ، وأن يسلم لنا ولكم خلفاً من تلف ، وعوضاً من كل رزية ، أوصيك بتقوى الله يا علي ، ولزوم أمره ، والتمسك بكتابه ، ثم اتباع آثار القوم الذين سبقونا بالإيمان ، وسهلوا لنا السبل فاجعلهم نصب عينيك ، وأكثر عرض حالاتهم عليك تأنس بهم في الخلاء ، ويغنوك عن مشاهدة الملأ ، فمثل حالهم كأنك تشاهدهم ، فمجالسة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أوفق من مجالسة الموتى ، ومن يرقب منك زلتك وسقطتك إن قدر عليها فإن لم يقدر عليها جعل جليساً أن رآه عندك عيبك فرماك بما لم يره الله منك ، واعلم علمك الله الخير ، وجعلك من أهله ، أن أكثر عمرك فيما أرى قد انقضى ، ومن يرضى حاله قد مضى ، وأنت لاحق بهم ، وأنت مطلوب ولا تعجز طالبك ، وأنت أسير في يديه ، وكل الخلق في

[1] – الإمام الحافظ الصدوق ابن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال ، ولد سنة ١٦٠هـ ، وهو ابن اخت بشر الحافي ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ٥٥٣/١١ ، تهذيب والتهذيب : ٣١٦/٧.

www.abulhasanalinadwi.org

كبريائه صغير، وكلهم إليه فقير، فلا يشغلنك كثرة من يحبك، وتضرع إليه تضرع ذليل إلى عزيز، وفقير إلى غني، وأسير لا يجد ملجأ ولا مفراً يفر إليه عنا، وخائف مما قدمت يداه، غير واثق على ما يقدم لا يقطع الرجاء، ولا يدع الدعاء، ولا يأمن من الفتن، والبلاء، فلعله إن رآك كذلك عطف عليك بفضله، وأمدك بمعونته، وبلغ بك ما تأمله من عفوه ورحمته، فافزع إليه في نوائبك، واستعنه على ما ضعفت عنه قوتك، فإنك إذا فعلت ذلك قربك بخضوعك له، ووجدته أسرع إليك من أبويك، وأقرب إليك من نفسك، وبالله التوفيق، وإياه أسأل خير المواهب لنا ولك.

واعلم يا علي أنه من ابتلي بالشهرة ومعرفة الناس فمصيبته جليلة، فجبرها الله لنا ولك بالخضوع والاستكانة والذل لعظمته، وكفانا وإياك فتنتها وشر عاقبتها، فإنه تولى ذلك من أوليائه ومن أراد توفيقه، وارجع إلى أقرب الأمرين بك، إلى إرضاء ربك، ولا ترجعن بقلبك إلى محمدة أهل زمانك ولا ذمهم، فإن من كان يتقي ذلك منه قد مات، وإنارة إحياء القلوب من صالح أهل زمانك، وإنما أنت في محل موتى ومقابر أحياء ماتوا عن الآخرة، ودرست عن طرقها آثارهم، هؤلاء أهل زمانك فتوار مما لا يستضاء فيها بنور الله، ولا يستعمل فيها كتابه إلا من عصم الله، ولا تبال من تركك منهم، ولا تأس على فقدهم، واعلم أن حظك في بعدهم أوفر من حظك في قربهم، وحسبك الله فاتخذه أنيساً ففيه الخلف منهم، فاحذر أهل زمانك، وما العيش مع من يظن به في زمانك الخير، ولامع من يسيء به الظن خير، وما ينبغي أن يكون طلعة أبغض إلى عاقل تهمه نفسه

www.abulhasanalinadwi.org

من طلعة إنسان في زمانك، لأنك منه على شرف فتنة إن جالسته، ولا تأمن البلاء إن جانبته، وللموت في العزلة خير من الحياة، وإن ظن رجل أن ينجو من الشر يأمن خوف فتنة فلا نجاة له إن أمكنتهم من نفسك آثموك، وإن جانبتهم أشركوك، فاختر لنفسك واكره لها ملابستهم، وأرى أن الفضل اليوم ما هو إلا في العزلة لأن السلامة فيها وكفى بالسلام فضلا، اجعل أذنك عما يؤثمك صماء، وعينك عنه عمياء، واحذر سوء الظن فقد حذرك الله تعالى ذلك، وذلك قوله تعالى ﴿**إن بعض الظن إثم**﴾. والسلام".

ويقول:

" لا ينبغي لأحد أن يذكر شيئاً من الحديث في موضع حاجة يكون له من حوائج الدنيا، يريد أن يتقرب به، ولا يذكر العلم في موضع ذكر الدنيا، وقد رأيت مشايخ طلبوا العلم للدنيا فافتضحوا، وآخرين طلبوه فوضعوه مواضعه، وعملوا به وقاموا به، فأولئك سلموا فنفعهم الله تعالى، وإذا أنت سمعت الشيء من معدن وأخذت به، ثم سمعت غيرك يقول بخلافه فلا تماره فإنك لا تنتفع بذلك، واعمل به لنفسك، وقد رأيت أقواماً سمعوا من العمل اليسير فعملوا به، وآخرين سمعوا الكثير فلم ينفعهم الله به، فكيف واعلموا أنه يمنع الرزق طلب هذا الحديث[1].

[1] – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

الحارث المحاسبي[١]

١٦٥- ٢٤٣هـ

هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري المولد، البغدادي المنزل والوفاة، أحد الزهاد المتكلمين في العبادة، والزهد والمواعظ، وعرف بالمحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه.

روى الحديث عن يزيد بن هارون(١١٨-٢٠٦هـ)[٢] وطبقته، وأخذ عن الإمام الشافعي(١٥٠-١٧٧هـ)[٣]، وروى عنه أبو العباس ابن المسروق، وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، والشيخ

---

[١] – رسالة المسترشدين للمحاسبي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، صفة الصفوة: ٢/٢٠٧، حلية الأولياء: ١٠/٧٣، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٢/٢٧٥، تهذيب التهذيب: ٢/١٣٤، تاريخ بغداد: ٨/٢١١، ميزان الاعتدال: ١/٤٣٠، وفيات الأعيان: ٢/٥٧، الأعلام للزركلي، طبقات الشعراني ١/٦٤، النجوم الزاهرة: ٢/١٠٣، شذرات الذهب: ١/١٠٣، الكواكب الدرية: ١/٢١٨، الرسالة القشيرية: ص ١٥/ مرآة الحنان: ٢/١٤٢.

[٢] – هو يزيد بن هارون بن زاذي السلمي، كان رأساً في العلم والعمل ثقة حجة، حافظاً متقناً، انظر ترجمته في تاريخ بغداد: ١٤/٣٣٧، سير أعلام النبلاء: ٩/ ٣٥٨، التاريخ الكبير: ٨/ ٣٦٨.

[٣] – هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس، ومصادر ترجمته كثيرة منها، البداية والنهاية: ١٠/٢٥١، طبقات السبكي: الجزء الأول، وفيات الأعيان: ٤/١٦٣، سير أعلام النبلاء: ١٠/٥، معجم الأدباء: ١٧/٢٨١، تاريخ بغداد: ٢/٥٦، حلية الأولياء: ٩/٦٣، طبقات الحنابلة: ١/٢٨٠، طبقات الفقهاء للشيرازي: ٤٨، تاريخ ابن عساكر: ٤/٣٩٥، مناقب الشافعي للرازي، صفة الصفوة: ٢/١٤٠.

www.abulhasanalinadwi.org

الإمام الجنيد، وله معه حكايات مشهورة، وخلق آخرون.

يقول الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في ترجمة المؤلف:

"كان رحمه الله ناسكاً عابداً، وصوفياً زاهداً، وفقيهاً وأصولياً، ومتكلماً، وواعظاً مبكياً، ومحدثاً راوياً، أوتي فصاحة لسان، وبراعة بيان، ونصاعة جنان، حتى إذا حدثك عن شيء ترغيباً أو ترهيباً جعلك كأنك تراه رأى العين، وتحس به إحساس المباشر له، ولا ينفصم عنك حديثه إلا وقد أقنعك بالحجة، وألبسك اليقين بما يقول، وما يقول إلا خيراً ونصحاً.

وله تصانيف كثيرة في الوعظ والإرشاد، كالرعاية والتوهم، وقد نقل منهما الإمام الغزالي في كتابه "الإحياء" كثيراً، وقال الشيخ تاج الدين السبكي في "طبقات الشافعية الكبرى" إنها تبلغ مأتي مصنف، وأغلبها في الزهد والسلوك والتصوف، وفي أصول الدين، والرد على المعتزلة، والرافضة، وكتبه خاصة في التصوف وتزكية النفس والروح تعد أصولاً لكل من صنف فيها بعده حتى الإمام أبي حامد الغزالي رحمه الله".

وقال الإمام المناوي في ترجمة المحاسبي في "الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية": قال التميمي: "هو إمام المسلمين في الفقه والتصوف والحديث والكلام"، وقال الإمام الغزالي رحمه الله:

"المحاسبي حبر الأمة في علم المعاملة، وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال، وأغوار العبادات، وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه".

وحكى الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري

www.abulhasanalinadwi.org

(م٤٦٥هـ) في ترجمة المحاسبي في "الرسالة القيشيرية" قال الأستاذ أبو عبد الله بن خفيف: اقتدوا بخمسة من شيوخنا، والباقون سلموا إليهم أحوالهم: الحارث بن أسد المحاسبي، والجنيد بن محمد، وأبو محمد رويم بن أحمد البغدادي المتوفى سنة ٣٠٣هـ[١]، وأبو العباس أحمد ابن محمد بن سهل بن عطاء المتوفى سنة ٥٣٩هـ،[٢] وعمرو بن عثمان المكي[٣]، لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق".

أقواله:

" لكل شيء جوهر، وجوهر الإنسان عقله، وجوهر العقل التوفيق، وفي لفظ آخر: وجوهر العقل الصبر"

"حسن الخلق احتمال الأذى، وقلة الغضب، وبسط الوجه، وطيب الكلام".

"كل زاهد زهده على قدر معرفته، ومعرفته على قدر عقله، وعقله على قدر قوة إيمانه".

"صفة العبودية، أن لا ترى لنفسك ملكاً، وتعلم أنك لا تملك لنفسك ضراً ولا نفعاً".

"من لم يشكر الله على النعمة فقد استدعى زوالها".

---

[١]- هو الإمام الفقيه المقرئ، الزاهد العابد، شيخ الصوفية، ومن الفقهاء الظاهرية، كان في أيام المأمون، مراجع ترجمته: حلية الأولياء: ٢٩٦/١٠، تاريخ بغداد: ٤٣٠/٨، الرسالة القشيرية: النجوم الزاهرة: ١٨٩/٣، سير أعلام النبلاء: ٢٣٤/١٤.

[٢] هو الزاهد العابد المتأله، كان له في كل يوم ختمة، انظر ترجمته في حلية الأولياء: ٣٠٢/١٠، صفة الصفوة: ٤٤٤/٢، البداية والنهاية: ١٤٤/١١، شذرات الذهب: ٢٥٧/٢، سير أعلام النبلاء: ٢٥٥/١٤.

[٣]- هو الإمام الرباني شيخ الصوفية أبو عبد الله عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص المكي الزاهد، مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء: ٥٥/١٤، حلية الأولياء: ٢٩١/١٠، تاريخ بغداد: ٢٢٣/١٢، صفة الصفوة: ٤٤٠/٢، ذكر أخبار أصبهان: ٣٣/٢.

www.abulhasanalinadwi.org

"الظالم نادم وإن مدحه الناس، والمظلوم سالم وإن ذمه الناس، والقانع غني وإن جاع، والحريص فقير وإن ملك".

مقتطفات من رسالة المسترشدين :

"اعلم أن فريضة كتاب الله العمل بحكمه من الأمر والنهي، والخوف من وعيده والرجاء لوعده، والإيمان بمتشابهه، والاعتبار بقصصه وأمثاله، فإذا أتيت بذلك، فقد خرجت من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن عذاب الشك إلى روح اليقين، قال الله جل ذكره **﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾**.

ويقول في الصبر ويشبهه :

" اعلم أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس ذهب الجسد كله، فإذا سمعت كلمة تغضبك في عرضك فاعف واصفح، فإن ذلك من عزم الأمور".

ويقول : "استعمل لله عقلك بترك التدبير، واستعن بالله على صرف المقادير، قال علي رضي الله عنه : يا ابن آدم لا تفرح بالغنى، ولا تقنط بالفقر، ولا تحزن بالبلاء، ولا تفرح بالرخاء، فإن الذهب يجرب بالنار، وإن العبد الصالح يجرب بالبلاء".

"اعف عمن ظلمك، وأعط من حرمك، وصل في الله من قطعك، وآثر في الله من أحبك، وابذل نفسك ومالك لإخوانك، وارع حقوق المولى في دينك، لا يعظم في عينك كبير من المعروف تفعله، ولا تحقرن صغيراً من المنكر تفعله".

"واحذر التزين بالعلم، كما تحذر العجب بالعمل، ولا تعتقدن باطناً من الأدب ينقصه عليك ظاهراً من العلم".

www.abulhasanalinadwi.org

"اجعل عمرك ثلاث ساعات، ساعة للعلم، ساعة للعمل، وساعة لحقوق نفسك، وما يلزمك، واعتبر بمن مضى، وتفكر في منصرف الفريقين بين يدي الله تعالى: فريق في الجنة برضاه، وفريق في السعير بسخطه، واعرف قرب الله منك، وأكرم الحفظة الكرام الكاتبين".

" اطلب الأدب في بساتين العلم، والأنس في مواطن الخلوة، والحياء في شعاب النفس، والاعتبار في أودية التفكر، والحكمة في رياض الخوف".

"واعرف دوام إحسان الله إليك مع مخالفتك لأمره، وحلمه عنك مع إعراضك عن ذكره، وستره عليك مع قلة حيائك منه، وغناه عنك مع فقرك إليه".

" أين عالم بربه؟ أين خائف من ذنبه؟ أين مسرور بقربه؟ أين مشغول بذكره؟ أين مشفق من بعده؟ هو ذا مغفور له يا مغرور، ألم يرك الجليل وقد هتكت الستور؟.

" اعلم انه كما لا يغني ضوء النهار الأعمى، كذلك لا يستضيء بنور العلم إلا أهل التقى، وكما أن الميت لا ينفعه الدواء، فكذلك لا يفيد الأدب في أهل الدعوى، وكما لا ينبُت الوابل على الصفا، كذلك لا تثمر الحكمة بقلب محب الدنيا".

" ومن ألف هواه قل أدبه، ومن خالف دلالة علمه كثر جهله، ومن لم ينفعه دواؤه كيف يداوي غيره".

"واعلم أن أروح الناس أبداناً، وأقلهم هماً أهل الزهد في الدنيا، وأتعب الناس قلوباً وأكثرهم شغلاً أهل الاهتمام بالدنيا،

www.abulhasanalinadwi.org

وأعون الأخلاق على الزهد قصر الأمل".

القلب وأهل القلوب :

ذكر الحارث المحاسبي أقوالاً كثيرة تبين أهمية القلب وصفاته، بدأها بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال: روي في معنى القلب أخبار كثيرة، منها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن من المؤمنين من يلين له قلبي"[١].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "للقلوب شهوة وإقبال، وفترة وإدبار، فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها، وذروها عند فترتها، وإدبارها، وقال ابن المبارك رحمه الله: "القلب مثل المرآة: إذا طال مكثها في اليد صدئت، وكالدابة: إذا غفل عنها صاحبها هزلت".

وقال بعض الحكماء: مثل القلب مثل بيت له ستة أبواب، ثم قيل لك: احذر ألاّ يدخل عليك من أحد الأبواب شيء، فيفسد عليك البيت، فالقلب هو البيت، و الأبواب: اللسان، والبصر، والسمع، والشم، واليدان، والرجلان، فمتى انفتح باب من هذه الأبواب بغير علم ضاع البيت".

ففرض اللسان الصدق في الرضا والغضب، وكف الأذى في السر والعلانية، وترك التزين للناس بالخير والشر.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له على الله الجنة".[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه لمعاذ بن جبل رضي الله:

---

[١] – مسند أحمد.

[٢] – البخاري.

www.abulhasanalinadwi.org

"وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم"[١].

وفرض البصر الغض عن المحارم، وترك التطلع فيما حجب وستر، قال حذيفة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "النظر سهم من سهام إبليس، فمن تركه من خوف الله آتاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه.

وفرض السمع تبع للكلام والنظر، فكل ما لا يحل لك الكلام فيه ولا النظر إليه لا يحل لك استماعه والتلذذ به.

وفرض الشم تبع للسمع والبصر، فكل ما حل لك استماعه ونظره جاز لك شمه، وقد روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه أتي بمسك، فأمسك على أنفه، فقيل له في ذلك فقال: وهل ينتفع منه إلا برائحته.

وفرض اليدين والرجلين أن لاتبسطهما إلى محظور ولا تقبضهما عن حق[٢].

---

[١] – الترمذي

[٢] – رسالة المسترشدين، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثامنة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ١٩٩٥م.

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

الجنيد بن محمد البغدادي[١]

٢١٥- ٢٩٧ هـ

وضع القرن الثالث:

عرض المؤرخون عامة ومؤرخو الأدب العربي العصر العباسي، وخاصة القرن الثالث كعهد حرية الفكر والانطلاق عن القيود، والقيم، وشغف الناس بالفلسفة واختلاط العناصر الأجنبية، وتغلغل الجواري والغلمان، وانتشار الثقافة الأجنبية، الفارسية، واليونانية، وكثرة مجالس الغناء، والطرب، يقول الدكتور شوقي ضيف:

"كانت قصور الخلافة في عصور كثير من الخلفاء كأنها مقاصف للشراب والسماع والغناء، وبالمثل كانت قصور الأمراء والوزراء وكبار أصحاب المناصب في الدولة وعلية القوم، وتورط فيها بعض القضاة عن طريق النبيذ المحلل، كما تورط كثير من علماء اللغة وغيرهم أمثال ابن دريد، كان يعكف عليها عكوفاً شديداً، وأوغل الشعراء فيها إيغالاً، ومن يتصفح كتاب الأغاني لأبي الفرج

---

[١] - وفيات الأعيان: ٣٧٣/١، سير أعلام النبلاء: ٦٦/١٤، تاريخ بغداد: ٢٤١/٧، طبقات الحنابلة: ١٢٧/١، صفة الصفوة: ٤١٦/٢، طبقات الشافعية للسبكي: ٢٦٠/٢، البداية والنهاية: ١١٣/١١، النجوم الزاهرة: ١٦٨/٣، شذرات الذهب: ٢٢٨/٢، حلية الأولياء: ٢٥٥/١٠، تاريخ ابن الأثير.

www.abulhasanalinadwi.org

الأصفهاني يحس أن بعض الناس أدمنوها إدماناً شديداً، وكانوا يعقدون لها المجالس في المساء، والليل، والصباح"[١].

يقول الدكتور أحمد أمين:

"وكانت هناك أيام سنوية يخرج فيها أهل سامراء وبغداد وغيرهما من مدن العراق، للهو، والقصف، والمجون، وهي الأعياد، أعياد الإسلام، وأعياد الفرس، وأعياد النصارى".

وقد أفرط الكتاب من الأدباء، والمؤرخين في وصف هذا العصر، بهذا المنظور العام، فيه الإباحية، والمجون، والزندقة، والإلحاد، والشعوبية، وفيه المجادلات الكلامية، والمباحث والمناقشات العقلية الفلسفية، وغلبة المعتزلة، ونفوذهم في الحكم الذي أدى إلى التورط في المسائل الفلسفية ومحنة أهل الحق، وصورت كتب الأدب العربي المجتمع العربي في هذا المنظور العام، كأنه سمة ذلك العصر، ولكن يغيب عن الأذهان أن هذه الصورة التي يقدمها الكتاب هي صورة طبقة خاصة من طبقات المجتمع، فإن المجون كان يشيع في الطبقة المترفة، والشعوبية في أبناء العجم، والزندقة في الطبقة التي كانت تعكف على الفلسفة، ولم يكن ذلك شائعاً كما يصوره الشعراء والأدباء الذين كانت صلتهم بالطبقات المترفة أكثر من صلتهم بالمجتمع العام، فقد كان المجتمع العام من نجوة من هذه التيارات والنزعات.

يقول الدكتور أحمد أمين:

"وكما صورت حياة اللهو والمجون في كتاب الأغاني،

---

[١]- تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني للدكتور شوقي ضيف.

www.abulhasanalinadwi.org

ودواوين الشعراء، صورت حياة الإيمان في تراجم العلماء أمثال طبقات ابن سعد، وطبقات المحدثين، فإذا أنت قرأت الأغاني ظننت أن الحياة كلها لهو، ومجون، وإباحة، وإذا قرأت طبقات المحدثين والمتصوفة خلت أن الحياة كلها دين، وورع، وتقوى، وتنصف إن أنت اعتقدت أن الحياة كانت ذات صنوف وألوان، وأن المدنية العباسية كانت ككل المدنيات، مسجد وحانة، وقارئ وزامر، ومتهجد يرتقب الفجر، ومصطبح في الحدائق، وساهر في تهجد، وساهر في طرب، وتخمة من غنى، ومسكنة من إملاق، وشك في دين، وإيمان في يقين، كل هذا كان في العصر العباسي، وكل هذا كان كثيراً"[1]

لقد كان في هذا المجتمع وعاظ يذكرون الناس بالله واليوم الآخر، ونساك ووعاظ وزهاد في متاع الحياة الدنيا، يعيشون معيشة كلها شظف وتقشف وتبتل وعبادة، كان منهم إبراهيم بن أدهم المتوفى سنة ١٦١هـ، وشفيق البلخي المتوفى سنة ١٩٤هـ، ومعروف الكرخي المتوفى سنة ٢٠٠هـ، والحارث المحاسبي المتوفى سنة ٢٣٤ هـ، وذو النون المصري المتوفى سنة ٢٤٥هـ، وكان السري السقطي[2] المتوفى سنة ٢٥١هـ شيخ متصوفة بغداد، وإمامهم في وقته وكان تاجراً فهجر التجارة ولزم بيته، وانقطع للعبادة، ويقال انه أول من

---

[1]- ضحى الإسلام، ١/١٦٠

[2]- انظر تراجم هؤلاء العلماء الربانيين والعباد الزهاد في: طبقات الصوفية للسلمي، وسير أعلام النبلاء، وصفة الصفوة، وحلية الأولياء، وتاريخ بغداد، الرسالة القشيرية، وفيات الأعيان، وتاريخ ابن عساكر، طبقات الأولياء، شذرات الذهب، النجوم الزاهرة.

www.abulhasanalinadwi.org

تكلم ببغداد في لسان التوحيد، وحقائق الأحوال، وقد سئل عن المتصوف من هو فقال هو اسم لثلاثة معان، هو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن عن علم ينقصه عليه ظاهر الكتاب ولا تحمله الكرامات من الله عليه على هتك أستار محارم الله، ومن هؤلاء الزهاد والدعاة إلى الله في القرن الثالث كان الجنيد البغدادي.

الجنيد البغدادي:

هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري، أصله من "نهاوند"، ومولده ومنشؤه العراق، وكان شيخ وقته وفريد عصره، وكلامه مشهور ومدون.

وسمع الحديث من الحسين بن عرفة، وتفقه بأبي إبراهيم بن خالد الكلبي، وكان يفتي بحضرته، وعمره عشرون سنة، ولازم التعبد، ففتح الله عليه بسبب ذلك علوماً كثيرة، وكان يعرف سائر فنون العلم، وإذا أخذ فيها لم يكن له فيها وقفة، ولا كبوة، حتى كان يقول في المسألة الواحدة، وجوهاً كثيرة، لم تخطر للعلماء ببال، ولما حضرته الوفاة، جعل يصلي ويتلو القرآن، فقيل له: لو رفقت بنفسك في مثل هذا الحال، فقال: لا أحد أحوج إلى ذلك مني الآن، وهذا أوان طي صحيفتي[1].

وتفقه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنهما، وقيل إنه كان فقيهاً على مذهب سفيان الثوري رضي الله عنه، وصحب خاله السري السقطي[2]، والحارث المحاسبي، وغيرهما

---

[1] – البداية والنهاية: ١١/١١٣

[2] – هو أبو الحسن السري بن المغلس السقطي البغدادي، المتوفى سنة ٢٥٧هـ انظر: طبقات الصوفية: ٢/٢٩، حلية الأولياء: ١٠/١١٦، تاريخ بغداد: ٩/١٨٧، صفة

www.abulhasanalinadwi.org

من جلة المشايخ، وصحبه أبو العباس ابن سريج الفقيه الشافعي، وكان ابن سريج إذا تكلم في الأصول والفروع بكلام أعجب الحاضرين، فيقول لهم: أ تدرون من أين لي هذا؟ هذا من بركة مجالستي أبا القاسم الجنيد.

قال الجنيد: قال لي خالي السري السقطي تكلم على الناس، وكان في قلبي حشمة من الكلام على الناس، فإني كنت اتهم نفسي في استحقاقي ذلك، فرأيت ليلة في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت ليلة جمعة، فقال لي: تكلم على الناس، فانتبهت، وأتيت باب السري قبل أن أصبح فدققت الباب، فقالي لي: لم تصدقنا حتى قيل لك، فقصدت في غد الناس بالجامع، وانتشر في الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس فوقف عليّ غلام نصراني متنكراً وقال: أيها الشيخ، ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله" فأطرقت ثم رفعت رأسي وقلت: اسلم، فقد حان وقت إسلامك، فأسلم.

وقال الشيخ الجنيد: ما انتفعت بشيء انتفاعي بأبيات سمعتها، قيل له: وما هي؟ قال: مررت بدرب القراطيس فسمعت جارية من دار تقول:

إذا قلت أهدى الهجر لي حلل البلى
تقولين لولا الهجر لم يطب الحب
وإن قلت هذا القلب أحرقه الهوى
تقولين بنيران الهوى شرف الحب

الصفوة: ٢/٢٠٩، النجوم الزاهرة: ٢/٣٣٩.

www.abulhasanalinadwi.org

وإن قلت مـــا أذنبت قلت مجيبـــة
حيـــاتك ذنب لا يقاس بـــه ذنب

قال محمد بن إبراهيم: رأيت الجنيد في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها في الأسحار.

قال الجنيد: ما أخذنا التصوف عن القال والقيل، ولكن عن الجوع وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات، لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله، وأصله العزوف عن الدنيا، كما قال حارثة: "عزفت نفسي عن الدنيا، وأسهرت ليلي ونهاري[1].

وفي طبقات الشافعية للسبكي: سيد الطائفة، ومقدم الجماعة، وإمام أهل الخرقة، وشيخ طريقة التصوف، وعلم الأولياء في زمانه، وبهلوان العارفين".

قال جعفر بن محمد الخلدي: لم نر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير الجنيد، إذا رأيت علمه رجحته على حاله، وإذا رأيت حاله رجحته على علمه.

وقال أبو القاسم الكعبي المتكلم: ما رأت عيناي مثله، كان الكتبة يحضرونه لألفاظه، والفلاسفة لدقة معانيه، والمتكلمون لعلمه.

وفي تاريخ بغداد: كان الجنيد بن محمد بن الجنيد قد سمع الحديث الكثير من الشيوخ وشاهد الصالحين، وأهل المعرفة، ورزق من الذكاء وصواب الجوابات في فنون العلم ما لم يُر في زمانه مثله،

[1] – طبقات الحنابلة ج ١٢٨/١.

www.abulhasanalinadwi.org

عند أحد من قرنائه، ولا من أرفع ممن كان ينسب منهم إلى العلم الباطن والعلم الظاهر في عفاف وعزوف عن الدنيا وأبنائها.

وفي حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد ابن عبد الله الأصفهاني: هو المربى بفنون العلم، المؤيد بعيون الحلم، المنور بخالص الإيقان، وثابت الإيمان، والعالم بمودع الكتاب، والعامل بحلم الكتاب، الموافق فيه للبيان والصواب.

كان كلامه بالفيوض مربوطاً، وبيانه بالأدلة مبسوطاً، فاق أشكاله بالبيان الشافي، واعتناقه للمنهج الكافي، ولزومه للعمل الوافي.

قال ابن الأثير في وصفه: إمام الدنيا في زمانه، وعده العلماء شيخ مذهب التصوف، لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، ولكونه مصوناً من العقائد الذميمة محمي الأساس، من شبه الغلاة، سالماً من كل ما يوجب اعتراض الشرع.

كان في أول أمره يتفقه على مذهب أصحاب الحديث، مثل أبي عبيد، وأبي ثور، فأحكم الأصول وصحب الحارث بن أسد المحاسبي وخاله السري بن مغلس فسلك مسلكهما في التحقيق بالعلم واستعماله.

وكان الجنيد يقول: علمت مضبوط الكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث، ولم يتفقه لا يقتدى به.

وقال الجنيد: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول، واتبع سنته ولزم طريقته، فإن طريق الخيرات كلها مفتوحة عليه.

www.abulhasanalinadwi.org

قال أبو عبد الله الحافظ سمعت فارس بن عيسى يقول كان أبو القاسم الجنيد بن محمد كثير الصلاة، ثم رأيناه في وقت موته يدرس ويقدم له الوسادة فيسجد عليها، فقيل له: ألا روحت عن نفسك، فقال: طريق وصلت به إلى الله عزوجل لا أقطعه.

وقيل له"الخراز، لأنه كان يعمل الخز، والقواريري لأن أباه كان قواريرياً.

توفي سنة ٢٩٧هـ.

أقواله:

ما هي الحكمة وما هي علاقاتها:

قال أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد وقد سئل عما تنهاه الحكمة:

"الحكمة تنهى عن كل ما يحتاج أن يعتذر منه، وعن كل ما إذا غاب علمه عن غيرك أحشمك ذكره في نفسك".

وسئل عما تأمره الحكمة فقال:

"تأمر الحكمة بكل ما يحمد في الباقي أثره، ويطيب عند جملة الناس خبره، ويؤمن في العواقب ضرره".

وسئل عمن يستحق أن يوصف بالحكمة فقال:

من إذا قال بلغ المدى والغاية، فيما يتعرض لنعته بقليل القول، ويسير الإشارة، ومن لا يتعذر عليه في ذلك شيء مما يريد، لأن ذلك عنده حاضر عتيد.

وقيل له: بمن تأنس الحكمة وإلى من تستريح وتأوي؟ قال:

إلى من انحسمت عن الكل مطامعه، وانقطعت من الفضل في

www.abulhasanalinadwi.org

الحاجات مطالبه، ومن اجتمعت همومه، وحركاته في ذات ربه، ومن عادت منافعه على سائر أهل دهره.

سمات عباد الله الصالحين:

وقال:

إن لله عباداً صحبوا الدنيا بأبدانهم، وفارقوها بعقود إيمانهم، أشرف بهم علم اليقين على ما هم إليه سائرون، وفيه مقيمون، وإليه راجعون، فهربوا من مطالبة نفوسهم الأمارة بالسوء، والداعية إلى المهالك، والمعينة للأعداء، والمتبعة للهوى، والمغموسة في البلاء، والمتمكنة بأكناف الأهواء، إلى قبول داعي التنزيل المحكم الذي لا يحتمل التأويل، إذ سمعوه يقول **﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾** فقرع أسماء فهومهم حلاوة الدعوة، لتصفح التمييز، وتنسموا بروح ما أدته إليهم الفهوم الطاهرة من أدناس خفايا محبة البقاء في دار الغرور، فأسرعوا إلى حذف العلائق المشغلة قلوب المراقبين معها، وهجموا بالنفوس على معانقة الأعمال، وتجرعوا مرارة المكابدة، وصدقوا الله في معاملته، وأحسنوا الأدب فيما توجهوا إليه، وهانت عليهم المصائب، وعرفوا قدر ما يطلبون، وسجنوا همومهم عن التلفت إلى مذكور سوى وليهم، وحرسوا قلوبهم عن التطلع في مراقي الغفلة، وأقاموا عليها رقيبها من علم من لا يخفى عليه مثقال ذرة في بر ولا بحر، ومن أحاط بكل شيء علماً وأحاط به خبراً فانقادت تلك النفوس بعد اعتياصها، واستبقت منافسة لأبناء جنسها نفوس ساسها وليها، وحفظها بارئها، وكلأها كافيها.

www.abulhasanalinadwi.org

فتوهم يا أخي إن كنت ذا بصيرة، ماذا يرد عليهم في وقت مناجاتهم، وماذا يلقونه من نوازل حاجاتهم، ترى أرواحاً تتردد في أجساد، قد أذبلتها الخشية، وذللتها الخدمة، وتسربلها الحياء، وجمعها القرب، وأسكنها الوقار، وأنطقها الحذار، أنيسها الخلوة، وحديثها الفكرة، وشعارها الذكر، شغلها بالله متصل، وعن غيره منفصل، لا تتلقى قادماً، ولا تشيع ظاعناً، غذاؤها الجوع والظمأ، وراحتها التوكل، وكنزها الثقة بالله، ومعولها الاعتماد، ودواؤها الصبر، وقرينها الرضا، نفوس قدمت لتأدية الحقوق، ورقيت لنفيس العلم المخزون، وكفيت ثقل المحن، **﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة، هذا يومكم الذي كنتم توعدون، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون، نزلاً من غفور رحيم﴾** .

بدون السعي لا يحصل المطلوب :

وقال الجنيد: فتح كل باب، وكل علم نفيس بذل المجهود.

القناعة:

قيل للجنيد: ما القناعة؟ قال ألا تتجاوز إرادتك ما هو لك في وقتك .

وقال الجنيد: إن بدت عين من الكرم ألحقت المسيء بالمحسن.

فقيل له: متى تبدو، قال: هي بادية، قال الله: سبقت رحمتي غضبي .

وقال الجنيد: عليكم بحفظ الهمة، وإن حفظ الهمة مقدمة الأشياء .

www.abulhasanalinadwi.org

حقيقة الشكر:

وسئل عن حقيقة الشكر، فقال: ألا يستعان بشيء من نعمه على معاصيه.

وقال: الورع في الكلام أشد منه في الاكتساب، وأنشد:

تحمل عظيم الجرم ممن تحبـــه
وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالم

وقال:

أناس أمناهم فنمـوا حـديثنا
فلما كتمنا السر عنهم تقـولوا
ولم يحفظوا الود الذي كان بيننا
ولا حين هموا القطعية أجملوا

لا تأمن نفسك:

وقال الجنيد:

لا تسكن إلى نفسك، وإن دامت طاعتها لك في طاعة ربك.

وقال: متى أردت أن تشرف بالعلم، وتنسب إليه، وتكون من أهله قبل أن تعطي العلم ما له عليك، احتجب عنك نوره، وبقي عليك وسمه وظهوره، ذلك العلم عليك لا لك، وذلك ان العلم يشير إلى استعماله وإذا لم يستعمل العلم في مراتبه رحلت بركاته.

وقال: الإنسان لا يعاب بما في طبعه، وإنما يعاب إذا فعل بما في طبعه.

الطريق إلى الله:

وقيل له: كيف الطريق إلى الله قال: توبة تحل الإصرار،

www.abulhasanalinadwi.org

وخوف يزيل الغرة، ورجاء مزعج إلى طريق الخيرات، ومراقبة الله في خواطر القلوب.

سئل الجنيد عن الدنيا ما هي؟ قال: ما دنا من القلب وشغل عن الله.

من هو العاقل:

قيل له: متى يكون الرجل موصوفاً بالعقل.

قال: إذا كان للأمور مميزاً، ولها متصفحاً، وعما يوجبه عليه العقل باحثاً، يبحث يلتمس بذلك طلب الذي هو به أولى، ليعمل به، ويؤثره على ما سواه، فإذا كان كذلك فمن صفته ركوب الفضل في كل أحواله، بعد إحكام العمل بما قد فرض عليه، وليس من صفة العقلاء إغفال النظر لما هو أحق وأولى، ولا من صفتهم الرضا بالنقص والتقصير.

وكذلك لا يرضى أن يشغل نفسه بقليل زائل، ويسير حائل يصده التشاغل به، والعمل له عن أمور الآخرة التي يدوم نعيمها ونفعها، ويتصل بقاؤها.

من يقع في البلاء:

كتب الجنيد إلى بعض إخوانه: من أشار إلى الله وسكن إلى غيره ابتلاه الله، وحجب ذكره عن قلبه وأجراه على لسانه، فإن انتبه وانقطع عمن سكن إليه ورجع إلى من أشار إليه كشف الله ما به من المحن والبلوى، فإن دام نزع الله على سكونه من قلوب الخلق الرحمة عليه، وألبس لباس الطمع لتزداد مطالبته منهم مع فقدان الرحمة من قلوبهم، فتصير حياته عجزاً، وموته كداً، ومعاده أسفاً ونحن نعوذ

www.abulhasanalinadwi.org

بالله من السكون إلى غيره .

غفلة ساعة تسلب ما كسبه العابد ألف سنة :

وقال الجنيد لو أقبل صادق على الله ، ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله .

متى يتأسف المحب :

وقيل للجنيد : علام يتأسف المحب؟ قال : على زمان بسط أورث قبضاً أو زمان أنس أورث وحشة ، ثم أنشد يقول :

قد كان لي مشرب يصفو برؤيتكم
فكدرته يد الأيام حين صفا

وقال الجنيد : إن الله عزوجل يخلص إلى القلوب من بره حسبما خلصت القلوب به إليه من ذكره ، فانظر ماذا خالط قلبك .

لا نجاة إلا باقتفاء آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وقال الجنيد : الطريق إلى الله عزوجل مسدود على خلقه إلا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الله عزوجل : **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾** وقال : لولا انه يروى أنه يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ، ما تكلمت عليكم .

وقال : أضر ما على أهل الديانات الدعاوي .

وقال : المروءة احتمال زلل الإخوان .

الخشوع :

وقال : الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب ، والتواضع خفض الجناح ولين الجانب .

www.abulhasanalinadwi.org

وقال: الفتوة كف الأذى وبذل الندى.

الزهد:

وفي كتاب الزهد الكبير للإمام أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ[١]:

سئل الجنيد عن الزهد، فقال خلو الأيدي من الأموال والقلب من التتبع.

وسأله رؤيم عن الزهد، فقال: استصغار الدنيا، ومحو آثارها من القلب.

وسئل عن القلب ما يفسده؟ قال الطمع، قيل: ما يصلحه؟ قال الورع.

وكان الجنيد يقول: نبني أمرنا هذا على أربع: لانتكلم إلا عن وجد، ولا نأكل إلا عن فاقة، ولا ننام إلا عن غلبة، ولا نسكت إلا عن خشية[٢].

قال أبوعمر الأنماطي سمعت الجنيد يقول: إنك لن تكون على الحقيقة له عبداً وشيء مما دونه لك مسترقاً، وإنك لم تصل إلى صريح الحرية، وعليك من حقيقة عبوديته بقية وإذا كنت له وحده عبداً كنت مما دونه حراً.

---

[١] – هو الحافظ العلامة الثبت الفقيه شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي موسى الخسرو جردي، الخراساني، ولد سنة ٣٨٤هـ، مصادر ترجمته: الأنساب: ٣٨١/٢، معجم البلدان: ٥٣٨/١، الكامل لابن الأثير: ٥٢/١٠، وفيات الأعيان: ٥٧/١، البداية والنهاية: ٩٤/١٢، طبقات السبكي: ٨/٤، سير أعلام النبلاء: ١٦٣/١٨.

[٢] – كتاب الزهد الكبير، ٤/ ٣١٣ للإمام البيهقي

www.abulhasanalinadwi.org

أفضل الغنى طاعة الله:

سئل الجنيد عن الفقير والغني أيهما أفضل؟ فقال: أفضلهما أطوعهما لله عزو جل.

قيل له فإذا كانا جميعاً طائعين، فقال: كلاهما فعل محمود غير أن الذي اختاره الله عزوجل لنبيه صلى الله عليه وسلم أفضل، ولم أره اختار له الغنى، فمع حسن اختيار الله عزوجل لنبيه الفضل[١]

جماع الخير:

قال الجنيد لرجل هو يعظه، جماع الخير كله في ثلاثة أشياء، إن لم تمض نهارك بما هو لك، فلا تمضه بما هو عليك، وإن لم تصحب الأخيار، فلا تصحب الأشرار، وإن لم تنفق مالك فيما لله رضاء، فلا تنفقه فيما لله فيه سخط[٢].

قال الجنيد: العمر قصير، والوقت ضيق، والأيام تقضي، وليس في الوقت فضل.

مقام التوحيد:

سئل الجنيد عن أول مقام التوحيد، فقال: كأنك تراه(إشارة إلى الحديث: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[٣].

---

[١] – كتاب الزهد ٣٢٣/٤، للبيهقي

[٢] – كتاب الزهد الكبير، الجزء الرابع، ص ٤٦٦

[٣] – رواه البخاري في كتاب الإيمان،كتاب الزهد الكبير للبيهقي

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

الإمام أبو حامد الغزالي [١]

٤٥٠- ٥٠٥ هـ

أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي، أكبر علماء الكلام بعهده، وأحد أئمة المذهب الشافعي، ولد في "طوس" إحدى مدن "خراسان" عام ٤٥٠هـ (١٠٥٨م)، كان أبوه فقيراً صالحاً، لا يأكل إلا من كسب يده، ويطوف على المتفقهة ويجالسهم، ويتوفر على خدمتهم، وكان إذا سمع كلامهم بكى وتضرع، وسأل الله أن يرزقه ابناً يجعله فقيهاً، فاستجاب الله دعوته [٢].

وقد اختلف العلماء في الغزالي هل هو بتخفيف الزاي أو بتشديدها، وبحثت هذه المسألة في "شذرات الذهب" لشمس الدين الذهبي، و"طبقات الشافعية"، فقرروا أن اسمه كان بتشديد الزاي، فقالوا الغزَّالي، كالعطّاري، والحمَّازي، وجاء في طبقات الشافعية أن أباه كان يغزل الصوف، فلقبه مستفاد من صناعة أبيه، ولكن

---

[١] – رجال الفكر والدعوة في الإسلام للشيخ الندوي، طبقات الشافعية الكبرى: ١٩١/٦، شذرات الذهب: ١٠/٤، إتحاف السادة المتقين: ٦/١، مفتاح السعادة: ٢٣٢/٢، الكامل لابن الأثير: ٤٩١/١٠، النجوم الزاهرة: ٢٠٣/٥، سير أعلام النبلاء: ٣٢٢/١٩، المجددون في الإسلام: ١٨١، وفيات الأعيان: ٢١٦/٤، الحقيقة في نظر الغزالي للدكتور سليمان دنيا (دار المعارف مصر) مؤلفات الغزالي لعبد الرحمن بدوي (القاهرة)، إحياء العلوم: المنقذ من الضلال، سيرة الغزالي للأستاذ عبد الكريم العثمان (دار الفكر، دمشق) الأعلام للزركلي.

[٢] – طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي ١٩٤/٦.

www.abulhasanalinadwi.org

السمعاني قال: أن لقبه مستفاد من نسبته إلى "غزالة" وهي إحدى نواحي "طوس".

دراسته:

قرأ الغزالي في صباه طرفاً من الفقه في بلده على أحمد بن محمد الراذكاني، ثم سافر إلى "جرجان" إلى الإمام أبي نصر الإسماعيلي، ثم رجع إلى "طوس".

ثم رحل إلى "نيسافور"، ولازم إمام الحرمين[1]، ولما مات إمام الحرمين (م٤٧٨) خرج إلى المعسكر قاصداً نظام الملك[2] وزير السلطان ملك شاه السلجوقي(٤٤٧-٤٨٥هـ)[3]، وناظر في مجلس العلماء، وغلب عليهم.

ولم يتجاوز الغزالي الثالثة والثلاثين من عمره إلا وله بين العلماء مرتبة رفيعة بعلمه الواسع، وكل إليه نظام الملك وزير

---

[1] – هو الإمام الكبير، شيخ الشافية، إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري، ولد عام ٤١٩هـ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: ١٨/٤٦٨، وفيات الأعيان: ٣/١٦٧، الأنساب للسمعاني: ٣/٣٨٦، معجم البلدان: ٢/١٩٣، البداية والنهاية: ١٢/١٢٨، طبقات السبكي: ٥/١٦٥، الجويني إمام الحرمين للدكتور فوقيه حسين محمود من سلسلة أعلام العرب (رقم: ٤٠) ١٩٦٥م.

[2] – هو الوزير الكبير نظام الملك قوام الدين أبو علي الحسن بن علي ابن إسحاق الطوسي، ولد عام ٤٠٨هـ، ومات سنة ٤٨٥هـ، مصادر ترجمته: تاريخ دولة آل سلجوق: ١/١١٥، معجم البلدان ٣/١٣، وفيات الأعيان: ٢/١٢٨، طبقات السبكي: ٤/٣٠٩، سير أعلام النبلاء: ١٩/٩٤، الوافي بالوفيات ١٢/١٢٣، النجوم الزاهرة: ٥/١٣٦.

[3] – هو أبو الفتح ملك شاه بن ألب أرسلان محمد بن داود، انظر: أخبار الدولة السلجوقية، وفيات الأعيان: ٥/٢٨٣، سير أعلام النبلاء: ١٩/٥٤، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ١٠/٧٦، تاريخ ابن خلدون: ٥/١٣.

www.abulhasanalinadwi.org

السلطان ملك شاه السلجوقي إدارة المدرسة النظامية، التي أسسها ببغداد، وبعد سنتين سافر إلى الحجاز للحج، وبعد أداء فريضة الحج بدأ يلقي دروساً في جوامع "دمشق"، و"بيت المقدس"، و"الإسكندرية"، وأراد أن يرحل إلى المغرب للقاء يوسف ابن تاشفين(٤١٠-٥٠٠)[١]، أمير "مراكش" من المرابطين، فأتاه نعي يوسف، فعاد إلى "طوس"، وانقطع إلى حياة الفكر، واختار حياة المتصوفة، وانكب على تأليف الكتب، وكانت غايته من وضعها تقرير امتياز الإسلام على غيره من الأديان، وعلى الفلسفة، ولذا سمي حجة الإسلام، وزين الدين.

ثم هجر التأليف، وعاد إلى "نيسافور" يدير المدرسة النظامية، ثم عاد إلى "طوس"، وأسس ملجأ للصوفيين، (تكية)، وقضى فيه بقية أيامه في العبادة والتأمل، وقضى إلى رحمة الله عام ٥٠٥هـ الموافق ١١١١م.

من أهم كتبه "إحياء علوم الدين"، و"المنقذ من الضلال" و"مقاصد الفلاسفة" وتهافت الفلاسفة".

وقد شرح الإمام الغزالي مبادئ الفلاسفة في كتابه "مقاصد الفلاسفة" ثم هذمها في كتابه "تهافت الفلاسفة".

وفي بحثه عن الحقيقة، درس الإمام الغزالي الفلسفة لمعرفة غاية علم الكلام، لكنه لم يقتنع بهذا العلم أيضاً فيقول:

"لما فرغت من علم الفلسفة وتحصيله وتفهمه وتزييف ما

---

[١] – انظر: وفيات الأعيان: ١١٢/٧، الأعلام للزركلي: ٢٢٢/٨، تاريخ ابن الأثير: ٢١٦/٩.

www.abulhasanalinadwi.org

يزيف منه علمت أن ذلك أيضاً غير واقف بكمال الفرص، وأن العقل ليس مستقلاً بالإحاطة بجميع المطالب، ولا كاشفاً للغطاء عن جميع المعضلات".

ولعدم ثقة الإمام بالعقل مال إلى الباطنية لأنهم كانوا يقولون إن مصدر علمهم الإمام المعصوم القائم بالحق، فدرس عقائدهم، لكنه انتهى إلى نفس النتيجة فأظهر فسادها.

وأخيراً بعد هذه الجولة الطويلة والبحث المتواصل عن حقيقة العلم أقبل الإمام الغزالي على التصوف، ويقول:

"ثم إنى لما فرغت من هذه العلوم أقبلت بهمتي على طريق الصوفية، وعلمت أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل، وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة، وصفاتها الخبيثة، وحتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى، وتحليته بذكر الله.

وكان العلم أيسر علي من العمل، فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل "قوت القلوب" لأبي طالب المكي رحمه الله، وكتب "الحارث المحاسبي"، والمتفرقات المأثورة عن "الجنيد" و"الشبلي"[1]، و"أبي يزيد البسطامي"[2] - قدس الله أرواحهم - وغير ذلك

[1] – هو شيخ الطائفة، أبو بكر الشبلي البغدادي، ولد بسامراء، وتوفي سنة ٣٣٤هـ ببغداد، انظر: سير أعلام النبلاء: ٣٦٧/١٥، حلية الأولياء: ٣٦٦/١٠، تاريخ بغداد: ٣٨٩/١٤، طبقات الصوفية، شذرات الذهب: ٣٣٨/٢، النجوم الزاهرة: ٢٨٩/٣، طبقات الأولياء: ٢٠٤

[2] – هو سلطان العارفين أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي، أحد الزهاد، توفي سنة ٢٦١هـ، انظر: طبقات الصوفية: ٦٧، حلية الأولياء: ٣٣/١٠، وفيات الأعيان: ٥٣١/٢، سير أعلام النبلاء: ٨٦/١٣.

www.abulhasanalinadwi.org

من كلام مشايخهم، حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقتهم بالتعلم والسماع، فظهر لي أن أخص خواصهم، ما لا يمكن الوصول إليه بالتعليم، بل بالذوق والحال، وبتبدل الصفات [١].

ويصف حالهم: "علمت يقيناً أنهم أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال" ويقول:

"ظهر عندي أنه لا مطمع لي في سعادة الآخرة إلا بالتقوى، وكف النفس عن الهوى، وإن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا، بالتجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، وإن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال، والهرب عن الشواغل والعلائق".

وبعد قضاء فترة في العزلة عاد الإمام الغزالي إلى نشر العلم، فتولى رياسة المدرسة النظامية في "نيسافور" ٤٩٩هـ في عهد سنجر السلجوقي ابن ملك شاه.

ثم اعتزل عن التدريس بعد اغتيال فخر الملك سنة ٥٠٠هـ، وأقام ببلدة "طوس"، وقضى بقية حياته في الاشتغال بالدين والعلم، ولم يترك اشتغاله بالتأليف.

ولكن اشتغاله بالتدريس في آخر عمره كان يختلف عن اشتغاله بالتدريس في أوائل حياته، ويصف الإمام الغزالي نفسه هذا الفرق بين الحالين.

"وأنا أعلم أني - وإن رجعت إلى نشر العلم - ما رجعت، فإن

---

[١] – المنقذ من الضلال

www.abulhasanalinadwi.org

الرجوع عود إلى ما كان، وكنت في ذلك الزمان أنشر العلم الذي به يكسب الجاه، وأدعو إليه بقولي وعملي، وكان ذلك قصدي ونيتي، وأما الآن، فأدعو إلى العلم الذي به يترك الجاه، هذا هو الآن نيتي وقصدي وأمنيتي، يعلم الله ذلك مني، وأنا أبغي أن أصلح نفسي وغيري، ولست أدري أ أصل إلى مرادي، أم أخترم دون غرضي؟ ولكن أؤمن إيمان يقين ومشاهدة، أنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأني لم أتحرك، لكنه حركني، وأني لم أعمل، لكنه استعملني، فأسأله أن يصلحني أولاً، ثم يصلح بي ويهديني، ثم يهدي بي، وأن يريني الحق حقاً ويرزقني اتباعه، ويريني الباطل باطلاً ويرزقني اجتنابه"[1].

وكانت حياة الإمام الغزالي الأخيرة حياة إصلاح سائر طبقات الأمة من الملوك، والأمراء، والعلماء، وحتى الصوفية، الذين لم يتركهم من نقده، فبين التباس الصوفية، ومبالغاتهم، وإفراطهم وتفريطهم، وكشف غرورهم، ومنافذ الشيطان.

قال الحافظ ابن عساكر: أقام الغزالي بالشام نحواً من عشرين سنة، ودخل يوماً "المدرسة الأمينية" فوجد المدرس يقول: "قال الغزالي وهو يدرس من كلامه"، فخشي الغزالي على نفسه العجب، ففارق "دمشق"، وأخذ يجول في البلاد، فدخل منها إلى "مصر" وتوجه منها إلى "الإسكندرية" فأقام بها مدة، واستمر الغزالي يجول في البلدان، ويزور المشاهد، ويطوف على الترب والمساجد، ويأوي القفار، ويروض نفسه، ويجاهد جهاد الأبرار، ويكلفها مشاق

[1] – رجال الفكر والدعوة في الإسلام للشيخ أبي الحسن الندوي، المجلد الأول.

www.abulhasanalinadwi.org

العبادات بأنواع القربات والطاعات إلى أن صار قطب الوجود، والبركة العامة لكل موجود، والطريق الموصلة إلى رضا الرحمن، والسبيل المنصوب إلى مركز الإيمان.

ولا شك في أن هذا الفيلسوف الحكيم يعد من أعظم أعلام الفكر العربي الإسلامي، ومن أئمة أهل البحث والنظر في علوم الدين، والدُنيا، وقد عده كثيرون من مؤرخى الفلسفة والأدب من نوادر الدهر، نبوغاً ونوراً[1].

يقول تاج الدين السبكي صاحب "طبقات الشافعية الكبرى":

" كان الغزالي شديد الذكاء، شديد النظر، عجيب الفطرة، مفرط الإدراك، قوي الحافظة والذاكرة، بعيد الغور، غواصاً على المعاني الدقيقة، جبل علم، مناظراً محجاجا".

كان شيخه إمام الحرمين أبو المعالي الجويني يقول عنه: "الغزالي بحر مغدق".

ويقول معاصره عبد الغافر الفارسي: "علت حشمته، ودرجته في بغداد، حتى كانت تغلب حشمة الأكابر والأمراء ودار الخلافة".

وقال أسعد الميهني: "لا يصل إلى معرفة علم الغزالي، وفضله إلا من بلغ، أو كاد يبلغ الكمال في عقله".

قال ابن النجار: "أبو حامد الغزالي إمام الفقهاء على الإطلاق، ورباني الأمة بالاتفاق، ومجتهد زمانه، وعين وقته وأوانه، وكان ذا فطنة ثاقبة، وغوص على المعاني، حتى قيل إنه

[1] – تاريخ فلاسفة الإسلام في الشرق والغرب، محمد مصطفى جمعة

www.abulhasanalinadwi.org

ألف "المنخول" فرآه أبو المعالي، فقال: دفنتني وأنا حي، فهلا صبرت الآن، كتاب غطى على كتابي".

وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر: "كان الغزالي إماماً في علم الفقه، مذهباً وخلافاً، وفي أصول الديانات".

وقال الحافظ أبو سعد بن السمعاني فيه: من لم تر العيون مثله لساناً، وبياناً، ونطقاً، وخاطراً، وذكاءاً وطبعاً".

وقال ابن النجار:

" اتفقت الطوائف على تبجيله، وتعظيمه، وتوقيره، وتكريمه، وخافه المخالفون، وانقهر بحججه وأدلته المناظرون، وظهرت بتنقيحاته فضائح المبتدعة، والمخالفين، وقام بنصر السنة وإظهار الدين، وسارت مصنفاته في الدنيا مسير الشمس في البهجة والجمال، وشهد له المخالف والموافق بالتقدم والكمال.

يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي:

"بلغت شهرة الغزالي أوجها، ووصل إلى أقصى ما يصل إليه عالم من المجد، ولكن الغزالي لم يرض بهذه الشهرة وإقبال أهل العلم عليه، وظلت نفسه قلقة غير مطمئنة، بما ناله من المجد والجاه المادي، إلى أن ترك كل ما يحظى به من إجلال وتكريم، فضحى بأكبر منصب وأعظم جاه يطمح إليه العلماء والأولياء في عصرهم، فاعتزل ونفض يده عن كل ما يملكه من مال، وأثاث، ورياش، وتوجه إلى الصحارى والخلوات، واختار حياة الفقراء والغرباء"[1].

[1] – رجال الفكر والدعوة في الإسلام، للشيخ أبي الحسن الندوي المجلد الأول

www.abulhasanalinadwi.org

أسلوب الغزالي :

في جميع المباحث سواء كانت تتعلق بالعلم والعبادة والتشريع ، أو بالعادات والمعاملات ، والأمراض الخلقية ، والمسائل النفسية ، وحلول قضايا الحياة ، أسلوب الإمام الغزالي سهل عذب مقنع ، مؤثر يؤثر على القلوب والوجدان ، ليس بالجد الممل ، ولا بالهزل الساقط ، وإنما هو أسلوب معتدل ، جد في موضع الجد ، وفكه في موضع الفكاهة ، إلا أنه أجاد في سائر كلامه ، وإنه يستشهد بالشعر ، والأمثال ، ولا يكثر منهما كدأب الكتاب في عصره ، ولا تثقل عبارته بالمفردات والمترادفات ، ولا يتكلف تزيينها بالمحسنات اللفظية .

نماذج من كلامه :

يختلف كلامه باختلاف المخاطب ، يخاطب العلماء حسب عقولهم ، وعامة الناس بمستوى عقولهم ، حرصاً على التفهيم كما يقول في موضع بيان آفة اللسان :

"التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه ، فإنه من التصنع المذموم ، ومن التكلف الممقوت ، إذ ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده ، ومقصود الكلام التفهيم للغرض ، وما وراء ذلك تصنع مذموم ، ولا يدخل في هذا تحسين ألفاظ التذكير ، والخطابة من غير إفراط ولا إغراب ، فإن المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ، فلرشاقة اللفظ تأثير في ذلك"[١] .

---

[١] – إحياء علوم الدين ، ٣/١٩٠ ، ط: دار الحديث القاهرة ، ١٩٩٢م.

www.abulhasanalinadwi.org

ويقول في موضع :

"الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح" .

ويقر الإمام الغزالي بنفع المزاح وتأثيره فيقول في بحث المزاح :

"المنهي عنه والمذموم منه هو المداومة عليه والإفراط منه ، ويقول : ما يخلو عن هذه الأمور فلا يذم ، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إني لا أمزح ، ولا أقول إلا حقاً" [١].

المحبة الإلهية :

يقول :

"اعلم أن اللذات تابعة للإدراكات ، والإنسان جامع لجملة من القوى والغرائز ، ولكل قوة وغريزة لذة ، ولذتها في نيلها لمقتضى طبعها الذي خلقت له ، فإن هذه الغرائز ما ركبت في الإنسان عبثاً ، بل ركبت كل قوة وغريزة لأمر من الأمور ، هو مقتضاها بالطبع ، فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام ، فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها ، وغريزة شهوة الطعام مثلاً خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام ، فلا جرم لذتها في نيل هذا الغذاء الذي هو مقتضى طبعها ، وكذلك لذه السمع والبصر والشم ، في الإبصار والاستماع ، والشم فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن ألم ولذة ، بالإضافة إلى مدركاتها ، فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الإلهي لقوله تعالى : ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه** ﴾ ، وقد تسمى العقل ، وقد تسمى البصيرة الباطنة ، وقد تسمى نور الإيمان واليقين" .

---

[١] – إحياء علوم الدين ٣ /٢٠١ ، ط: دار الحديث القاهرة ، ١٩٩٢م.

www.abulhasanalinadwi.org

لذة معرفة الله:

يقول:

" من طال فكره في معرفة الله سبحانه، وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشيء اليسير، فإنه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به، ويتعجب من نفسه في ثباته، واحتماله لقوة فرحه وسروره، وهذا مما لا يدرك إلا بالذوق، والحكاية فيه قليلة الجدوى.

وهذا ينبهك على أن معرفة الله سبحانه ألذ الأشياء، وأنه لا لذة فوقها، ولهذا قال أبو سليمان الداراني[1]، إن لله عباداً ليس يشغلهم عن الله خوف النار، ولا رجاء الجنة، فكيف تشغلهم الدنيا عن الله"

ويقول:

" ليت شعر من لم يفهم إلا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر إلى وجه الله، وما له صورة ولاشكل؟، وأي معنى لما وعد الله تعالى به عباده، وذكره أنه أعظم النعم؟ بل من عرف الله عرف أن اللذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال بعضهم:

كانت لقلبي أهواء مفرقة
فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي

---

[1]- هو أبو سليمان عبدالرحمن بن أحمد بن عطية العنسي الداراني الزاهد المشهور أحد رجال الطريقة، وكان من جلة السادات وأرباب الجد في المجاهدات، انظر: وفيات الأعيان: ١٣١/٣، طبقات الصوفية للسلمي: ٧٥، حلية الأولياء: ٢٥٤/٩، صفة الصفوة: ١٩٧/٤، تاريخ بغداد: ٢٤٨/١٠، الأنساب للسمعاني: ٢٤٣/٥، طبقات الشعراني: ٩٢/١، النجوم الزاهرة: ١٧٩/٢، شذرات الذهب: ١٣/٢

www.abulhasanalinadwi.org

فصار يحسدني من كنت أحسده ـ وصرت مولى الورى قد صرت مولاي تركت للناس دنياهم ودينهم ـ شغلاً بذكرك يا ديني ودنيائي .

لذة المناجاة :

ويقول في بيان لذة المناجاة عقلاً ونقلاً :

لا ينبغي أن تستبعد هذه اللذة ، إذ يشهد لها العقل والنقل ، فأما العقل فليعتبر حال المحب لشخص لسبب جماله أو لملك لسبب إنعامه وأمواله ، إنه كيف يتلذذ به في الخلوة ومناجاته حتى لا يأتيه النوم طول ليلة ، فإن قلت : إن الجميل يتلذذ بالنظر إليه وأن الله تعالى لا يرى ، فاعلم أنه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر ، أو كان في بيت مظلم لكان المحب يتلذذ لمجاورته المجردة دون النظر إليه ودون الطمع في أمر آخر سواه ، وكان يتنعم بإظهار حبه عليه وذكره بلسانه ، بمسمع منه ، وإن كان ذلك أيضاً ملوماً عنده" .

أدب الصداقة :

قال بشار بن برد :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً

صديقك لن تلقى الذي لا تعاتبه

فعش واحداً أوصل أخاك

فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه

يقول الإمام الغزالي في هذا الموضوع :

" إنك لو طلبت منزهاً عن كل عيب اعتزلت عن الخلق ، ولن تجد من تصاحبه أصلاً ، فما من أحد من الناس إلا وله محاسن

www.abulhasanalinadwi.org

ومساوئ، فإذا غلبت المحاسن المساوئ فهو الغاية والمنتهى، فالمؤمن الكريم يحضر في نفسه محاسن أخيه، ينبعث في قلبه التوقير والود، والاحترام، وأما المنافق اللئيم فإنه أبداً يلاحظ المساوئ والعيوب، قال ابن المبارك: المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العثرات، وقال الفضيل: الفتوة العفو عن زلات الإخوان، ولذلك قال عليه السلام: استعيذوا بالله عن جار السوء الذي إن رأى خيراً ستره، وإن رأى شراً أظهره".

الحلم:

ويقول في فضيلة الحلم:

إن الحلم أفضل من كظم الغيظ، لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أي تكلف الحلم، ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه، ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة، ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتياداً، فلا يهيج الغيظ، وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب، وهو الحلم الطبيعي، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه، وانكسار قوة الغضب، وخضوعها للعقل، ولكن ابتداءه الحلم، وكظم الغيظ تكلفاً، وفي الحديث إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم".

ويقول عن حب المال الذي يسود الأغنياء وبخلهم في إنفاقه وعكوفهم على العبادات عن تأدية حقوق الناس:

" ربما يحرصون على إنفاق المال في الحج، فيحجون مرة بعد مرة أخرى، وربما تركوا جيرانهم جياعاً، ولذلك قال ابن مسعود: في آخر الزمان يكثر الحجاج بلا سبب، يهون عليهم السفر، ويبسط لهم في الرزق، ويرجعون محرومين مسلوبين، يهوي بأحدهم بعيره بين

الرمال والقفار، وجاره مأسور بجنبه لا يواسيه.

وفرقة أخرى من أرباب الأموال اشتغلوا بها، يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل، ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة، كصيام النهار، وقيام الليل، وختم القرآن وهم مغرورون، لأن البخل المهلك قد استولى على بواطنهم، فهو يحتاج إلى قمعه بإخراج المال، فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها، ومثاله مثال من دخل في ثوبه حية وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء، ومن قتلته الحية متى يحتاج إلى السكنجبين، ولذلك قيل لبشر الحافي، إن فلاناً الغني كثير الصوم والصلاة. فقال: المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره، وإنما حال هذا إطعام الطعام للجياع، والإنفاق على المساكين فهذا أفضل له من تجويعه لنفسه"[1].

ويقول عن الذين يغشون مجالس الذكر والوعظ ولا يتعظون.

" وفرقة أخرى من عوام الخلق وأرباب الأموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر، واعتقدوا أن ذلك يغنيهم ويكفيهم، واتخذوا ذلك عادة، ويظنون أن لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ أجراً، وهم مغرورون، لأن فضل مجلس الذكر لكونه مرغباً في الخير، فإن لم يهج الرغبة فلا خير فيه، والرغبة محمودة لأنها تبعث على العمل، فإن ضعفت عن الحث على العمل فلا خير فيها".

ويقول:

---

[1] - إحياء علوم الدين ٣/٦٣٣-٦٣٤

www.abulhasanalinadwi.org

" وإنما مثاله مثال المريض الذي يحضر مجالس الأطباء فيسمع ما يجري، أو الجائع الذي يحضر عنده من يصف له الأطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف، وذلك لا يغني عن مرضه، وجوعه شيئاً "[1]

الوعظ زكاة نصابه الاتعاظ:

قال ابن السمعاني: "قرأت في كتاب كتبه الغزالي إلى أبي حامد ابن أحمد بن سلامة بالموصل، فقال في خلال فصوله: أما الوعظ فلست أرى نفسي أهلاً له، لأن الوعظ زكاة نصابه الاتعاظ، فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة، وفاقد الثوب كيف يستر به غيره، ومتى يستقيم الظل والعود أعوج، وقد أوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم عليه السلام عظ نفسك، فإن اتعظت فعِظ الناس وإلا فاستحي منه".

الدين شطران

قال الغزالي:

"اعلم أن الدين شطران: أحدهما ترك المناهي، والآخر فعل الطاعات، وترك المناهي هو الأشد، والطاعات يقدر عليها كل أحد، وترك الشهوات لا يقدر عليها إلا الصديقون، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم "المهاجر من هجر السوء، المجاهد من جاهد هواه".

[1] - إحياء علوم الدين٣/٦٣٥

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

الشيخ عبد القادر الجيلاني [1]

٤٧١- ٥٦١ هـ

نسبه :

محي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح جنكي دوست موسى بن أبي عبد الله الزاهد بن محمد داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن أبي محمد الحسن ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

وينتهي نسبه من جهة الأب الشيخ أبي صالح جنكي دوست إلى سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما.

ومن جهة الأم السيدة أم الخير أمة الجبار فاطمة إلى سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما .

دراسته وعلمه :

ولد بجيلان في سنة ٤٧١هـ، وفي فوات الوفيات نقلاً عن الشيخ شمس الدين ولد سنة إحدى وتسعين وأربعمائة بجيلان،

---

[1] – سير أعلام النبلاء: ٢٠/٤٣٩، رجال الفكر والدعوة في الإسلام للشيخ الندوي، بهجة الأسرار في مناقب سيدي عبد القادر للشنطوفي، شذرات الذهب: ٤/١٩٨، الذيل على طبقات الحنابلة: ١/٢٩٠، النجوم الزاهرة: ٥/٣٧١، الأعلام للزركلي: ٤/٣٧١، فوات الوفيات: ٢/٣٧٣، البداية والنهاية: ٢/٢٥٢، الأنساب: ٣/٤١٥، المنتظم: ١٠/٢١٩، قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر للتادفي، طبقات الشعراني: ١/١٠٨، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ١١/٣٢٣.

www.abulhasanalinadwi.org

وتوفي سنة ٥٦١هـ، وقدم بغداد شاباً، فتفقه على أبي سعد المخرمي[١]، وسمع من أبي غالب الباقلاني[٢]، وأحمد بن المظفر بن سوسن[٣]، وأبي القاسم بن بيان، وجعفر بن أحمد السراج[٤]، وأبي سعد ابن خشيش، وطائفة، وحدث عنه السمعاني، وعمر بن علي القرشي، والشيخ موفق الدين بن قدامة، وطائفة من العلماء.

قال السمعاني: "كان عبد القادر من أهل جيلان إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيه صالح، ديّن خيّر، كثير الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة، تفقه على المخرمي، وصحب الشيخ حماد الدباس[٥]، وكان يسكن بباب الأزج في مدرسة بنيت له".

وقال ابن الجوزي: "كان أبو سعد المخرمي قد بنى مدرسة لطيفة بباب الأزج، ففوضت إلى عبد القادر، فتكلم على الناس بلسان الوعظ، وظهر له صيت بالزهد، وكان له سمت وصمت، وضاقت المدرسة بالناس، فكان يجلس عند سور بغداد مستنداً إلى

---

[١] – هو العلامة شيخ الحنابلة أبو سعد المبارك بن علي المخرمي البغدادي، توفي سنة ٥١٣هـ، انظر: طبقات الحنابلة: ٢/٢٥٨، شذرات الذهب: ٤/٤٠، المنتظم: ٩/٢١٥، سير أعلام النبلاء: ١٩/٤٢٨.

[٢] – هو الشيخ الصالح المحدث أبو غالب محمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن خدا ذاذا الباقلاني الفامي البغدادي، توفي سنة ٥٠٠هـ، انظر ترجمته في شذرات الذهب: ٣/٤١٢، النجوم الزاهرة: ١٣/١٩٥، سير أعلام النبلاء: ١٩/٢٣٥.

[٣] – هو الشيخ المعمر أبو بكر أحمد بن المظفر بن حسين عبد الله بن سوسن التمار، انظر سير أعلام النبلاء: ١٩/٢٤١، شذرات الذهب: ٤/٧

[٤] – هو الشيخ الإمام البارع المحدث المسند، بقية المشايخ أبو محمد جعفر بن أحمد ابن الحسن بن أحمد البغدادي السراج، القارئ، الأديب المتوفي سنة ٥٠٠هـ، انظر: معجم الأدباء: ٧/١٥٣، وفيات الأعيان ١/٣٥٧، سير أعلام النبلاء: ١٩/٢٢٨، بغية الدعاة: ١/٤٨٥.

[٥] المتوفى سنة ٥٢٥هـ، انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: ١٩/٥٩٤، الكامل في التاريخ: ١٠/٦٧١، النجوم الزاهرة: ٥/٢٤٦، شذرات الذهب: ٤/٧٣.

www.abulhasanalinadwi.org

الرباط، ويتوب عنده في المجلس خلق كثير، فعمرت المدرسة، ووسعت، وتعصب في ذلك العوام، وأقام فيها يدرس ويعظ إلى أن توفي.

وقال ابن النجار في تاريخه: "دخل الشيخ عبد القادر بغداد في سنة ٤٨٨هـ، فتفقه على ابن عقيل[١]، وأبي الخطاب، والمخرمي وأبي الحسين بن الفراء[٢]، حتى أحكم الأصول والفروع، والخلاف، وسمع الحديث، وقرأ الأدب على أبي زكريا التبريزي، واشتغل بالوعظ إلى أن برز فيه، ثم لازم الخلوة، والرياضة، والمجاهدة، والسياحة، والمقام في الخراب والصحراء، وصحب الدباس، ثم إن الله أظهره للخلق، وأوقع له القبول العظيم، وأظهر الله الحكمة على لسانه، ثم درس وأفتى، وصار يُقصد بالزيارة والنذور، وصنف في الأصول والفروع، وله كلام على أعلى الطريقة عال".

وفي الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (٧٣٦-٧٩٥هـ):

"ظهر الشيخ عبد القادر للناس، وجلس للوعظ بعد العشرين وخمس مائة، وحصل له القبول العام من الناس، واعتقدوا ديانته

---

[١]- هو الإمام العلامة البحر شيخ الحنابلة أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل ابن عبدالله البغدادي الظفري الحنبلي المتكلم صاحب التصانيف، مصادر ترجمته: المنتظم: ٢١٢/٩، طبقات الحنابلة: ٢٥٩/٢، البداية والنهاية: ١٨٤/١٢، هدية العارفين: ٦٩٥/١، الكامل في التاريخ: ٥٦١/١٠، شذرات الذهب: ٣٥/٤، سير أعلام النبلاء: ٤٤٣/١٩.

[٢]- هو الإمام العلامة الفقيه القاضي أبو الحسين محمد بن القاضي الكبير أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء الحنبلي البغدادي، انظر: المنتظم: ٢٩/١٠، الكامل في التاريخ: ٦٨٣/١٠، البداية والنهاية: ٢٠٤/١٢، سير أعلام النبلاء: ٦٠١/١٩.

www.abulhasanalinadwi.org

وصلاحه، وانتفعوا به، وبكلامه ووعظه، وانتصر أهل السنة بظهوره، واشتهرت أحواله، وأقواله، وكراماته، ومكاشفاته، وهابه الملوك ومن دونهم".

قال الشيخ موفق الدين صاحب المغنى:

" لم أسمع عن أحد يحكى عنه من الكرامات أكثر مما يحكى عن الشيخ عبد القادر، ولا رأيت أحداً يعظم من أجل الدين أكثر منه".

وذكر الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الشافعية: " أنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر، فإن كراماته نقلت بالتواتر".

وقال الجبائي:

" قال لي الشيخ عبد القادر: كنت أومر وأنهى في النوم واليقظة، وكان يغلب علي الكلام، ويزدحم على قلبي إن لم أتكلم به حتى أكاد اختنق، ولا أقدر أسكت، وكان يجلس عندي رجلان وثلاثة، ثم تسامع الناس بي، وازدحم علي الخلق، حتى صار يحضر مجلسي نحو من السبعين ألفاً".

وقال: "فتشت الأعمال كلها فما وجدت فيها أفضل من إطعام الطعام، أود لو أن الدنيا بيدي فأطعمها الجياع، كفي مثقوبة، لا تضبط شيئاً، لو جاءني ألف دينار لم أبيتها".

وقال:

" أراد الله مني منفعة الخلق، فقد أسلم على يدي أكثر من خمس مائة، وتاب على يدي أكثر من مائة ألف".

www.abulhasanalinadwi.org

حثه على التفقه قبل التزهد والانقطاع

قال الجبائي: كنت أسمع في "الحلية" علي ابن ناصر، فرق قلبي، وقلت: اشتهيت لو انقطعت، واشتغل بالعبادة، ومضيت، فصليت خلف الشيخ عبد القادر، فلما جلسنا، نظر إليّ، وقال: إذا أردت الانقطاع، فلا تنقطع حتى تتفقه وتجالس الشيوخ وتتأدب، وإلا فتنقطع وأنت فريخ ما ريشت".

قصه لشعر التائبين

قال أبو البقاء العكبريُّ: سمعت يحي بن نجاح الأديب يقول: قلت في نفسي: أريد أن أحصى كم يقص الشيخ عبد القادر شعر تائب، فحضرت المجلس ومعي خيط، فلما قص شعراً عقدت عقدة تحت ثيابي من الخيط وأنا في آخر الناس، وإذا به يقول: أنا أحل وأنت تعقد[1].

كراهيته لعلم الكلام

قال ابن النجار في تاريخه: سمعت شيخ الصوفية عمر بن محمد السهروردي(٥٣٧-٦٣٢هـ)[2] يقول: كنت أتفقه في شبابي بالمدرسة النظامية، فخطر لي أن أقرأ شيئاً من علم الكلام، وعزمت على ذلك في نفسي من غير أن أتكلم به، واتفق أني صليت يوم الجمعة مع عمي أبي النجيب في الجامع، فحضر عنده الشيخ عبد القادر مسلماً، فسأله عمي الدعاء لي، وذكر له أني مشتغل بالفقه،

---

[1] – سير الأعلام النبلاء للإمام الذهبي ص: ٢٠/٤٣٩-٤٥١ الطبعة السابعة، مؤسسة الرسالة ١٩٩٠م.

[2] انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: ٢٢/٣٧٣، وفيات الأعيان: ٣/٤٤٦، طبقات السبكي: ٥/١٤٣، تاريخ الإسلام للذهبي: ١٢٤.

www.abulhasanalinadwi.org

وقمت فقبلت يده، فأخذ بيدي، وقال: تب مما عزمت عليه من الاشتغال به (الكلام)، فإنك تفلح ثم سكت وترك يدي، ولم يتغير عزمي عن الاشتغال بالكلام حتى شوشت علي جميع أحوالي، وتكدر وقتي فعلمت أن ذلك بمخالفة الشيخ [١].

مكانته وخلقه

وقال الإمام شيخ الإسلام الشيخ محي الدين النووي رحمه الله في كتابه "بستان العارفين":

" ما علمنا فيما بلغنا من الثقات الناقلين كرامات الأولياء أكثر مما وصل إلينا من كرامات القطب شيخ بغداد محي الدين عبد القادر الجيلي - رضي الله عنه-كان شيخ السادة الشافعية والسادة الحنابلة ببغداد، وانتهت إليه رياسة العلم في وقته، وتخرج بصحبته غير واحد من الأكابر، وانتمى إليه أكثر أعيان مشايخ العراق، وقال: بإرادته جم غفير من ذوي الأحوال الفاخرة، وتلمذ له خلق لا يحصون عدداً، وكثرة من أرباب المقامات الرفيعة، وانعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء - رضي الله عنهم - بالتبجيل والإعظام والإحكام والرجوع إلى قوله، والمصير إلى حكمه، وقصد بالزيارات مع النذورات من كل قطر، ورمي بالآمال من كل جهة، وأهرع إليه أهل السلوك من كل فج عميق، وكان جميل الصفات، شريف الأخلاق، كامل الأدب، والمروءة، كثير التواضع، دائم البشر، وافر العلم والعقل، شديد الاقتفاء بكلام الشرع وأحكامه، معظماً لأهل العلم، مكرماً لأرباب الدين والسنة، مبغضاً لأهل البدعة والأهواء،

[١] - الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب ٢٩٧/١.

www.abulhasanalinadwi.org

محباً لمريدي الحق مع دوام المجاهدة، ولزوم المراقبة إلى الموت، وكان له كلام عال في علوم المعارف، شديد الغضب إذا انتهكت محارم الله سبحانه وتعالى، سخي الكف، كريم النفس، على أجمل طريقة، وبالجملة فلم يكن في زمنه مثله" - رضي الله عنه - انتهى كلامه ملخصاً.

وسئل الحافظ الإمام شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني "هل ورد عن الشيخ عبد القادر أنه حضر السماع الذي اتخذه الفقراء بالدفوف والمواصيل، وغير ذلك من الآلات، أو أمر بحضوره، أو قال فيه شيئاً بإباحة أو تحريم؟ فأجاب:

أما الشيخ عبد القادر فالذي وصل إلينا من أخباره الصحيحة أنه كان فقيهاً زاهداً عابداً، يتكلم على الناس ويرغبهم في الزهد والتوبة، ويحذرهم من العقوبة على المعصية، فكان يتوب على يده من الخلق ما لا يحصى كثرة، وله كرامات مستفيضة، لم ينقل لنا عن أحد من أهل عصره ولا من بعده أكثر مما نقل عنه، ولا أعرف عنه في مسألة السماع بهذه الآلات شيئاً "[١].

منهجه وتأثير كلامه :

يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي في كتابه "رجال الفكر والدعوة في الإسلام" بعد أن وصف الأحوال والظروف الحرجة التي عاش فيها الشيخ عبد القادر وتهافت الناس على الحضارة وزخارفها.

"عاش الشيخ متصلاً بكل ذلك بشعوره وألمه بعيداً عن كل

[١] - قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر للشيخ محمد بن يحي التادفي الحنبلي.

www.abulhasanalinadwi.org

ذلك بقالبه وجسمه، وانصرف بكل همته وقوته وإخلاصه إلى الوعظ، والإرشاد، والدعوة، والتربية، وإصلاح نفوس المسلمين، وتزكيتها، ومحاربة النفاق والشغف بالدنيا، والتكالب على حطامها ومناصبها، وإثارة الشعور الإيماني، وتقوية عقيدة الآخرة، والتجافى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، وتهذيب الأخلاق، والدعوة إلى التوحيد والإخلاص لله تعالى.

وكانت مواعظه وخطبه مطابقة لعصره، وأهل عصره، تتناول شؤونهم وما هم فيه من علل وأسقام، تطب قلوبهم، وتداوي أمراضهم، وترد على ضلالاتهم، وكانت تضرب دائماً على الوتر الحساس، وتمس قلوبهم، وتجمع هذه المواعظ بين صولة الملوك ورقة الدعاة، وبين زجر الآباء ورفق الأطباء.

ويقول الشيخ عمر الكيساني عن تأثير مواعظ الشيخ عبد القادر الجيلاني: لم تكن مجالس الشيخ عبد القادر رضي الله عنه تخلو ممن يسلم من اليهود والنصارى، ولا ممن يتوب من قطاع الطريق وقاتلي النفس، وغير ذلك من الفساق، ولا ممن يرجع عن معتقد سيء".

مختار من كلامه:

يقول "لا تأكل قسمك من الدنيا وهي قاعدة، وأنت قائم، بل كلها على باب الملك، وأنت قاعد، وهي قائمة، والطبق على رأسها، تخدم من هو واقف على باب الحق عز وجل، وتذل من هو واقف على بابها، كل منها على قدم الغنى والعز بالحق عزوجل".

ويقول وهو يدعو إلى الاستفادة من وسائل الدنيا بدون أن

www.abulhasanalinadwi.org

يكون القلب معلقاً بها، فيقول:

" في الناس من تكون الدنيا بيده ولا يحبها، يملكها ولا تملكه، تحبه ولا يحبها، تعدو خلفه ولا يعدو خلفها، يستخدمها ولا تستخدمه، يفرقها ولا تفرقه، قد صلح قلبه لله عزوجل، ولا تقدر أن تفسده، فيتصرف فيها ولا تتصرف فيه، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "نعم المال الصالح للعبد الصالح".

إنه لا يعارض وجودها في بيت أو صندوق، إنما يعارض وجودها في سويداء القلب، وأعماق النفس فيقول:

"ويحك! الدنيا في اليد يجوز، في الجيب يجوز، ادخارها لسبب وبنية صالحة يجوز، أما في القلب فلا يجوز، وقوفها على البابه يجوز، أما دخولها إلى وراء الباب فلا يجوز، ولا كرامة لك".

ويذم حياة البطالة والعطلة، وأن يعيش الإنسان عيالاً على غيره، فيحث على العمل وكسب الحلال:

"واعبدوا الله عزوجل، واستعينوا على عبادته بكسب الحلال، إن الله تعالى يحب عبداً مؤمناً مطيعاً آكلاً من حلاله، يحب من يأكل ويعمل، ويبغض من يأكل ولا يعمل، يحب من يأكل بكسبه، ويبغض من يأكل بنفاقه وتوكله على الخلق".

ويقول وهو يتحسر على أوضاع المسلمين.

"يا قوم! الإسلام يبكي ويستغيث، يده في رأسه، من هؤلاء الفجار من هؤلاء الفساق، من هؤلاء أهل البدع والضلال من الظلمة، من اللابسين ثياب الزور، من المدعين ما ليس فيهم، انظر إلى من تقدمك، وإلى من كان معك آمراً ناهياً، آكلا شارباً، كأن لم

www.abulhasanalinadwi.org

يكونوا، ما أقسى قلبك، الكلب ينصح صاحبه في صيده وزرعه، وماشيته وحراسته، ويبصبص عند رؤيته، فإنما يطعمه عند عشائه لقمة أو لقمات، أو يطعمه شيئاً يسيراً، وأنت تأكل نعم الله وتشبع بها، لا تعطيه منها مطلوبه، ولا توفيه حقه، ترد أمره، ولا تحفظ حدوده".

ويقول:

"اجعل الخليقة أجمع، كرجل كتفه سلطان عظيم ملكه، شديد أمره، مهولة صولته وسطوته، ثم جعل الغل في رقبته مع رجليه، ثم صلبه على شجرة الأرز، على شاطئ نهر عظيم موجه، فسيح عرضه، عميق غوره، شديد جريه، ثم جلس السلطان على كرسي عظيم قدره، عالية سماؤه، بعيد مرامه، ووصوله، وترك إلى جنبه أحمالاً من السهام والرماح والنبال وأنواع السلاح والقسي مما لا يبلغ قدرها غيره، فجعل يرمي إلى المصلوب بما شاء من ذلك السلاح، فهل يحسن لمن رأى ذلك أن يترك النظر إلى السلطان، ويترك الخوف منه والرجاء له، ويخاف من المصلوب ويرجو منه؟ أليس من فعل يسمى في قضية العقل عديم العقل ومجنوناً بهيمة غير إنسان".

ويقول:

"وانظر إلى من ينظر إليك، أو أقبل إلى من أقبل عليك! وأحبب من يحبك! واستجب من يدعوك إليه! وأعط يدك من يثبتك من سقطتك، ويخرجك من ظلمات جهلك، وينجيك من هلكتك، ويغسلك من أنجاسك، وينظفك من أوساخك، ويخلصك من

www.abulhasanalinadwi.org

جيفتك ونتنك، ومن هممك الرديـة، ونفسك الأمارة بالسوء، وأقرانك الضالين المضلين، شياطينك وهواك وأخلائك الجهال، قطاع طريق الحق عز وجل، الحائلين بينك وبين كل نفيس، وثمين وعزيز! إلى متى العادة؟، إلى متى الخلق؟ إلى متى الهوى؟ إلى متى الرعونة؟ إلى متى الدنيا؟ إلى متى الأخرى؟إلى متى ما سوى المولى؟ أين أنت من خالق الأشياء، المكون للأكوان؟ الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، المرجع والمصدر إليه، وله القلوب، طمأنينة الأرواح، ومحط الأثقال، والعطاء بلا امتنان"[1].

أقواله :

قال (رضي الله عنه وأرضاه) "لابد لكل مؤمن في سائر أحواله من ثلاثة أشياء أمر يمتثله، ونهى يتجنبه وقدر رضى به، فأقل حالة المؤمن لا يخلو فيها من أحد هذه الأشياء الثلاثة، فينبغي له أن يلزم همها قلبه وليحدث بها نفسه ويأخذ الجوارح بها في سائر أحواله.

التواصي بالخير :

قال رضي الله عنه وأرضاه: "اتبعوا و لا تبتدعوا، وأطيعوا ولا تمرقوا، ووحدوا ولا تشركوا، ونزهوا الحق ولا تتهموا، وصدقوا ولا تشكوا، واصبروا ولا تجزعوا، وأثبتوا ولا تنفروا، وأسألوا ولا تسأموا، وانتظروا وترقبوا، ولا تيأسوا، وتؤاخوا ولا تعادوا، واجتمعوا على الطاعة ولا تتفرقوا، وتحابوا ولا تباغضوا، وتطهروا عن الذنوب، وبها لا تتدنسوا، ولا تتلطخوا، وبطاعة ربكم فتزينوا، وعن باب مولاكم فلا تبرحوا، وعن الإقبال عليه فلا

[1] – رجال الفكر والدعوة للشيخ الندوي: ج١ ص: ٢١٨-٢١٩

www.abulhasanalinadwi.org

تتولوا، وبالتوبة فلا تسرفوا، وعن الاعتذار إلى خالقكم في آناء الليل وأطراف النهار فلا تملوا ـ فلعلكم ترحموا وتسعدوا، وعن النار تبعدوا، وفي الجنة تحبروا، وإلى الله توصلوا، وعلى ذلك أبداً تخلدوا، وعلى النجائب تركبوا، وبحور العين وأنواع الطيب وصوت القيان مع ذلك النعم تحبروا، ومع الأنبياء والصديقين والشهداء ترفعوا".

الابتلاء:

قال (رضي الله تعالى عنه وأرضاه) إذا ابتلى العبد ببلية تحرك أولا في نفسه بنفسه، فإن لم يتخلص منها استعان بغيره من الخلق كالسلاطين، وأرباب المناصب، وأبناء الدنيا، وأصحاب الأموال، وأهل الطب في الأمراض والأوجاع، فإن لم يجد في ذلك خلاصه رجع حينئذ إلى ربه بالدعاء والتضرع والثناء، فمادام يجد بنفسه نصرة لم يرجع إلى الخلق، ثم مادام يجد عند الخلق نصرة لم يرجع إلى الخالق، ثم إذا لم يجد عند الخالق نصرة استطرح بين يديه مديماً للسؤال والدعاء والتضرع والثناء، والافتقار مع الخوف منه والرجاء، ثم يعجزه الخالق عزوجل عن الدعاء ولم يجبه حتى ينقطع عن جميع الأسباب فحينئذ ينفذ فيه القدر، ويفعل فيه الفعل، فيغني العبد عن جميع الأسباب والحركات فيبقى روحاً فقط، فلا يرى إلا فعل الحق عز وجل، فيصير موقناً موحداً ضرورة، ويقطع أن لا فاعل في الحقيقة إلا الله، ولا محرك، ولا مسكن، إلا الله، ولا خير ولا شر، ولا ضر ولا نفع، ولا عطاء ولا منع، ولا فتح ولا غلق، ولا موت ولا حياة، ولا عز ولا ذل، ولا غنى ولا فقر إلا بيد الله، فيصير

www.abulhasanalinadwi.org

حينئذ كالطفل الرضيع في يد الظئر، والميت الغسيل في يد الغاسل، والكرة في صولجان الفارس، يقلب ويغير، ويبدل ويكون، ولا حراك به في نفسه ولا في غيره، هو غائب عن نفسه في فعل مولاه، فلا يرى غير مولاه وفعله ولا يرى سواه، ولا يسمع ولا يعقل من غيره إن أبصر فلصنعه أبصر، وإن سمع وعلم فلكلامه سمع ولعلمه علم وبنعمته تنعم، وبقربه تسعد، وبتقربه تزين وتشرف، وبوعده طاب وسكن، وبه اطمأن، وبحديثه أنس، وعن غيره استوحش ونفر، وإلى ذكره التجأ وركن، وبه عزوجل وثق، وعليه توكل، وبنور معرفته اهتدى، وتقمص وتسربل، وعلى غرائب علومه اطلع، وعلى أسرار قدرته أشرف ومعه سمع ووعي، ثم على ذلك حمد وأثنى وشكر ودعا [١].

خصال الشيخ :

قال الشيخ عبد القادر الجيلي: لا يجوز لشيخ أن يجلس على سجادة النهاية، ويتقلد بسيف العناية حتى يكمل فيه اثني عشر خصلة، خصلتان من الله تعالى، وخصلتان من النبي صلى الله عليه وسلم، وخصلتان من أبي بكر رضي الله عنه، وخصلتان من عمر رضي الله عنه، وخصلتان من عثمان رضي الله عنه، وخصلتان من علي رضي الله عنه، فأما اللتان من الله تعالى يكون ستارا غفارا، وأما اللتان من النبي صلى الله عليه وسلم يكون شفيقا رفيقا، وأما اللتان من أبي بكر رضي الله عنه يكون صادقا متصدقا، وأما اللتان

[١] – قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني للشيخ محمد بن يحيى التادفي.

www.abulhasanalinadwi.org

من عمر رضي الله عنه يكون أماراً نهاءاً، وأما اللتان من عثمان رضي الله عنه يكون طعاماً للطعام، مصلياً بالليل والناس نيام، وأما اللتان من علي رضي الله عنه يكون عالماً شجاعاً.

نموذج من شعره

مما ينسب إليه قوله:

إذا لم يكن في الشيخ خمس فوائد
وإلا قد جال يقود إلى الجهل
عليم بأحكام الشريعة ظاهراً
ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل
ويظهر للوراد بالبشر والقرى
ويخضع للمسكين بالقول والفعل
فذاك هو الشيخ المعظم قدره
عليم بأحكام الحرام من الحل
يهذب طلاب الطريق ونفسه
مهذبة من قبل ذوي كرم كلي

ورويت له قصائد بالعربية والفارسية أيضاً.[1]

تنبيه:

يقول ابن رجب: "كان الشيخ عبد القادر في عصره معظماً، يعظمه أكثر مشايخ الوقت من العلماء والزهاد، وله مناقب وكرامات كثيرة، ولكن قد جمع المقرئ أبو الحسن الشطنوفي المصري في أخبار

[1] – قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر، للشيخ محمد بن يحيى التادفي الحنبلي، ص: ١٧.

www.abulhasanalinadwi.org

الشيخ عبد القادر ومناقبه ثلاث مجلدات، وكتب فيها الطم والرم، وكفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع، وقد رأيت بعض هذا الكتاب، ولا يطيب على قلبي أن اعتمد على شيء مما فيه، وذلك لكثرة ما فيه من الرواية عن المجهولين، وفيه من الشطح، والطامات، والدعاوي، والكلام الباطل، ما لا يحصى، ولا يليق نسبة مثل ذلك إلى الشيخ عبد القادر".

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

عبد الرحمن ابن الجوزي[١]

٥١٠-٥٩٧ هـ

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي المعروف بـ "ابن الجوزي" ينتهي نسبه إلى محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، اختلف في نسبته، قيل: إن جده جعفر نسب إلى فرضة من فرض البصرة، يقال لها جوزة، وفرضة النهر: ثلمته التي يستقى منها، وفرضة البحر: محط سفن، وقيل: نسبوه إلى موضع يقال له: فرضة الجوز، وقيل: هو منسوب إلى محلة في البصرة تسمى محلة الجوز، وقيل: كانت بداره في واسط جوزة فعرف بها.

واختلف أيضاً في مولده، فقيل: ولد في سنة ثمان وخمس مائة، وقيل: تسع وخمس مائة، ويرى ابن خلكان أن مولده كان بين سنة ثمان وعشر وخمس مائة، وتوفي ليلة الجمعة ثاني عشر شهر رمضان، سنة سبع وتسعين وخمس مائة ببغداد، ودفن بباب حرب.

و توفي والده وهو ابن ثلاث سنين في بغداد، فلما توفي والده

---

[١] – الذيل على طبقات الحنابلة: ٣٩٩/١، وفيات الأعيان: ١٤٠/٣، تذكرة الحفاظ، شذرات الذهب، الكامل لابن الأثير: ٧١/١٢، البداية والنهاية: ٢٨٠/١٣، عقد الجمان للعيني: ٢٦١/١٧، غاية النهاية للجزري: ٣٧٥/١، تاريخ الإسلام للذهبي: ٩٨، صيد الخاطر، تلبيس إبليس، تاريخ دعوات وعزيمت بالأردية للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي.

www.abulhasanalinadwi.org

كفلته أمه وعمته .

حفظ القرآن الكريم، وقرأه على جماعة من أئمة القراء، وسمع من جماعة من أكابر الشيوخ، كان منهم أبو الفضل بن ناصر وهو خاله، فاعتنى به، وأسمعه الحديث، وسمع أيضاً من علي بن عبد الواحد الدينوري[١]، وابن الحصين، وأبي عبد الله البارع، وسمع صحيح البخاري على أبي الوقت السجزي(٤٥٨-٥٥٣هـ)[٢]، وقرأ الفقة، والخلاف، والجدل، والأصول على أبي بكر الدينوري، وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي(٤٦٩-٥٤٠هـ)[٣]، وكان يتجه منذ نشأته إلى الوعظ.

وذكر الحافظ ابن الدبيثي في ذيله على تاريخ ابن السمعاني: إن الإمام جمال الدين ابن الجوزي صاحب التصانيف في فنون العلم، من التفاسير، والفقه، والحديث، والوعظ، والرقائق، والتواريخ، وإليه انتهت معرفة الحديث، وعلومه، وله في الوعظ العبارة الرائعة، والإشارات الفائقة، والمعاني الدقيقة، والاستعارة الرشيقة، وكان من أحسن الناس كلاماً، وأتمهم نظاماً، وأعذبهم لساناً، وأجودهم بياناً، وبورك في عمره، وعمله .

---

[١]- هو الشيخ المعمر الصدوق أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن أحمد الدينوري، انظر: شذرات الذهب: ٦٤/٤، سير أعلام النبلاء: ٥٢٥/١٩، المنتظم: ٧/١٠ .

[٢]- هوالشيخ الإمام الزاهد شيخ الإسلام مسند الآفاق أبو الوقت عبد الأول بن أبي عبد الله عيسى بن شعيب السجزي، انظر: وفيات الأعيان: ٢٢٦/٣، سير أعلام النبلاء: ٣٠٣/٢٠، المنتظم: ٢٣٩/١٠، البداية والنهاية: ٢٣٨/١٢.

[٣]- هو الإمام اللغوي النحوي أبو منصور موهوب بن أحمد، الجواليقي، انظر: سير أعلام النبلاء: ٨٩/٢٠، وفيات الأعيان: ٣٤٢/٥، معجم الأدباء: ٢٠٥/١٩، البداية والنهاية: ٢٢٠/١٢، المنتظم: ١١٨/١٠.

www.abulhasanalinadwi.org

وقال: أنشدني بواسط لنفسه

يا ساكن الدنيا تأهب وانتظر يوم الفراق
وأعدّ زاداً للرحيل فسوف يحدى بالرفاق
وأبك الذنوب بأدمع تنهل من سحب المآقي
يا من أضاع زمانه أرضيت ما يفني بباق

وقال: وأنشدني:

إذا رضيت بميسور من القوت
أصبحت في الناس حراً غير ممقوت
يا قوت نفسي إذا مادر خلقك لي
فلست آسى على در وياقوت

وقال الموفق عبد اللطيف[1]:

"كان ابن الجوزي لطيف الصورة، حلو الشمائل، رخيم النغمة، موزون الحركات، والنغمات، لذيذ المفاكهة، يحضر مجلسه مائة ألف أو يزيدون، لا يضيع من زمانه شيئاً، يكتب في اليوم أربعة كراريس، ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلداً إلى ستين، وله في كل علم مشاركة، لكنه كان في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفاظ، وفي التاريخ من المتوسعين، ولديه فقه كاف، وأما السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية، إن ارتجل أجاد، وإن روي أبدع.

[1]- هو الفقيه النحوي اللغوي الطبيب ذو الفنون موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف ابن الفقيه يوسف بن محمد الموصلي ثم البغدادي الشافعي، انظر: سير أعلام النبلاء: ٣٢٠/٢٢، طبقات السبكي: ١٣٢/٥، بغية الدعاة: ١٠٦/٢، شذرات الذهب: ١٣٢/٥.

www.abulhasanalinadwi.org

وذكره ابن البزوري في تاريخه، وأطنب في وصفه، وقال: كان إذا وعظ اختلس القلوب، وشققت النفوس دون الجيوب.

وقال ابن النجار بعد ذكر فضائله وعمله: كان رحمه الله مع هذه الفضائل والعلوم الواسعة ذا أوراد وتأله، وله نصيب من الأذواق الصحيحة، وحظ من شرب حلاوة المناجاة، وقد أشار هو إلى ذلك، ولا ريب أن كلامه في المواعظ والمعارف ليس بكلام ناقل أجنبي، ومجرد عن الذوق، بل كلام مشارك فيه.

وذكر ابن القادسي في تاريخه: أن الشيخ كان يقوم الليل، ويصوم النهار، وله معاملات، ويزور الصالحين إذا جن الليل، ولا يكاد يفتر عن ذكر الله، وله في كل يوم وليلة ختمة يختم فيها القرآن، وقيل في أسبوع.

أما تصانيفه فكثيرةٌ جداً، وقد ذكر بعض المؤرخين من تصانيفه أكثر من ثلاث مائة، وذكر بعضهم أكثر من ألف.

وقال الحافظ الذهبي: ما علمت أن أحداً من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل[١].

تأثيره وعظه:

وعظ ابن الجوزي من صغره، وفاق فيه الأقران، ونشأت له في ذلك ملكة عجيبة، وبديهة حاضرة، وتاب على يده الآلاف، وحضر مجالسه الوزراء والحكام، قال ابن الجوزي: تاب على يدي في مجالس الذكر أكثر من مائة ألف، وأسلم على يدي أكثر من مائة نفس، وكم سالت عين متجبر بوعظي لم تكن تسيل.

---

[١] - كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، المجلد الأول ص: ٣٩٩-٤٣٢.

www.abulhasanalinadwi.org

وقد كان مجلسه يقدر في بعض الأحيان بمائة ألف، وحضر مجلسه الخليفة المستضيئ مرات.

يقول الرحالة المغربي ابن جبير الأندلسي في وصف تأثير مجلس وعظه:

"إنه أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ، وآيات بينات من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقاً، وذابت بها الأنفس احتراقاً إلى أن علا الضجيج، وتردد بشهقاته النشيج، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح، كل يلقي ناصيته بيده، فيجزها ويمسح على رأسه داعياً له، ومنهم من يغشى عليه فيرفع في الأذرع إليه، فشاهدنا هولاً يملأ النفوس إنابة وندامة، ويذكرها هول يوم القيامة، فلو لم نركب ثبج البحر ونعتسف مفازات القفر إلا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الرابحة، والوجهة المفلحة الناجحة، والحمد لله على أن منَّ بلقاء من يشهد الجمادات بفضله، ويضيق الوجود عن مثله".

أسلوبه:

عاش ابن الجوزي في القرن السادس للهجرة إلا أنه لم يتأثر بما عرا الأدب في عصره، بل ظل محتفظاً بنضارة العبارة، وبهاء الأسلوب، فتأنق في كلماته، وتفنن في طرق التعبير في أصالة وتمكن، وليس في أسلوبه اعتبار لحلي اللفظ، أو نزول على حكمها، ولكنه يختار لمعانيه الجليلة صورها المناسبة، فكان أديباً، رائق العبارة، ناصع الأسلوب، قادراً على التعبيرات النادرة، والتصوير الدقيق، ولا يكاد الإنسان يحس في أسلوبه فرق الزمن ولا يلمح فيه خصائص عصره.

www.abulhasanalinadwi.org

وقد انتقد ابن الجوزي بشدة شذوذ الصوفية، وخروجهم عن حدود الشرع، وقد استغرق إنكاره عليهم جزءاً كبيراً في كتابه "تلبيس إبليس" وكان يقدره الإمام الغزالي ويأخذ عنه، ولكنه لم يتابعه في مجال التصوف، وقد اعترض على الفقهاء في جمودهم وتقليدهم، وعلى المحدثين، ونقد التراث الفلسفي وأوضاع الحكم، ووقف من عصره موقف الثورة والإصلاح، فنقم عليه كثير من العلماء والحكام، وأصيب بذلك بمحنة في آخر حياته.

نماذج من كلامه :

الغرور بالدنيا :

من تفكر في عواقب الدنيا أخذ الحذر، ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر، ما أعجب أمرك يا من يوقن بأمر ثم ينساه، ويتحقق ضرر حال ثم يغشاه، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه.

تغلبك نفسك على ما تظن، ولا تغلبها على ما تستيقن.

أعجب العجائب، سرورك بغرورك، وسهوك في لهوك، عما قد خبئ لك، تغتر بصحتك، وتنسي دنو السقم، وتفرح بعافيتك غافلاً عن قرب الألم.

لقد أراك مصرع غيرك مصرعك، وأبدى مضجع سواك ـ قبل الممات ـ مضجعك، وقد شغلك نيل لذاتك عن ذكر خراب ذاتك.

كأنك لم تسمع بأخبار من مضى
ولم تر في الباقين مايصنع الدهر
فإن كنت لا تدري فتلك ديارهم
محاها مجال الريح بعدك والقبر

www.abulhasanalinadwi.org

الإفراط في الشهوات :

ويقول :

" تأملت في شهوات الدنيا فرأيتها مصائد هلاك ، وفخوخ تلفٍ ، فمن قوي عقله على طبعه ، وحكم عليه يسلم ، ومن غلب طبعه فيا سرعة هلكته.

الدنيا مفازة ، فينبغي أن يكون السابق فيها العقل ، فمن سلم زمام راحلته إلى طبعه وهواه فيا عجلة تلفه هذا فيما يتعلق بالبدن والدنيا ـ فقس عليه أمر الآخرة فافهم".

ويقول :

"تأملت جهاد النفس فرأيته أعظم الجهاد ، ورأيت خلقاً من العلماء والزهاد لا يفهمون معناه ، لأن فيهم من منعها حظوظها على الإطلاق ، وذلك غلط من وجهين :

أحدهما : أنه رب مانع لها شهوة أعطاها بالمنع أوفى منها مثل أن يمنعها مباحاً فيشتهر بمنعه إياها ذلك ، فترضى النفس بالمنع لأنها قد استبدلت به المدح .

وأخفى من ذلك أن يرى ـ بمنعه إياها ما منع ـ أنه قد فضل من سواه ، ممن لم يمنعها ذلك ، وهذه دفائن تحتاج إلى منقاش فهم يخلصها .

والوجه الثاني : أننا قد كلفنا حفظها ، ومن أسباب حفظها ، ميلها إلى الأشياء التي تقيمها ، فلابد من إعطائها ما يقيمها ، وأكثر ذلك أو كله ما تشتهيه .

ونحن كالوكلاء في حفظها ، لأنها ليست لنا ، بل هي وديعة

www.abulhasanalinadwi.org

عندنا، فمنعها حقوقها على الإطلاق خطر.

ثم رب شد أوجب استرخاء، ورب مضيق على نفسه فرت منه فصعب عليه تلافيها.

علاج البلايا:

ويقول:

"من نزلت به بلية فأراد تمحيقاً فليتصورها أكثر مما هي تهن، وليتخيل ثوابها وليتوهم نزول أعظم منها، ير الربح في الاقتصار عليها.

وليتلمح سرعة زوالها، فإنه لو لا كرب الشدة، ما رجيت ساعات الراحة، وليعلم أن مدة مقامها عنده، كمدة مقام الضيف، يتفقد حوائجه في كل لحظة، فيا سرعة انقضاء مقامه، ويا لذة مدائحه، وبشره في المحافل، ووصف المضيف بالكرم، فكذلك المؤمن في الشدة، ينبغي أن يراعى الساعات، ويتفقد فيها أحوال النفس، ويتلمح الجوارح مخافة أن تبدو من اللسان كلمة، أو من القلب تسخط، فكأن قد لاح فجر الأجر، فانجاب ليل البلاء، ومدح الساري بقطع الدجى، فما طلعت شمس الجزاء، إلا وقد وصل إلى منزل السلامة".

سبل النجاة:

قال ابن الجوزي:

من حشد عشب الذنوب بمنجل الورع، طابت له روضة الاستقامة.

من قطع فضول الكلام بشفرة الصمت، وجد عذوبة الراحة

www.abulhasanalinadwi.org

في القلب .

من ركب مركب الحذر ، مرت به رخاء الهدى إلى رجاء النجاة .

من أرسى على ساحل الخوف ، لاحت له بلاد الأمن .

ألا عزيمة عمرية؟ ألا هجرة سلمانية؟ (نسبة إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه) .

تدارك الماضي :

قال ابن الجوزي :

معشر المذنبين ، اجعلوا أعماركم ثلاثة أيام :

يوم مضى .

ويوم أنتم فيه .

ويوم تنتظرونه ، لا تدرون بما يأتيكم من صلاح أو فساد ، ولعلكم لا تبلغونه .

فأصلحوا اليوم الذي مضى بالندم على ما فاتكم فيه من الطاعة والإحسان ، وما اقترفتم فيه من الذنوب والعصيان .

واليوم الذي مضى إنما تصلحونه في اليوم الذي أنتم فيه بالبكاء والندامة ، وذم النفس مع الملامة .

قيمة الوقت :

قال ابن الجوزي :

رأيت العادات قد غلبت الناس في تضييع الزمان ، وكان القدماء يحذرون من ذلك .

فقد أوصى بعض السلف أصحابه فقال : إذا خرجتم من عندي فتفرقوا ، لعل أحدكم يقرأ القرآن في طريقه ، فإذا اجتمعتم

www.abulhasanalinadwi.org

تحدثتم .

واعلم أن الزمان أشرف من أن يضيع منه لحظة ، فإن في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من قال سبحانه الله العظيم وبحمده غُرست له بها نخلة في الجنة" .

فكم يضيع الآدمي من ساعات يفوته فيها الثواب الجزيل .

وهذه الأيام مثل المزرعة ، فكأنه قيل للإنسان ، كلما بذرت حبة أخرجنا لك ألف صاع ، فهل يجوز لعاقل أن يتوقف في البذر ويتوانى .

رجال لا تلهيهم تجارة :

قال ابن الجوزي :

رجال إذا نظروا اعتبروا .

وإذا سكتوا تفكروا .

وإذا ابتلوا استرجعوا .

وإذا جُهل عليهم حلموا .

وإذا علموا تواضعوا .

وإذا عملوا رفقوا .

وإذا سئلوا بذلوا عوناً للوارد ، وتفضيلاً للقاصد ، حلفاء صدق ، وكهوف ودق .

قد عملوا بالسنة والكتاب ، ونطقوا بالحكمة والصواب .

وحاسبوا أنفسهم قبل يوم الحساب .

وخافوا من عقوبة رب الأرباب .

رجال لزموا البكاء ، ورضوا من الدنيا بالقليل ، وتمسكوا

www.abulhasanalinadwi.org

بالسنة والتنزيل، ومنعوا أنفسهم التسويف والتعليل.

قوة الإرادة:

يقول ابن الجوزي:

ترخصت في شيء يجوز في بعض المذاهب فوجدت في قلبي قسوة عظيمة، وتخايل لي نوع طرد عن الباب، وبعد وظلمة تكاثفت.

فقالت نفسي، ما هذا، أليس ما خرجت عن إجماع الفقهاء.

فقلت لها: يا نفس السوء جوابك من وجهين:

أحدهما أنك تأولت ما لا تعتقدين فلو استفتيت لم تفت بما فعلت.

قالت: لو لم اعتقد جواز ذلك ما فعلته.

قلت: إلا أن اعتقادك ما ترضينه لغيرك في الفتوى.

والثاني أنه ينبغي لك الفرح بما وجدت من الظلمة عقيب ذلك، لأنه لولا نور في قلبك ما أثر مثل هذا عندك.

قالت: فلقد استوحشت بهذه الظلمة المتجددة في القلب.

قلت: فاعزمي على الترك، وقدري ما تركت جائزاً بالإجماع، وعُدي هجره ورعاً، وقد سلمت.

التوسط في المعاملة:

ويقول ابن الجوزي:

مما أفادتني تجارب الزمان أنه لا ينبغي لأحد أن يظاهر بالعداوة أحداً ما استطاع، فإنه ربما يحتاج إليه مهما كانت منزلته.

وإن الإنسان ربما لا يظن الحاجة إلى مثله يوماً ما كما لا يحتاج إلى عويد منبوذ لا يلتفت إليه، لكن كم من محتقر احتيج إليه، فإذا لم

www.abulhasanalinadwi.org

تقع الحاجة إلى ذلك الشخص في جلب نفع وقعت الحاجة في دفع ضرّ.

ولقد احتجت في عمري إلى ملاطفة أقوام ما خطر لي قط وقوع الحاجة إلى التلطف بهم .

واعلم أن المظاهرة بالعداوة قد تجلب أذى من حيث لا يعلم، لأن المظاهر بالعداوة كشاهر السيف ينتظر مضرباً، وقد يلوح منه مضرب خفي، وإن اجتهد المتدرع في ستر نفسه فيغتنمه ذلك العدو .

فينبغي لمن عاش في الدنيا أن يجتهد في أن لا يظاهر بالعداوة أحداً لما بينت من وقوع احتياج الخلق بعضهم إلى بعض وإقدار بعضهم على ضرر بعض .

بين المتعة والخوف :

رأيت النفس تنظر إلى لذات أرباب الدنيا العاجلة وتنسى كيف حصلت وما يتضمنها من الآفات .

وبيان هذا أنك إن رأيت صاحب إمارة وسلطنة فتأملت نعمته وجدتها مشوبة، فإن لم يقصد هو الشر حصل من عماله .

ثم هو خائف منزعج في كل أموره حذر من عدو أن يسيئه، قلق ممن هو فوقه أن يعزله، ومن نظيره أن يكيده .

ثم أكثر زمانه يمضي في خدمة من يخافه من السلاطين، وفي حساب أموالهم، وتنفيذ أوامرهم التي لا تخلو من أشياء منكرة .

وإن عزل أربى ذلك على جميع ما نال من لذة .

ثم تلك اللذة تكون مغمورة بالحذر فيها ومنها وعليها .

وإن رأيت صاحب تجارة قد تقطع في البلاد فلم ينل ما نال

www.abulhasanalinadwi.org

إلا بعد علو السن وذهاب زمان اللذة .

كما حكى أن رجلاً من الرؤساء كان حال شبيبته فقيراً ، فلما كبر استغنى ، وملك أموالاً ، واشترى عبيداً من الترك وغيرهم وجواري من الروم فقال هذه الأبيات في شرح حاله .

ما كنت أرجوه إذ كنت ابن عشرينا
ملكته بعد أن جاوزت سبعينا
تطوف بي من الأتراك أغزلة
مثل الغصون على كثبان يبرينا
وخرد من بنات الروم رائعة
يحكين بالحسن حور الجنة العينا
يغمزنني بأساريع منعمة
تكاد تعقد من أطرافها لينا
يردن إحياء ميت لا حراك به
وكيف يحين ميتاً صار مدفونا
قالوا أنينك طول الليل يسهرنا
فما الذي تشتكي قلت الثمانينا

وهذه الحالة هي الغالبة فإن الإنسان لا يكاد يجتمع له كل ما يحبه إلا عند قرب رحيله ، فإن بدر ما يحب في بداية شبابه فالصبوة مانعة من فهم التدابير أو حسن الالتذاذ.

والإنسان في حالة الصبوة لا يدري أين هو إلا أن يبلغ ، فإذا بلغ كانت همته في المنكوح كيف ما اتفق .

وإن تزوج جاء الأولاد فمنعوه اللذة وانكسر في نفسه وافتقر

www.abulhasanalinadwi.org

إلى الكسب عليهم .

فبينما هو قد دعك في تلك المديدة القريبة من الثلاثين وخطه الشيب فانفرق من نفسه لعلمه أن النساء ينفرقن منه كما قال ابن المعتز بالله :

لقد أتعبت نفسي في مشيبي فكيف تحبني الغيد الكعاب

وهكذا لا ترى المتمتع بالمستحسنات ، إن وجدهن ، لم يجد ما لا يبلغ به المراد .

وإن اشتغل بجمع المال ضاع زمن تمتعه ، وإذا تم المطلوب فالشيب أقبح قذى وأعظم مبغض .

ثم إن صاحب المال خائف على ماله ، محاسب لمعامليه ، مذموم إن أسرف وإن قتر .

ولده يرصد موته ، وجاريته قد لا ترضى بشخصه ، وهو مشغول بحفظ حواشيه .

فقد مضى زمانه في محن ، واللذات فيها خلس معتادة لا لذة فيها .

ثم في القيامة يحشر الأمير والتاجر خزايا إلا من عصم الله .

فإياك إياك أن تنظر إلى صورة نعيمهم فإنك تستطيبه لبعده عنك ، ولو قد بلغته كرهته .

ثم في ضمنه من محن الدنيا والآخرة ما لا يوصف .

فعليك بالقناعة مهما أمكن ، ففيها سلامة الدنيا والدين .

وقد قيل لبعض الزهاد وعنده خبز يابس ، كيف تشتهي هذا ، فقال : أتركه حتى أشتهيه .

www.abulhasanalinadwi.org

مناجاة :

ويقول ابن الجوزي :

وقع بيني وبين أرباب الولايات نوع معاداة لأجل المذهب، فإني كنت في مجلس التذكير، أنظر أن القرآن كلام الله، وأنه قديم، وأقدم أبا بكر.

واتفق في أرباب الولايات من يميل إلى مذهب الأشعري، وفيهم من يميل إلى مذهب الروافض، وتمالؤا علي في الباطن.

فقلت يوماً في مناجاتي للحق سبحانه وتعالى: سيدي نواصي الكل بيدك، وما فيهم من يقدر لي على ضر، إلا أن تجريه على يده، وأنت قلت سبحانك ﴿**وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله**﴾[1].

وطيبت قلب المبتلي بقولك﴿ **قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا**﴾[2].

فإن أجريت على أيدي بعضهم ما يوجب خذلاني كان خوفي على ما نصرته أكثر من خوفي على نفسي، لئلا يقال لو كان على حق ما خذل.

وإن نظرت إلى تقصيري وذنوبي فإني مستحق للخذلان، غير أني أعيش بما نصرته من السنة، فأدخلني في خفارته.

وقد استودعني إياك خلق من صالحي عبادك، فإن لم تحفظني بي فاحفظني بهم.

سيدي انصرني على من عاداني، فإنهم لا يعرفونك كما

---

[1] – البقرة: ١٠٢

[2] – التوبة : ٥١

www.abulhasanalinadwi.org

ينبغي، وهم معرضون عنك على كل حال، وأنا ـ على تقصيري ـ إليك أنسب.

التجلد للأمور:

ويقول ابن الجوزي:

والسعيد من ذل لله وسأل العافية، فإنه لا يوهب العافية على الإطلاق إذ لا بد من بلاء، ولا يزال العاقل يسأل العافية لتغلب على جمهور أحواله فيقرب الصبر على يسير البلاء.

وفي الجملة ينبغي للإنسان أن يعلم أنه لا سبيل إلى محبوباته خالصة، ففي كل جرعة غصص، وفي كل لقمة شجا:

وكم من يعشق الدنيا قديما ولكن لا سبيل إلى الوصال

وعلى الحقيقة ما الصبر إلا على الأقدار، وقل أن تجري الأقدار إلا على خلاف مراد النفس.

فالعاقل من دارى نفسه في الصبر بوعد الأجر، وتسهيل الأمر، ليذهب زمان البلاء سالماً من شكوى، ثم يستغيث بالله تعالى سائلاً العافية.

فأما المتجلد فماعرف الله قط، نعوذ بالله من الجهل به، ونسأله عرفانه، إنه كريم مجيب.

طريق النبوة الطريق الأمثل:

الجادة السليمة والطريق القويمة، الاقتداء بصاحب الشرع، والبدار إلى الاستنان به، فهو الكامل الذي لا نقص فيه.

فإن خلقاً كثيراً انحرفوا إلى جادة الزهد، وحملوا أنفسهم فوق الجهد، فأفاقوا في أواخر العمر، والبدن قد نهك، وفاتت أمور

www.abulhasanalinadwi.org

مهمة من العلم وغيره .

وإن أقواماً انحرفوا إلى صورة العلم فبالغوا في طلبه ، فأفاقوا في أواخر قدم ، وقد فاتهم العمل به .

فطريق المصطفى ﷺ العلم والعمل ، والتلطف بالبدن .

كما أوصى عبد الله بن عمر ، عمرو بن العاص ، وقال له : إن لنفسك عليك حقاً ، ولزوجك عليك حقاً .

فهذه هي الطريق الوسطى ، والقول الفصل .

فأما اليبس المجرد ، فكم فوت من علم ، لو حصل نيل به أكثر مما نيل بالعمل .

فأما مثل العالم كرجل يعرف الطريق ، والعابد جاهل بها ، فيمشي العابد من الفجر إلى العصر ، ويقوم العالم قبيل العصر فيلتقيان وقد سبق العلم فضل شوطه .

فإن قال قائل : بين لي هذا ، قلت : صورة التعبد خدمة لله تعالى ، وذل له ، وربما لم يطلع العابد على معنى تلك الصورة ، لأنه ربما ظن أنه أهل لوجود الكرامة على يده ، وأنه مستحق تقبيل يده ، أو إنه خير من كثير من الناس ، وذلك كله لقلة العلم .

وأعني بالعلم فهم أصول العلم ، لا كثرة الرواية ، ومطالعة مسائل الخلاف .

فإذا طالع العالم الأصولي ، سبق هذا العابد بحسن خلق ، ومداراة الناس ، وتواضعه في نفسه ، وإرشاده الخلق إلى الله تعالى .

فيعسر هذا على العابد ، وهو في ليل جهله بالحال راقد .

ربما تزوج العابد ثم حمل نفسه على التجفف فحبس زوجته

www.abulhasanalinadwi.org

عن مطلوبها، ولم يطلقها، وصار كالتي حبست الهرة فلا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض.

ومن تأمل حالة الرسول ﷺ، رأى كاملاً من الخلق يعطي كل ذي حق حقه.

فتارة يمزح، وتارة يضحك، ويداعب الأطفال، ويسمع الشعر، ويتكلم بالمعاريض، ويحسن معاشرة النساء، ويأكل ما قدر عليه وأتيح له، وإن كان لذيذاً كالعسل، ويستعذب له الماء، ويفرش له في الظل، ولم ينكر ذلك.

ولم يسمع عنه ما حدث بعده من جهال المتصوفة والمتزهدين، من منع النفس شهواتها على الإطلاق.

فقد كان يأكل البطيخ بالرطب، ويقبل، ويمص اللسان، ويطلب المستحسنات.

فأما أكل خبز الشعير، ووزن المأكول، وتجفيف البدن، وهجر كل مشتهي، فإنه تعذيب للنفس، وهدم للبدن، لا يقتضيه عقل، ولا يمدحه شرع.

وإنما اقتنع أقوام بالقليل، لأسباب مثل أن حدثت شبهة فتقللوا، أو اختلط طعام بطعام فتورعوا.

ثم كان النبي ﷺ يوفي العبادة حقها بقيام الليل، والاجتهاد في الذكر.

فعليك بطريقته التي هي أكمل الطرق، وبشرعته التي لا شوب فيها، ودع حديث فلان وفلان من الزهاد، واحمل أمرهم على أحسن محمل، وأقم لهم الأعذار مهما قدرت.

www.abulhasanalinadwi.org

فإن لم تجد عذراً فهم محجوجون بفعله، إذ هو قدوة الخلق، وسيد العقلاء.

وهل فسد الناس إلا بالانحراف عن الشريعة.

ولقد حدثت آفات من المتصوفة والمتزهدين، خرقوا بها شبكة الشريعة وعبروا، فمنهم من يدعي المحبة والشوق، ولا يعرف المحبوب.

فتراه يصيح ويستغيث ويمزق ثيابه ويخرج عن حد الشرع بدعواه ومضمونها.

ومنهم من حمل على نفسه بالجوع والصوم الدائم، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال لعبد الله بن عمرو: "صم يوماً وأفطر يوماً فقال أريد أفضل من ذلك فقال: لا أفضل".

وفيهم من خرج إلى السياحة فأفات نفسه الجماعة، وفيهم من دفن كتب العلم، وقعد يصلي ويصوم، ولم يعلم أن دفنها خطأ قبيح، لأن النفس تغفل وتحتاج إلى التذكير في كل وقت، ونعم المذكر كتب العلم.

وإنما دخل إبليس على كل قوم منهم من حيث قدر، وكان مقصوده بدفن الكتب إطفاء المصباح ليسير العابد في الظلمة.

وما أحسن ما قال بعض العلماء لرجل سأله فقال: أريد أن أمضي إلى جبل الآكام، فقال هذه ـ هوكلة ـ وهذه كلمة عامية معناها حب البطالة.

وعلى الحقيقة الزهاد في مقام الخفافيش، قد دفنوا أنفسهم بالعزلة عن نفع الناس، وهي حالة حسنة إذا لم تمنع من خير من جماعة، واتباع جنازة، وعيادة مريض.

www.abulhasanalinadwi.org

إلا أنها حالة الجبناء، فأما الشجعان فهم يتعلمون ويعلمون، وهذه مقامات الأنبياء عليهم السلام.

أترى كم بين العابد إذا نزلت به حادثة وبين الفقيه؟

بالله لو مال الخلق إلى التعبد لضاعت الشريعة.

على أنه لو فهم معنى التعبد لم يقتصر به على الصلاة والصوم فرب ماش في حاجة مسلم فضل تعبده ذلك على صوم سنة.

والعمل بالبدن سعي الآلات الظاهرة، والعلم سعي الآلات الباطنة من العقل والفكر والفهم، فذلك كان أشرف.

فإن قلت: كيف تذم المعتزلين للشر وتنفي عنهم التعبد؟ قلت: ما أذمهم، بل حدثت منهم حوادث اقتضاها الجهل من الدعاوي والآفات التي سببها قلة العلم، وحملوا على أنفسهم التي ليست لهم، وعن غير إذن الآمر ما لم يجز.

حتى أن أحدهم يرى أن فعل ما يؤذي النفس على الإطلاق فضيلة، وحتى قال بعض الحمقى: دخلت الحمام فوجدت غفلة، فآليت أن لا أخرج حتى أسبح كذا وكذا تسبحية، فطال الأمر فمرضت.

وهذا رجل خاطر بنفسه في فعل ما ليس له، ومن المتصوفة والزهاد من قنع بصورة اللباس وركب من الجهل في الباطن ما لا يسعه كتاب.

طهر الله الأرض منهم وأعان العلماء عليهم.

فإن أكثر الحمقى معهم، فلو أنكر عالم على أحدهم مال العوام على العالم بقوة الجهل.

www.abulhasanalinadwi.org

ولقد رأيت كثيراً من المتعبدين وهو في مقام العجائز يسبح تسبيحات لا يجوز النطق بها، ويفعل في صلاته ما لم ترد به السنة.

ولقد دخلت يوماً على بعض من كان يتعبد، وقد أقام إماماً وهو خلفه في جماعة يصلي بهم صلاة الضحى ويجهر، فقلت لهم: إن النبي ﷺ قال: "صلاة النهار عجماء" فغضب ذلك الزاهد وقال: كم ينكر هذا علينا.

وقد دخل فلان وأنكر، وفلان وأنكر، نحن نرفع أصواتنا حتى لا ننام، فقلت: واعجباً ومن قال لكم لا تناموا، أليس في الصحيحين من حديث ابن عمرو أن النبي ﷺ قال له: "قم ونم" وقد كان رسول الله ﷺ ينام، ولعله ما مضت عليه ليلة إلا ونام فيها.

ولقد شاهدت رجلاً كان يقال له حسين القزويني بجامع المنصور وهو يمشي في الجامع مشياً كثيراً دائماً، فسألت ما السبب في هذا المشي؟ فقيل لي حتى لا ينام.

وهذه كلها حماقات أوجبتها قلة العلم، لأنه إذا لم تأخذ النفس حظها من النوم اختلط العقل، وفات المراد من التعبد لبعد الفهم.

ولقد حدثني بعض الصالحين المجاورين بجامع المنصور أن رجلاً اسمه كثير دخل عليهم الجامع فقال: إني عاهدت الله على أمر ونقضته، وقد جعلت عقوبتي لنفسي أن لا آكل شيئاً أربعين يوماً، قال: فمكث منها عشرة أيام قريب الحال يصلي في جماعة، ثم في العشر الثاني بان ضعفه وكان يداري الأمر، ثم صار في العشر الثالث يصلي قاعداً، ثم استطرح في العشر الرابع، فلما تمت الأربعون جئ

www.abulhasanalinadwi.org

بنقوع فشربه فسمعنا صوته في حلقه مثل ما يقع الماء على المقلاة، ثم مات بعد أيام.

فقلت: يا لله العجب، انظروا ما فعل الجهل بأهله، ظاهر هذا أنه في النار، إلا أن يعفى عنه.

ولو فهم العامي وسأل العلماء لعرفوه أنه يجب عليه أن يأكل، وأن ما فعله بنفسه حرام.

ولكن من أعظم الجهل استبداد الإنسان بعلمه، وكل هذه الحوادث نشأت قليلاً قليلاً حتى تمكنت.

فأما الشرب الأول فلم يكن فيه من هذا شيء، وما كانت الصحابة تفعل شيئاً من هذه الأشياء، وقد كانوا يؤثرون ويأكلون دون الشبع، ويصبرون إذا لم يجدوا، فمن أراد الاقتداء فعليه برسول الله ﷺ وأصحابه، ففي ذلك الشفاء والمطلوب.

ولا ينبغي أن يخلد العاقل إلى تقليد معظم شاع اسمه، فيقول: قال: أبو يزيد، وقال الثوري، فإن المقلد أعمى.

وكم قد رأينا أعمى يأنف من حمل عصا، فمن فهم هذا المشار إليه طلب الأفضل والأعلى والله الموفق.

أساس البدع:

تأملت الدخل الذي دخل في ديننا من ناحيتي العلم والعمل فرأيته من طريقين قد تقدما هذا الدين وأنس الناس بهما.

فأما أصل الدخل في العلم والاعتقاد فمن الفلسفة

وهو أن خلقاً من العلماء في ديننا لم يقنعوا بما قنع به رسول الله ﷺ من الانعكاف على الكتاب والسنة، فأوغلوا في النظر في

www.abulhasanalinadwi.org

مذاهب أهل الفلسفة، وخاضوا في الكلام الذي حملهم على مذاهب ردية أفسدوا بها العقائد.

وأما أصل الدخل في باب العمل فمن الرهبانية.

فإن خلقاً من المتزهدين أخذوا عن الرهبان طريق التقشف، ولم ينظروا في سيرة نبينا ﷺ وأصحابه، وسمعوا ذم الدنيا وما فهموا المقصود.

فاجتمع لهم الإعراض عن علم شرعنا مع سوء الفهم للمقصود، فحدثت منهم بدع قبيحة.

فأول ما ابتدأ به إبليس أنه أمرهم بالإعراض عن العلم، فدفنوا كتبهم وغسلوها.

وألزمهم زاوية التعبد فيما زعم، وأظهر لهم من الخزعبلات ما أوجب إقبال العوام عليهم فجعل إلهم هواهم.

ولو علموا أنهم منذ دفنوا كتبهم وفارقوا العلم انطفأ مصباحهم ما فعلوا.

لكن إبليس كان دقيق المكر يوم جعل علمهم في دفين تحت الأرض.

وبالعلم يعلم فساد الطريقين ويهتدى إلى الأصوب.

نسأل الله عز وجل أن لا يحرمنا إياه فإنه النور في الظلم، والأنيس في الوحدة، والوزير عند الحادثة.

علو الهمة:

ويقول ابن الجوزي:

ما ابتلي الإنسان قط بأعظم من علو همته، فإن من علت

www.abulhasanalinadwi.org

همته يختار المعالي، وربما لا يساعد الزمان، وقد تضعف الآلة، فيبقى في عذاب.

وإني أعطيت من علو الهمة طرفاً فأنا به في عذاب، ولا أقول ليته لم يكن فإنه إنما يحلو العيش بقدر عدم العقل، والعاقل لا يختار زيادة اللذة بنقصان العقل.

ولقد رأيت أقواماً يصفون علو هممهم، فتأملتها فإذا بها في فن واحد، ولا يبالون بالنقص فيما هو أهم، قال الرضي:

ولكل جسم في النحول بليـــة
بلاء جسمي من تفاوت همتي

فنظرت فإذا غاية أمله الإمارة، وكان أبو مسلم الخراساني في حال شبيبته لا يكاد ينام، فقيل له في ذلك فقال: ذهن صاف، وهم بعيد، ونفس تتوق إلى معالي الأمور، مع عيش كعيش الهمج الرعاع

قيل: فما الذي يبرد غليلك قال: الظفر بالملك.

قيل: فاطلبه، قال: لا يطلب إلا بالأهوال.

قيل: فاركب الأهوال، قال: العقل مانع.

قيل: فما تصنع؟ قال: سأجعل من عقلي جهلاً، وأحاول به خطراً لا ينال إلا بالجهل، وأدبر بالعقل ما لا يحفظ إلا به، فإن الخمول أخو العدم.

فنظرت إلى حال هذا المسكين فإذا هو قد ضيع أهم المهمات وهو جانب الآخرة، وانتصب في طلب الولايات، فكم فتك وقتل؟ حتى نال بعض مراده من لذات الدنيا.

ثم لم يتنعم في ذلك غير ثمان سنين.

www.abulhasanalinadwi.org

ثم اغتيل، ونسى تدبير العقل، فقتل ومضى إلى الآخرة على أقبح حال، وكان المتنبي يقول:

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه
ومركوبه رجـــلاه والثوب جلـده
ولكن قلبـا - بين جنبـي - مالـــه
مدى ينتهـي بي في مـراد أحـدّه
يرى جسمـــه يكسي شفوفا تربُّـه
فيختار أن يكسر دروعـا تهـدُّه

فتأملت هذا الآخر فإذا نهمته فيما يتعلق بالدنيا فحسب.

ونظرت إلى علو همتي فرأيتها عجباً، وذلك أنني أروم من العلم ما أتيقن أني لا أصل إليه، لأني أحب نيل كل العلوم على اختلاف فنونها.

وأريد استقصاء كل فن، هذا أمر يعجز العمر عن بعضه.

فإن عرض لي ذو همة في فن قد بلغ منتهاه رأيته ناقصاً في غيره، فلا أعد همته تامة، مثل المحدث فاته الفقه، والفقيه فاته علم الحديث، فلا أرى الرضى بنقصان من العلوم إلا حادثاً عن نقص الهمة.

ثم إني أروم نهاية العمل بالعلم، فأتوق إلى ورع بشر، وزهادة معروف، وهذا مع مطالعة التصانيف، وإفادة الخلق ومعاشرتهم بعيد.

ثم إني أروم الغني عن الخلق، وأستشرف الإفضال عليهمْ، والاشتغال بالعلم مانع من الكسب، وقبول المنن مما تأباه الهمة العالية..

www.abulhasanalinadwi.org

ثم إني أتوق إلى طلب الأولاد، كما أتوق إلى تحقيق التصانيف ليبقى الخلفان نائبين عني بعد التلف، وفي طلب ذلك ما فيه من شغل القلب المحب للتفرد.

ثم إني أروم الاستمتاع بالمستحسنات، وفي ذلك امتناع من جهة قلة المال، ثم لو حصل فرق جمع الهمة.

وكذلك أطلب لبدني ما يصلحه من المطاعم والمشارب، فإنه متعود للترفه واللطف، وفي قلة المال مانع، وكل ذلك جمع بين أضداد.

فأين أنا وما وصفته من حال من كانت غاية همته الدنيا.

وأنا لا أحب أن يخدش حصول شيء من الدنيا وجه ديني بسبب ولا أن يؤثر في علمي ولا في عملي.

فواقلقي من طلب قيام الليل، وتحقيق الورع مع إعادة العلم، وشغل القلب بالتصانيف، وتحصيل ما يلائم البدن من المطاعم.

ووا أسفي على ما يفوتني من المناجاة في الخلوة مع ملاقاة الناس وتعليمهم، ويا كدر الورع مع طلب ما لا بد منه للعائلة.

غير أني قد استسلمت لتعذيبي، ولعل تهذيبي في تعذيبي، لأن علو الهمة تطلب المعالي المقربة إلى الحق عز وجل.

وربما كانت الحيرة في الطلب دليلاً إلى المقصود، وها أنا أحفظ أنفاسي من أن يضيع منها نفس في غير فائدة.

وإن بلغ همّي مراده.. وإلا فنية المؤمن أبلغ من عمله.

تعليل النفس:

ويقول ابن الجوزي:

www.abulhasanalinadwi.org

مر بي حمالان تحت جذع ثقيل، وهما يتجاوبان بإنشاد النغم، وكلمات الاستراحة.

فأحدهما يصغي إلى ما يقوله الآخر، ثم يعيده أو يجيبه بمثله، والآخر همته مثل ذلك.

فرأيت أنهما لو لم يفعلا هذا زادت المشقة عليهما، وثقل الأمر، وكلما فعلا هذا هان الأمر.

فتأملت السبب في ذلك، فإذا به تعليق فكر كل واحد منهما بما يقوله الآخر، وطربه به، وإحالة فكره في الجواب بمثل ذلك، فينقطع الطريق، وينسى ثقل المحمول.

فأخذت من هذا إشارة عجيبة، ورأيت الإنسان قد حمل من التكليف أموراً صعبة، ومن أثقل ما حمل مداراة نفسه، وتكليفها الصبر عما تحب، وعلى ما تكره.

فرأيت الصواب قطع طريق الصبر التسلية والتلطف للنفس، كما قال الشاعر:

فإن تشكت فعللها المجرة من
ضوء الصباح وعدها بالرواح ضحى

ومن هذا ما يحكى عن بشر الحافي رحمة الله عليه، سار ومعه رجل في طريق فعطش صاحبه، فقال له: نشرب من هذه البئر؟ فقال بشر: اصبر إلى البئر الأخرى، فلما وصلا إليها قال له: البئر الأخرى.

فما زال يعلله.. ثم التفت إليه فقال له: هكذا تنقطع الدنيا.

ومن فهم هذا الأصل علل النفس وتلطف بها، ووعدها الجميل لتصبر على ما قد حملت كما كان بعض السلف يقول

www.abulhasanalinadwi.org

لنفسه: والله ما أريد بمنعك من هذا الذي تحبين إلا الإشفاق عليك.

وقال أبو يزيد رحمة الله عليه: ما زلت أسوق نفسي إلى الله تعالى وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك.

واعلم أن مدارة النفس والتلطف بها لازم، وبذلك ينقطع الطريق، فهذا رمز إلى الإشارة، وشرحه يطول.

دعاء المنكسرين:

ويقول ابن الجوزي:

عرض لي أمر يحتاج إلى سؤال الله عز وجل ودعائه، فدعوت وسألت، فأخذ بعض أهل الخير يدعو معي، فرأيت نوعاً من أثر الإجابة.

فقالت لي نفسي: هذا بسؤال ذلك العبد لا بسؤالك، فقلت لها: أما أنا فإني أعرف من نفسي من الذنوب والتقصير ما يوجب منع الجواب، غير أنه يجوز أن يكون أنا الذي أجبت، لأن هذا الداعي الصالح سليم مما أظنه من نفسي، إذ معي انكسار تقصيري ومعه الفرح بمعاملته.

وربما كان الاعتراف بالتقصير أنجح في الحوائج، على أنني أنا وهو نطلب من الفضل، لا بأعمالنا، فإذا وقفت أنا على قدم الانكسار معترفاً بذنوبي، وقلت اعطوني بفضلكم فمالي في سؤالي شيء أجبت به.

وربما تلمح ذاك حسن عمله وكان صاداً له.

فلا تكسريني أيتها النفس فيكفيني كسر علمي بي لي.

ومعنى من العلم الموجب للأدب، والاعتراف بالتقصير،

www.abulhasanalinadwi.org

وشدة الفقر إلى ما سألت، ويقيني بفضل المطلوب عنه، ما ليس مع ذلك العابد، فبارك الله في عبادته، فربما كان اعترافي بتقصيري أوفى.

آثار الأدب :

ويقول ابن الجوزي :

رأيت كلاب الصيد إذا مرت بكلاب المحلة نبحتها هذه، وبالغت وأسرعت خلفها، وكأنها تراها مكرمة مجللة فتحسدها على ذلك .

ورأيت كلاب الصيد حينئذ لا تلتفت إليها ولا تعيرها الطرف ولا تعد نباحها شيئاً، فرأيت أن كلاب الصيد كأنها ليست من جنس تلك الكلاب .

لأن تلك غليظة البدن كثيفة الأعضاء، لا أمانة لها، وهذه لطيفة دقيقة الخلقة ومعها آداب قد ناسبت خلقتها اللطيفة .

وأنها تحبس الصيد على مالكها خوفاً من عقابه، أو مراعاة شكر نعمته عليها، فرأيت أن الأدب وحسن العشرة يتبع لطافة البدن وصفاء الروح .

وهكذا المؤمن العاقل لا يلتفت إلى حاسده ولا يعده شيئاً، إذ هو في واد وذاك في واد .

ذاك يحسده على الدنيا، وهذا همته الآخرة فيا بعد ما بين الوادين [١].

مصنفاته :

ولابن الجوزي مؤلفات كثيرة منها :

(١)المغني في التفسير(٢) زاد المسير في علم التفسير(تسعة

[١] – صيد الخاطر لابن الجوزي .

www.abulhasanalinadwi.org

أجزاء)(٣) تيسير البيان في تفسير القرآن(٤) عمدة الراسخ في معرفة المنسوخ والناسخ(٥) منهاج الوصول إلى علم الأصول(٦) منهاج أهل الإصابة (٧) جامع المسانيد بألخص الأسانيد(٨) التحقيق في أحاديث التعليق (٩) الموضوعات من الأحاديث المرفوعات (١٠) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية(١١) مناقب أبي بكر (١٢) فضائل عمر ابن الخطاب (١٣) مناقب علي (١٤) فضائل عمر بن عبد العزيز (١٥) فضائل سعيد بن المسيب والحسن البصري، والفضيل، والثوري، وابن حنبل، وغيرهم (١٦) تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ في السير(١٧) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٨) الإنصاف في مسائل الخلاف (١٩) عمدة الدلائل في مشتهر المسائل (٢٠) علوم الوعظ (٢١) اليواقيت في الخطب (٢٢) نسيم الرياض (٢٣) المدهش (٢٤) نزهة الأديب (٢٥) تحفة الوعاظ(٢٦) ذم الهوى(٢٧) سيد الخاطر (٢٨) الأذكياء.

وفاته:

كانت وفاته سنة ٥٩٧هـ (١٢٠٠م) وقد أوصى أن يكتب على قبره:

يا كثير الصفح عمن كثر الذنب لديه
جاءك المذنب يرجو الصفح عن جرم يديه
أنا ضيف وجزاء الضيف إحسان إليه

رحم الله ابن الجوزي جزاء ما قدم للإسلام والمسلمين، فلقد كان مجدد عصره، وفريد دهره، والحمد لله رب العالمين.

www.abulhasanalinadwi.org

جلال الدين الرومي [١]

٦٠٤- ٦٧٢هـ

مولده ونشأته :

ولد جلال الدين محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن أحمد ابن قاسم بن مسيب بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه في ٦/ربيع الأول سنة ٦٠٤هـ في "بلخ" من أعمال أفغانستان، وكان والده محمد الملقب "بهاء الدين" من كبار علماء بلاده ومشايخ عصره، وقد لقب بسلطان العلماء.

بدأ جلال الدين الرومي دراسته عند الشيخ برهان الدين المحققي "الترمذي" الذي كان من تلاميذ والده، وكان عصر جلال الدين عصر غلبة العلوم العقلية، وكان الناس يعكفون على دراسة هذه العلوم، يصف الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي اتجاه العلم والثقافة في القرن السابع بقوله:

"طغى على العالم الإسلامي الجفاف الخلقي - إن صح التعبير - وإذا كان الغلو في القياس والاستدلال قد أفاد العقول جدة ونشاطاً،

---

[١] - الجواهر المضيئة: ١٢٣/٢، كشف الظنون: ١٥٨٧، دائرة المعارف الإسلامية: ٦٠/٧، رجال الفكر والدعوة في الإسلام: للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، الجزء الأول، الأعلام للزركلي: ٣٠/٧، صاحب المثنوي للأستاذ المحقق القاضي تلميذ حسين الهندي..

www.abulhasanalinadwi.org

فقد أفقد القلوب إيماناً وحرارة، وقد جدد العلامة فخر الدين الرازي (م ٦٠٦هـ)[١] دولة علم الكلام ووسعها بشخصيته القوية، ومؤلفاته العظيمة، وبحوثه الدقيقة.

استطاع المتكلمون بقوة استدلالهم وبراعتهم في المناظرة أن يقطعوا لسان المعترضين، ويفحموا المجادلين، ولكنهم لم يستطيعوا أن يبعثوا في القلوب سكينة وإيماناً، وفي أهل الشك يقيناً وإذعاناً"[٢]، (الجزء الأول).

كان ذلك هو الجو السائد، ولكن والد جلال الدين الشيخ بهاء الدين كان ينتقد علماء العصر لعكوفهم على دراسة العلوم العقلية وتعليمها وانصرافهم عن القرآن الكريم والحديث الشريف، وكانت هذه المواقف المعارضة للميول العامة تسببت المعارضة الشديدة له من العلماء ورجال الحكم، فاضطر إلى الهجرة إلى "قونيه" سنة ٦٢٦هـ بدعوة من علاء الدين كيقباد سلطان الروم، ومكث الشيخ بهاء الدين في "قونيه" سنتين، وتوفي بها في عام ٦٣٨هـ، وخلفه ولده جلال الدين، وبنى له الأمير بدر الدين "كهرتاش" أستاذ السلطان، مدرسة عرفت بمدرسة "خداوندكار"، ووقف لها أوقافاً واسعة، وولاه برئاستها.

التدريس والوعظ :

اشتغل جلال الدين بالتدريس والوعظ والإرشاد على نمط

---

[١] – هو من كبار الأذكياء والحكماء والمصنفين، ولد سنة ٥٤٤هـ، وانظر : الكامل في التاريخ: ١٢/١٢٠، عيون الأنباء: ٣/٣٤، وفيات الأعيان: ٤/٢٤٨، سير أعلام النبلاء: ٢١/٥٠٠، طبقات السبكي: ٥/٣٣، الرازي مفسراً للدكتور عبد الحميد.

[٢] – رجال الفكر والدعوة في الإسلام، للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي.

www.abulhasanalinadwi.org

والده، ثم سافر إلى الشام سنة ٦٣٠هـ، ومكث في المدرسة "الحلاوية" بحلب، واستفاد من كمال الدين ابن العديم، وكان من كبار علماء حلب، ثم توجه إلى دمشق، وأقام بالمدرسة "المقدسية"، وكانت له مجالس لطيفة مع الشيخ محي الدين ابن عربي(م٦٣٨هـ) والشيخ سعد الدين الحلبي، والشيخ عثمان الرومي، والشيخ أوحد الدين الكرماني، والشيخ صدر الدين القونوي، وقد اجتمعوا في دمشق في ذلك العصر.

رجع جلال الدين في سنة ٦٣٤هـ إلى"قونيه" وعكف على التدريس والإفتاء، وقد جمع علوم أهل العقل، وأهل القلب، إلا أن نزوع والده إلى تزكية القلب، وتربية أستاذه الذي كان من تلاميذ والده، وكان على نهجه كانت بمثابة البذرة الأولى التي نبتت وأثمرت فيما بعد، وغلبت على طبيعته العلمية والعقلية.

اتصاله بالشيخ شمس الدين التبريزي وتغير حالته وانقطاعه عن التدريس :

اشتغل جلال الدين بالتدريس والوعظ والإرشاد، لكن كان يشعر بنزوع قلبي إلى شيء آخر، ولم يكن قلبه مرتاحاً مطمئناً بشغله بالكتب، وقد حرك هذه الشرارة التي كانت مدفونة لقاء شخص كان من أهل القلوب، ففتق قريحته، وأشعل مواهبه، وتغيرت به حياته، وانطلق إلى طريق آخر، غير طريق المدرسين والوعاظ، وظهرت شخصية جديدة، نالت الخلود، ولا يزال كلامه الذي صدر من قلبه وقلمه، يحمل التأثير والنفوذ، وغير كلامه حياة عدد لا يحصى من الذين استفادوا منه، ونقل إلى لغات مختلفة، ولايعرف تاريخ الأدب

www.abulhasanalinadwi.org

الفارسي كلاماً له تأثير كتأثير كلام جلال الدين الرومي .

وهذه الشخصية التي أشعلت مواهبه وأثارت في نفسه العاطفة، وغيرت مجرى حياته هو شخصية الشيخ شمس تبريز.

كان الشيخ محمد بن علي بن ملك داد المعروف بشمس تبريز من أهل القلوب، إنه وصل إلى قونيه عام ٦٤٢هـ، وصادف أن الشيخ جلال الدين كان يسير في موكب من العلماء، مبجلاً ومكرماً، يلتف به أهل العلم، يستفتونه، ويستفيدون من علمه، فسأله الشيخ تبريز عند ما رآه في هذا الجو المهيب، يتمتع بكل إجلال وإكرام: ما المقصود من الرياضيات والعلوم؟.

قال جلال الدين: الاطلاع على آداب الشرع .

قال شمش الدين بهدوء وثقة: لا، بل الوصول إلى المعلوم، وأنشد بيت شاعر حكيم وهو الحكيم سنائي(أبو المجد ابن آدم السنائي الشاعر الصوفي المشهور (ت ٥٢٥هـ) معناه:

"إن العلم إذا لم يجردك من نفسك، فالجهل خير منه" .

تحير الشيخ جلال الدين على هذا الجواب، ولم يكن يتوقع أنه سيأتي بهذا الرد وأنه سيهجم على ما هجم، وأثار جواب الشيخ شمس تبريز في نفسه أسئلة كثيرة، وكأن الشيخ تبريز سلخ من ذهنه كل ما كان يعرفه، وشعر كأن هناك أشياء كثيرة لا يعرفها، فتخلى من كل ما يتمتع به من إكرام وإجلال للعلماء، وسار خلفه بحثاً عن العلم الحقيقي .

في تربية الشيخ شمس الدين تبريز:

قضى جلال الدين أربعين يوماً في صحبة أستاذه الجديد،

www.abulhasanalinadwi.org

وامتلأ بروح جديدة، وانكشف له عالم جديد، من الحقائق والأذواق، وقد أشار إلى هذه الحالة الجديدة في شعر له معناه:

"إن الشمس التبريزي أراني طريق الحقيقة.

وإني أدين له في إيماني ويقيني".

وقد قضى جلال الدين هذه المدة كتلميذ صغير، لأنه عرف أن سائر العلوم التي كان يحملها لا تعدل شيئاً أمام هذا العلم الجديد.

وخضع جلال الدين لشيخه الجديد خضوعاً كاملاً، وانصرف إليه انصرافاً كلياً، وتشاغل عن تلاميذه، فكبر ذلك عليهم وثاروا، وقالوا: لقد صرفنا أعمارنا في خدمة الشيخ، شاهدنا كراماته، وبنا طار ذكره في الآفاق، وجاء رجل غريب مجهول وقطعه عنا.

وتوقف جلال الدين عن إلقاء الدروس، وانقطع عن تلاميذه ومحبيه، فشق ذلك عليهم، ونشأ في نفوسهم رد فعل عنيف ضد شيخه، وأشاعوا عنه أشياء تثير الشكوك والشبهات فيه، وتدبروا ليخلو لهم الجو، فخاف شمس الدين الشر والفتنة، فخرج من "قونيه" في شوال عام ٦٤٣هـ بعد أن أقام بها عاماً وأربعة أشهر.

غيبة شمس الدين وغلبة الحزن والوجد على فراقه:

أثار هذا البين لواعج الشوق في قلب جلال الدين، وأدى الوجد على الفراق إلى انعزاله كلياً، واشتد حزنه، واستمر في مثل هذا الحال إلى أن جاءت رسالة مشجعة من دمشق فطابت نفس جلال الدين، وهدأ باله، فعاد إلى إفادته، وكتب إلى شيخه رسائل يبدي فيها حبه وغرامه ووجده، يقول في إحداها:

www.abulhasanalinadwi.org

أيها النور في الفـــؤاد تعـــــال
غاية الوجـــد والمراد تعـــــال
أيها السابق الـذي سبقت منـك
مصدوقـــة الـــوداد تعـــــال
"جون بيائي، زهي كشاد ومراد
"جون نيائي، زهي كاد تعـــال
أنت كالشمس إذ دنت ونـــأت
يا قـريباً على البعـــاد تعـــال

وأرسل جلال الدين هدايا إلى شيخه ورسالة يطلب منه العفو عمن آذاه وأن يعود إلى "قونيه".

عـاد الشيخ شمس الدين إلى "قونيـه" لكـن ثـارت الفتنـة مـن جديد، فغاب شمس الدين ثانية، واشترك في هذه الفتنـة بعـض أولاد الشيخ جلال الدين.

وثارت الشـجون في نفس جلال الديـن مرة أخرى، فخـرج يبحث عن شيخه، ووصـل إلى دمشـق، وأشـعل قلـوب أهـل دمشـق حباً وغراماً، ولما لم ير للشمس عيناً ولا أثـراً سكنت نفسـه، وقـال: لا فرق بيني وبين شمس الدين، إنـه كـان شمسـاً فأنـا ذرة، وإن كـان هو بحراً فأنا قطرة، ونور الذرة من الشمس وحياة القطرة من البحـر، ورجع إلى "قونيه"، فكان لا يجالس إلا من يوافقه في ذوقه وعاطفتـه، كان منهم الشيخ صلاح الديـن الدقـاق، والشيخ حسـام الديـن، وفي هذه الفترة سالت قريحته بشعر دقيق يضمه المثنوي، وهو الشعر الـذي نال الخلود بتأثيره.

www.abulhasanalinadwi.org

وفاته :

مرض جلال الدين ، وظل رهين الفراش مدة أسبوع ، كان الناس يزورونه ، ويدعون له الشفاء، فيقول : "إن الأرض جائعة تطلب لقمة دسمة ، وستنالها عن قريب ، ويرفع عنكم البلاء" .

وأنشد جلال الدين قصائد يحن فيها إلى لقاء الحبيب وقال لصديقه صدرالدين حين دعا له بالشفاء : "ما يضرك إذا رفع الحجاب بين الحبيب والحبيب"؟ وقال : "إن كنت مؤمناً وحلواً طاب الموت" ، وفاضت روحه في ٥/جمادى الآخرة ٦٧٢هـ .

مزاياه الشخصية :

كان جلال الدين شديد الرياضة والمجاهدة ، كثير التعبد ، وإذا حانت الصلاة توجه إلى القبلة وتغير لون وجهه ، وكانت صلاته صلاة خشوع وخضوع كامل ، تسيل الدموع من عينيه أثناء الصلاة .

وكان زاهداً قنوعاً ، يقسم كل ما يأتي إليه من هدايا الملوك والأمراء ، وكان ذا سخاء إذا جاءه سائل وليس عنده شيء خلع له قميصه ، وكان عظيم الصبر والاحتمال ، وكان حريصاً على كسب الحلال ، يكره البطالة والرزق الذي يأتيه من غير شغل ، وكان زاهداً في لقاء الأمراء والسلاطين ، محتجباً عن الناس .

عاطفته :

يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي :

"كان جلال الدين قوي العاطفة ، وجدانياً ، ملتهب الروح ، ولوع القلب ، صاحب استعداد كبير ، ومواهب عظيمة ، قد عجنت طينته بالحب ، وقد غطى هذه الشرارة الانهماك في العلوم الظاهرة ،

والاشتغال الزائد بالعقليات، وجاء شمس الدين التبريزي - وهو شعلة حب ووجدان - فألهب هذه الشرارة الكامنة، وأثار الطبيعة المطمورة في ركام البيئة والعادة، والثقافة والتربية، فإذا بجلال الدين عود ملتهب، ومجمرة مشعلة، وعين بصيرة مفتوحة، ونفس حساسة تواقة.

مؤلفاته:

١- "فيه ما فيه: "مجموعة للرسائل التي كتبها الشيخ جلال الدين إلى الشيخ معين الدين بروانه، وقد فقد هذا الكتاب، وقد أشار إليه بعض المترجمين له كما جاء في ملخص ديوانه الذي طبع في الهند عام ١٣٠٩هـ أن هذه المجموعة تشتمل على ثلاثة آلاف من السطور.

٢- ديوانه:

يقدر عدد الأبيات بخمسين ألفاً، و فيه مقطعات وقصائد من نوع الغزل، وليس فيه شيء من المدح.

ويشتمل هذا الديوان على أكثر من خمسين ألف بيت، وقد ورد في مقطع كل قصيدة اسم شمس تبريز، ووقع بعض الباحثين في الوهم بأنه ديوان شمس تبريز، وهو خطأ أكبر ووهم فاحش، وورد في رياض العارفين وغيره من الكتب أن الشيخ جلال الدين الرومي ألف هذا الديوان باسم الشيخ تبريز، ونسب هذا الديوان خطأ إلى الشيخ تبريز.

يتعلق كلامه كله في هذا الديوان بأحوال نفسه وعاطفة حبه ووجده على فراق شيخه، وامتاز كلامه في وصف حاله بتصوير ما يعالجه من شوق ومحبة.

www.abulhasanalinadwi.org

٣- المثنوي

الكتاب الثالث هو المثنوي وهو الكتاب الذي خلد ذكر الشيخ جلال الدين الرومي، وفاق هذا الكتاب شهرة وقبولاً سائر المؤلفات التي صدرت في إيران، ويبلغ عدد الأبيات في هذا الكتاب كما جاء في كشف الظنون ٢٦٦٦ بيتاً.

وقد شرح الكتاب ونقله إلى لغات أخرى عدد كبير من المعجبين بالشيخ جلال الدين رومي[١].

يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي عن تأثير المثنوي:

"استخدم الشاعر رقة الشعر، ولطف التعبير، وحلاوة الجرس، وموسيقا الوزن، والقوافي، وفكاهة الأدب لتأدية فلسفته الدقيقة العميقة والمعاني اللطيفة الغامضة، والمبادئ الرفيعة التي تشغل فكره، وتجيش في خاطره، فكان كلامه أوقع في النفوس، وأحلى في القلوب، وأسهل فهماً وأيسر تناولاً، وأكثر نفوذاً وتغلغلاً في المجتمع والآداب، وكذلك فعل الحكيم السنائي (أبو المجد بن آدم السنائي الشاعر الصوفي الشهير (المتوفى ٤٢٥ هـ) في "الحديقة"، وفريد الدين العطار(٦٢٧هـ) في "منطق الطير"، فكان هذان الكتابان السائران المقبولان في الأدب الفارسي، بل الأدب الإسلامي، حافزين لجلال الدين إلى تأليف المثنوي، وقدوة ومثالاً له".

نماذج من كلامه:

كان عصر الشيخ جلال الدين عصر غلبة العقل، وكان

---

[١]- سيرة جلال الدين الرومي بالأردية، للعلامة شبلي النعماني.

www.abulhasanalinadwi.org

اعتماد الفلسفة والعقليات على الحواس الظاهرة، وكان المثقفون ينكرون كل ما لا يدرك بالحواس الخمس، ولا يأتي تحت الحس، وكان المعتزلة ومن سار سيرهم أكبر الدعاة إلى هذه الفكرة، وقرر الشيخ جلال الدين هذه الفكرة بقوله:

"هناك حواس باطنية وراء هذه الحواس الظاهرة، كنسبة التراب، والخزف إلى الذهب الخالص والتبر المسبوك، ويقول: إن الحواس الظاهرة تستمد غذاءها وقوتها من النفوس، والاشباح أمام الحواس الباطنية، فإنها تستمد غذاءها وقوتها من النفوس والأرواح، وإن قوت الأولى الظلام الذي فطرت عليه الأجسام، وقوت الآخرة - الحواس الباطنة - النور الذي فطرت عليه الأرواح والقلوب.

ويقول: ألا يكفي لنفي شيء أنه لا يُرى بالأبصار، ولا يدرك بالحواس إن الباطن دائماً كامن وراء الظاهر، ومضمر فيه كالفائدة في الدواء.

ويقول: لو كان العقل كافياً في معرفة الحقائق الدينية لكان فخر الدين الرازي - زعيم المتكلمين - أكبر العارفين، والغواص في أعماق الدين، ولكن الأمر ليس كذلك، فتفوقه في معرفة حقيقة الدين كان من تشبعه بالإيمان واليقين.

العقل الإيماني والعقل الجسماني:

ويقسم الشيخ جلال الدين العقل إلى قسمين: العقل الإيماني، والعقل الجسماني، فيقول: العقل الإيماني هو نبراس، ودليل العقل الجسماني، وهو مرشد هذا العقل الجزئي المحدود وقائده، أما الجسماني فهو يرشد الجسم، يقضي حاجاته ويخدمه في

www.abulhasanalinadwi.org

أغراضه المادية .

ويقول : إن العقل الجسماني يزين الآثام ، ويثبط عن معالي الأمور ويعد صاحبه الفقر ويهول له الأمر ، وان العقل الإيماني يحل عقد العقل الجسماني ، وينجده في المشاكل والأزمات ، ويفتح له الأقفال .

المعرفة الحقيقية لا تتحقق إلا بتزكية النفس :

وقال "إن المعرفة الصحيحة لا تتأتى إلا بتزكية النفس ، فإذا تجرد لوح القلب عن نقوش العلوم المرسومة وصفا تجلت فيه الحكمة الإيمانية ، ووردت عليه علوم الأنبياء الصحيحة ، وجرت على لسانه ينابيع الحكمة .

وقال : جرد نفسك من صفاتك ، حتى تشاهد نفسك ، وحقيقتها ، إنك ترى في قلبك علوم الأنبياء ومن غير كتاب ومعلم ومعيد ، فإن المرأة كلما صفت تجلت فيها الأنوار ، وإذا تفتحت نافذة نفسك ، دخل منها النور الإلهي من غير واسطة ومن غير حجاب .

الموت انتقال من مرحلة إلى مرحلة :

يقول :

"لماذا هذا الإشفاق من الموت؟ ولماذا هذا الفرار من الأجل؟ إنك لم تزل في انتقال من مرحلة إلى مرحلة ، ومن عدم إلى وجود ، ثم من وجود إلى عدم ، ولم تزل تخلع لباساً وتلبس لباساً حتى وصلت من العناصر الأربعة إلى القالب الإنساني ، فإذا تشبثت بحالة وعضضت عليها بالنواجذ ، وأصررت على أن تبقى فيها ، وأبيت الانتقال منها إلى حالة أخرى ، بقيت على بدايتك ، ولم تصل إلى

www.abulhasanalinadwi.org

أوج الإنسانية وقمة الكمالات العلمية والروحانية، إنك لم تنل البقاء إلا عن طريق الفناء، فلماذا تفر يا هذا من الفناء الجديد الذي هو مقدمة للبقاء الجديد المزيد، ولماذا تتشبث بهذه الحياة وتلتصق بها، مع أنها تخلف حياة لا زوال لها، ولا خوف فيها، ولا حزن ؟!

ويقول:

"جربت أن الموت في هذه الحياة، فإذا فارق الإنسان هذه الحياة نال الحياة الخالدة التي لا موت فيها".

موت العارفين غير موت الجهلاء:

ويقول:

"إن هناك فرقاً بين موت وموت، فالعارفون لا يُقاس موتهم على موت الجهلاء والعامة، إن العارفين لا يتوجعون ولا يحزنون لمفارقتهم هذه الدنيا الفانية، ويستقبلون الموت مسرورين فرحين، إن الموت في حقهم نفحة حياة، ورسالة فوز ونجاة، لقد كانت الريح التي أرسلها الله على أمة هود لفحة وجحيماً على الكافرين، ونفحة ونعيماً على المؤمنين، كذلك الموت للكفار سموم وبلاء، وحرمان وشقاء، وللمؤمنين نسيم عليل، وهواء بليل، وكوثر وسلسبيل".

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ، فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ، فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ، وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾[1].

يقول سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسن يالندوي عن

[1] الواقعة: ٨٨-٩٤، (ترجمة الأبيات مأخوذة من رجال الفكر والدعوة للشيخ الندوي)

www.abulhasanalinadwi.org

تأثير كلام الشيخ جلال الدين في كتابه "المثنوي" .

"كان المثنوي العظيم مصدر إيمان جديد، وإذعان مزيد، في كل عصر، تنشرح بقراءته الصدور الحرجة، وتطمئن بدراسته العقول المضطربة، ويجد فيه كثير من القراء حلاً لمعضلاتهم وشفاء لدائهم، وهو من هذه الناحية مؤسس علم جديد، وإذا كان لابد من مصطلح الفلسفة فهو مؤسس فلسفة جديدة، وهو في ذلك إمام مجتهد من أئمة الكلام، ولا يقلد ولا يتبع إلا القرآن الحكيم، ولا يستوحى إلا فكرته السليمة .

إنه بحث في المباحث الكلامية ومعضلاتها بأسلوب طريف بديع، وعرض مهمات مسائلها عرضاً جميلاً، يقبله القلب، ويسيغه الذوق السليم، ويعتقد السامع والقارئ أنها شيء بدهي، وحقيقة من الحقائق المعلومة لا تعقد فيها ولا غموض، ولا جفاف فيها ولا عبوس، فالمسائل التي تتعب فيه الفلسفة كأنما تصعد في السماء وتقبض على الهواء تتراءي في شعره كالماء الزلال، وهو لا يحرص - كالفلاسفة والمتكلمين - على أن يعجز مخاطبه بالدلائل الطويلة العريضة، والمقدمات المرصوفة المنسقة، ويفخمها، بل يحرص على أن يقبلها قلبه كأنه شيء محقق وكأنه يعبر عن خواطره وأفكاره[1] .

[1] للتفصيل راجع "رجال الفكر والدعوة في الإسلام، للشيخ الندوي، المجلد الأول

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

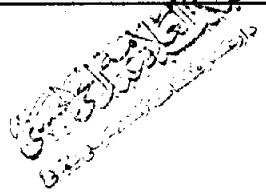

الشيخ نظام الدين أولياء[1]

(٦٣٦ - ٧٢٥هـ)

الشيخ الإمام العالم الكبير نظام الدين صاحب المقامات العالية والكرامات المشرقة الجليلة أحد الأولياء المشهورين بالهند انتهت إليه الرياسة في دعوة الخلق إلى الله تعالى، والتسليك في طريق العبادة، والانقطاع عن الدنيا، مع التضلع من العلوم الظاهرة، والتبحر في الفضائل الفاخرة، كان ينتمي إلى الأسرة الحسينية، وانتقل أجداده من "بخارى" إلى "الهند".

ولد في "بدايون" (أترابراديش) الهند في سنة ٦٣٦هـ، وتوفي والده في صغر سنه، فتربى في حجر أمه، وكانت سيدة صالحة في غاية من الزهد والتقوى، واشتغل بالعلم، وقرأ الفقه والأصول العربية على الشيخ علاء الدين الأصولي، ثم سافر إلى دلهي، وهو في السادسة عشرة من عمره، فقرأ الكتب الدرسية على أساتذتها، منهم الشيخ شمس الدين الخوارزمي، وحفظ عنه أربعين مقامة من المقامات للحريري، ثم قرأ "مشارق الأنوار" للعلامة حسن بن محمد الصغاني على الشيخ محمد بن أحمد الماريكلي المعروف بـ"كمال الدين

---

[1] – الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، سير الأولياء، فوائد الفواد، سير العارفين، تاريخ دعوت وعزيمت، بالأردية للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي.

www.abulhasanalinadwi.org

الزاهد"(م٦٨٤هـ) وهو تلميذ العلامة حسن بن محمد الصغاني، كما تتلمذ بواسطة واحدة على صاحب الهداية الشيخ العلامة برهان الدين المرغيناني، فقرأ عليه الشيخ نظام الدين "مشارق الأنوار"، وأخذ الإجازة في الحديث، وفي صباه كان قد صرف زمناً في دراسة اللغة العربية، ولذلك حفظ المقامات للحريري كلها، ثم حفظ"مشارق الأنوار" كفارة عن المقامات، ثم سافر إلى "أيودهن" وأخذ عن الشيخ الكبير فريد الدين مسعود الأيودهني، القرآن الكريم، وعوارف المعارف، وكتاب التمهيد، للشيخ أبي شكور السالمي، ولبس منه الخرقة، وصحبه مدة، وأجازه الشيخ في سنة ٦٦٩هـ.

شيخه فريد الدين مسعود الأيودهني :

هو الشيخ الكبير مسعود بن سليمان بن شعيب الإمام فريد الدين الجشتي الأيودهني الولي المشهور، قدم جده شعيب إلى أرض الهند في فتنة التتر، وولي القضاء بكهتوال من أعمال الملتان، وولد الشيخ فريد الدين بها في سنة ٥٦٩هـ، وسافر إلى الملتان في صباه، واشتغل بالعلم على أساتذة عصره، وقرأ على الشيخ منهاج الدين الترمذي، وأدرك بها الشيخ قطب الدين بختيار الأوشي، أحد كبار مسترشدي الشيخ معين الدين السجزي، فجاء معه إلى دلهي، ولازمه مدة وأخذ عنه الطريقة.

وقيل إن الشيخ قطب الدين حثه أولاً على تكميل العلوم، فرحل إلى "قندهار"، ولبث بها خمس سنوات، وأخذ العلم، ثم أدرك الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي، والشيخ سيف

www.abulhasanalinadwi.org

الدين الباخرزي، والشيخ سعد الدين الحموي، والشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني، وخلقاً آخر من المشايخ.

ثم جاء إلى "دلهي"، وصحب الشيخ قطب الدين، ثم سافر إلى مدينة "هانسي"، وأقام بها اثني عشر سنة، واشتغل بالرياضة الشديدة والمجاهدة القوية، فظهرت منه الخوارق، والكرامات، والتصرفات العجيبة، وتقاطر عليه الناس، فترك ذلك الموضع، وذهب إلى كهتوال، ولبث بها زماناً، ثم لما ارتفع حاله وازدحم عليه الناس، هاجر منها إلى "أيودهن"، فتوطن بها، يربى المريدين ويرشد السالكين.

كان من أكابر أولياء الله تعالى صاحب تصرفات عجيبة، وجذب قوى، أخذ عنه خلق كثير، منهم الإمام المجاهد نظام الدين محمد البدايوني، والشيخ علاء الدين على صابر الكليري، والشيخ جمال الدين الخطيب الهانسوي، والشيخ بدر الدين الدهلوي.

نموذج من كلامه:

"إن الله تعالى يستحي من العبد أن يرفع يديه، ويردهما خائبتين"، ومنه: "إن الصوفي يصفو له كل شيء ولا يكدره شيء، وقال: "الصوفي من رضي بالموجود، ولا يسعى لطلب المفقود"، وقال: "لو أردتم أن تبلغوا درجة الكبار فعليكم أن لا تلتفتوا إلى أبناء الملوك" وقال: "أرذل الناس من يشتغل بالأكل واللباس".

توفي ٦٦٤ هـ، وله خمس وتسعون سنة.

بأمر شيخه انتقل الشيخ نظام الدين إلى "دلهي"، وأقام بـ"غياث بور"، واشتغل بها بالمجاهدة في الصيام، والقيام، والذكر،

www.abulhasanalinadwi.org

والفكر، وحفظ القرآن الكريم على وصية شيخه، وأحله الله تعالى من الولاية محلاً لا يُرام فوقه، وهدى به في عهده، ثم بأصحابه من بعده خلقاً لا يحصيهم إلا من أحصى رمل عالج، فلا ترى ناحية من نواحي المسلمين من بلاد الهند، إلا وقد نمت فيها طريقته، وجرى على ألسنة أهلها ذكره، إليه ينتمون، وبه يتبركون.

عاش الشيخ نظام الدين زاهداً عاكفاً على العبادة، والتربية، وكان يبتعد عن لقاء الملوك والسلاطين، والأمراء مع إلحاحهم على ذلك وشدة توقهم إليه، ومرة أصر السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي على لقائه رغم اعتذاره، فقال "إن في داري بابين يدخل السلطان من باب، وأخرج من باب آخر".

وذكره علي بن سلطان القاري المكي في كتابه "الأثمار الجنية في أسماء الحنفية" وقال" إنه شيخ فقيه علماً وحالاً، وإليه المنتهى في دعاء الخلق إلى الله تعالى، وتسليك طريق العبادة والانقطاع عن علائق الدنيا، هذا مع التضلع من العلوم الظاهرة، والتبحر في الفضائل الفاخرة، ومكاشفاته والخوارق التي ظهرت على يده ولسانه أكثر من أن يطمع في إحصائها بقلم ولسان" انتهى.

وذكره مجد الدين الفيروزآبادي صاحب القاموس في كتابه "الألطاف الخفية في أشراف الحنفية" وذكره عبد الرحمن الجامي في كتابه "نفحات الأنس وحضرات القدس"، وصنف كثير من العلماء في أخباره كتباً مستقلة، أحسنها "سير الأولياء"، وجمع أصحابه مواعظه وكلامه أشهرها "فوائد الفؤاد".

www.abulhasanalinadwi.org

وتوفي رحمه الله في ٧٢٥هـ ، وله تسع وثمانون سنة[١]

ويقول الشيخ العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي في كتابه "تاريخ دعوت وعزيمت" في ترجمة وافية للشيخ نظام الدين :

"كان مسلك المشايخ منذ عهد الشيخ معين الدين الششتي إلى الشيخ نظام الدين الابتعاد عن البلاط السلطاني ، وتمسك سائر المشايخ بهذه السياسة ، وكانت هذه السياسة هي التي أنقذت هؤلاء المشايخ من تقلبات السياسة ، والحكم ، ولم تؤثر الثورات والتحولات السياسية على مراكز تربيتهم ونظامهم ، وكان إخلاصهم وعفافهم ، مقبولاً لدى العامة والخاصة ، رغم النزعات والحركات السياسية المختلفة ، ورغم قولهم كلمة الحق ، وفي ذلك يكمن سر بقاء هذه السلسلة ودوامها ، وانتشار دعوتها ، وتأثيرها على النفوس ، وأقبلت نفوس العامة والحكام على أصحابها ، واحترامهم وتقديرهم .

وقد جلس على كرسي الحكم في عهد الشيخ نظام الدين خمسة ملوك ، وكان فيهم أصحاب بطش ، وسياسة ، وقهر ، وإكراه ، وحكموا البلاد بقوة وصلابة ، ولكن الشيخ نظام الدين باستثناء حضوره لمجلس مناظرة حول مسألة الغناء الذي انعقد في البلاط ، لم يحضر البلاط .

إلا أن هؤلاء المشايخ كانوا على صلة بالأحداث ، وكانوا لا يترددون في قول كلمة الحق ، وإنكار المنكر ، وتوجيه المسئولين عن

---

[١] – الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام للعلامة الشريف عبد الحي الحسني ٢ ص ١٢٤.

www.abulhasanalinadwi.org

الإدارة والحكم إلى طرق الخير، وتنبيههم بمواضع الشر، وكان يشغلهم هم الإسلام والمسلمين".

إقبال الدنيا عليه ونفوره منها:

قضى الشيخ نظام الدين حياته في المجاهدة والرياضة، كان دائم الصوم، ولا يتناول في الإفطار والسحور إلا ما فيه الكفاية، وقد انهالت عليه وسائل الدنيا، لكنه لم يغير من منهج حياته، فكان يوزع كل ما يأتي إليه من الهدايا، ولا يرضى بأن يبقى شيء منه، ولم يملك قطعة أرض، ولا بنى داراً.

كان دائم الصوم، لكن كانت مائدة الغداء لعامة الناس تبسط كل يوم باهتمام، وتوضع عليها أجود الأطعمة، ويتناولها مئات من الناس، وكان يسمح لهم إذا كانوا في حاجة إليها، أن يأخذوها إلى بيوتهم، وكان يحرص على حضور هذه المائدة الأشراف والأمراء مع عامة الناس، ويجدون لذة فيها، ويفاخرون على حضورها.

يقول الشيخ خواجه نصير الدين محمود بن يحيى الأودي المعروف بـ "جراغ دهلي" مسترشد الشيخ نظام الدين، وهو أيضاً من كبار المشايخ في عصره، : "إن العطايا والهدايا التي كانت تأتي إلى الشيخ نظام الدين كانت كالسيل، لا يخلو يوم منها، ولكن لم يكن للشيخ فيها نصيب، وإنما كانت توزع على ذوي الحاجة، وكان كل من يأتي إلى الشيخ بهدية، ينال من الشيخ أكثر منها.

العلم والعقل والحب الإلهي:

كان الشيخ نظام الدين جامعاً لصفات العلم والعقل والحب الإلهي، وقد أشار إليه شيخه الشيخ خواجه فريد الدين كنج شكر،

www.abulhasanalinadwi.org

لدى منحه الإجازة للدعوة والإصلاح والتربية :

"إن الله وهبك ثروة العلم والعقل والحب، ومن كان جامعاً بين هذه الصفات هو أهل لتأدية خدمات المشايخ خير تأدية".

تحرق القلب ونفي الذات :

كان الإخلاص طبيعة الشيخ الغالبة، فكان يراعي ذلك في أتباعه ومريديه أن يخرج من نفوسهم حب الذات، وحب ملذات الحياة، وقد سئل يوماً من هو أهل الخلافة والإرشاد؟ قال: من لا يخطر بباله، أنه شيخ، وصاحب منزلة من الإرشاد".

علوم الأنبياء والأولياء :

قال: " هناك ثلاث مراتب، الأولى: طور الحس، والثانية طور العقل، والثالثة طور القدس، في طور الحس يشعر الإنسان بالمطعومات والمشروبات، وما يدرك بالشامة، أما طور العقل فهو يتكون من عالمين، الكسبي والوهبي، ولكن إذا وصل الإنسان إلى طور القدس، تبدو الأعمال المكتسبة بالعقل بديهية".

ثم قال: إن علم البديهيات أيضاً ليس من علم القدس، أما الكسبية فلا دخل لها فيه، وإنما علوم الأنبياء والأولياء هي البديهية".

ثم قال: "من يفتح عليه باب علم القدس ؟ وما هي علاماته، إن الذي يكون في عالم العقل، ويدرك بالعلم البديهي أو الكسبي، ويحل المسائل في ضوءها وتحصل له فرحة به، لا يستطيع أن يدرك عالم القدس" .

من يذم الدنيا أو يمدحها :

قال: إن هناك ثلاثة أنواع، من يحب الدنيا ويفكر فيها، ليل

www.abulhasanalinadwi.org

نهار، وهم كثيرون، وآخر من ينفر من الدنيا، ويستحقرها ويذمها ويعاديها، والعنصر الثالث: هم الذين لا يحبون الدنيا، ولا ينفرون منها، ولا يذكرونها سلباً ولا إيجاباً، وهذا القسم هو أفضل من القسمين، ثم ذكر حكاية أن رجلاً جاء إلى الرابعة البصرية وبدأ يذم الدنيا، ذماً شديداً، فقالت له الرابعة البصرية: أخرج من هذا المجلس فإني أراك تحب الدنيا، ولذلك تذكرها، وتردد ذكرها.

ثلاث طرق لتلاوة القرآن:

قال: هناك طرق ثلاثة لتلاوة القرآن الكريم، الأولى أن يتلو القرآن ويفكر في المعاني، والثانية أن يسلط عظمة الله وجلاله على القلب، والثالثة أن يصبح القلب مشغولاً بذكر الله ويتعلق به.

وكان يقول: "إن الذي يتلو القرآن عليه أن يشعر أنه لا يليق بهذه النعمة الكبرى، وأن هذه منة كبيرة من الله أن وفقه للتلاوة".

فضل العلم:

كان الشيخ نظام الدين رغم اشتغاله بالتربية والتزكية، ومجاهدة النفس، دائم الاشتغال بالعلم، وكان يؤكد على تحصيل العلم، والتحلي بصفات العلماء، ويرى ذلك لازماً للمشايخ الذين يختارون طريق السلوك، وإصلاح النفوس، ولذلك وصفه شيخه الشيخ فريد الدين الأيودهني بقوله: "لقد وهبك الله ثروة العلم والعقل والعشق، وكل من يتحلى بهذه الصفات هو أهل لتولي مسئولية تربية الخلق، ويقوم بها خير قيام"، وفي ضوء علمه قام بإصلاح كثير من العادات والتقاليد التي تسربت إلى الصوفية، وصارت من شعائرهم الصوفية وهي تتعارض مع الشريعة، وقد

www.abulhasanalinadwi.org

ورثوها من المشايخ الذين لم يعرفوا حكم الشريعة، كان منها اعتقاد بعض الصوفية أن الولاية أفضل من النبوة، وأن الأولياء أفضل من الأنبياء، لأن الولاية عبارة عن الاشتغال بحق الله، والانقطاع عما سوى الله، والنبوة لتركيزها على الدعوة تتطلب الاختلاط بالناس، ثم تشعبت من هذه الاعتقاد مذاهب شتى، فقال بعض الصوفية إن ولاية الأنبياء أفضل من نبوتهم، فكان الشيخ نظام الدين أشد إنكار لهذا الاعتقاد والوهم، وكان يقول إن هذا المذهب باطل، وكان يقول: رغم اختلاط الأنبياء بالخلق للدعوة والإرشاد فإن الوقت الذي يقضونه في الاشتغال في الحق أفضل من حياة الأولياء كلها وإن قلّ وقصر، وكان ذلك أيضاً اعتقاد الإمام أحمد السرهندي الذي قال إن الأنبياء في اشتغالهم بشئون الخلق أقرب إلى الله من غيرهم، لأن اشتغالهم بالخلق هو امتثال لأمر الله تعالى.

الاشتغال بأمور الدنيا لا يحول في طريق السالكين:

كذلك كان الشيخ نظام الدين يرفض قول بعض الصوفية إن الاشتغال بأمور الدنيا يحول دون الوصول إلى الله، وإنه هو قاطع طريق السلوك والتربية، ولذلك يفضل هؤلاء الصوفية عدم الاشتغال بأمور الدنيا، بما فيها كسب الرزق، وكان يؤدي هذا الاعتقاد إلى البطالة، فقال الشيخ نظام الدين كما جاء في جوامع الكلم للشيخ كيسو دراز "كل ما هو حلال غير مانع عن السلوك، وليس بقاطع طريق وإلا لما عد ذلك العمل حلالاً مشروعاً، وقال: المقصود أن يتوجه الإنسان إلى ربه بقلبه، وأن يكون قلبه سليماً، طاهراً، بهذا القلب الطاهر السليم لا يضر الاشتغال بأي أمر من أمور الدنيا.

www.abulhasanalinadwi.org

حقيقة ترك الدنيا :

لا يعنى ترك الدنيا التجرد عن اللباس، بل ترك الدنيا الحقيقي هو أن يختار الإنسان كل ما أحل الله من اللباس والطعام، ويستفيد وينتفع بما أعطاه الله، ولكن لا ينصرف إلى جمعه، أو يشغل قلبه به، وهذا هو ترك الدنيا .

الطاعة لها قسمان :

كان يقول : الطاعة لها قسمان : اللازم والمتعدي، الطاعة اللازمة هي التي يعود إلى المطيع نفعها، كالصلاة، والصوم، والحج، والحمد، والذكر، والطاعة المتعدية هي التي يعم نفعها، ويتطرق إلى غير العامل بها فضلها، مثلاً الإصلاح بين الناس، والشفقة، والمحبة، والراحة، وأعمال الخير الأخرى، وهذه هي الطاعة المتعدية، وأجرها وثوابها غير محدود .

أما الطاعة اللازمة فإنها تنبع من الإخلاص، وحسن النية، والخشوع والإنابة إلى الله، أما الطاعة المتعدية فهي تنحصر على طبيعة العمل، وأجرها وثوابها على أي طريق يؤديها العامل .

الكشوف والكرامات حجاب :

كان يقول : إن ما يظهر من الأولياء نتيجة لسكرهم ونشوتهم، لأنهم أصحاب سكر، أما الأنبياء فهم أصحاب صحو، وأن الكشوف والكرامات حجاب، ومعوقات في سبيل الوصول إلى الله، والمحبة تؤدي إلى الاستقامة، يقول الأمير حسن على السنجري : ذكر بعض الناس في مجلسه عادة بعض العباد والزهاد الاشتغال بالعبادة، وتلاوة القرآن في المساجد، فقلت لو أقاموا الليل في

www.abulhasanalinadwi.org

بيوتهم، واشتغلوا بالعبادة كيف كان ذلك العمل؟ فقال: إن تلاوة جزء من القرآن الكريم في البيت أفضل من ختم القرآن في المسجد.

كان الإخلاص من سمات الشيخ نظام الدين، وكان يحث عليه سائر خلفائه، فقد بلغ اهتمامه بصفة الإخلاص مبلغاً خرج حب الجاه من قلبه كلياً، وسئل مرة من هو أهل التربية والتزكية؟ قال: من لا يخطر بباله أنه أهل لتحمل هذه المسئولية، ولذلك كان يحث مسترشديه على أن لا يميزوا أنفسهم عن غيرهم في الأكل والشرب، واللباس والسلوك، ولذلك كان يكره الاستخدام أو الاستعانة والتنعم في الحياة.

سلوكه مع الأعداء:

كان يقول: الإحسان إلى من يحسن شيء عادي، ولكن المطلوب من السالك أن يحسن إلى من يسيء، وكان ينشد بيتاً في الفارسية معناه:

"أدعو الله الخير والعافية لمن يصيبني بحزن وألم".

قيل له مرة: إن بعض الناس يسبونك ويشتمونك على المنبر، فقال: لقد عفوت وصفحت عنهم، فلا تخاصموهم، وقال: إذا حدثت عداوة بين رجلين كان حلها أن يخرج أحدهما الضغن، والغل من نفسه، فإن ذلك سيساعد عدوه على التحرر من العداوة، أو على الأقل يخفف حدته، وكان يقول: من فرش لك الأشواك، عليك أن تفرش له الزهور، حتى تغطي الزهور الأشواك، وإذا فُرشت أشواك مقابل أشواك فإن الأشواك تنتشر وتغطي المكان كله.

كان الحب السمة الغالبة له، فكان شعاره ستر العيوب،

www.abulhasanalinadwi.org

والإحسان إلى المسيىء، وذكر من يسبه بالمدح، وإعانته إذا كان في حاجة، وكان يأتسي في ذلك بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي وصفه القرآن الكريم بقوله: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم**﴾[١] و﴿**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾.

وقد بلغ هذا الحب الغامر حد شعوره بالألم إذا رأى أحداً في حزن، وشعوره بالسرور إذا رأى أحداً في حالة سرور ونعمة، فكان يقول: إني أرى الناس يأكلون فأشعر كأني آكل أنا، ويأتي الناس إليّ ويشكون سوء حالهم، فأشعر كأني أنا مصاب بذلك الألم أو الحزن، فإذا رأى أحداً جالساً في الشمس كانت تضيق نفسه، لأنه كان يشعر بالحرارة، أو وقع الشمس الذي يصيب الجالس، فكان يقول للجلوس أن يفسحوا المجال للجالسين في الشمس.

كان دائم الصوم، لكنه كان يجلس على مائدة الغداء، ويحث الآكلين على أن يأكلوا، ويقدم إليهم ما طاب وجد من الطعام والشراب، ويلقى القادمين بوجه طلق، وقد يأتي بعض زواره في ساعات متأخرة يعكف فيها على العبادة، لكنه رغم ذلك كان لا يبدي أي امتعاض، بل يرحب بهم، وكان يقول: كسر القلوب أكبر ذنب، فغرس محبة وهيبة في النفوس، وشملت هذه الهيبة الحكام، وأولى البطش من الملوك الذين عاشرهم.

نقطة اتصال بين الأغنياء والفقراء والحكام:

وصدق الأستاذ مناظر أحسن الكيلاني إذ قال:

---

[١] – التوبة: ١٦

www.abulhasanalinadwi.org

"إن هذه الزوايا وحدها كانت نقطة اتصال بين الأغنياء والفقراء، وكان منزل هؤلاء الصوفية والمشايخ "بلاطاً" يدفع له السلاطين الخراج، فقد كان يحضر ولي العهد خضر خان عند الشيخ نظام الدين فيستفيد منه، وهكذا السلطان علاء الدين الذي كان يأتيه الخراج من الهند كلها كان مضطراً إلى أن يقدم الخراج إلى مكان آخر".

إن هذه الوحدة والانسجام بين الغني والفقير أعني طبقة الصوفية والمشايخ التي كان يحضرها ويستفيد منها الأغنياء والفقراء على السواء كانت تقضي حاجات الطبقة الفقيرة، والحقيقة أنه لا يخلو دور من أدوار التاريخ الهندي، ولا بلد من بلاد الهند إلا وقد عمل فيه الصوفية والمشايخ بالحديث النبوي المشهور" تؤخذ من أغنياءهم وترد على فقرائهم" فكان ذلك رحمة بالفقراء والمساكين وذوي الحاجة.

ويقول العلامة الشيخ أبوالحسن علي الحسني الندوي وهو يصف مراكز هؤلاء المشايخ الربانيين بالملاجئ الإنسانية:

"إن تعليم هؤلاء الصوفية ومجالسهم الروحية أنشأت في الناس حب الإنسان على اختلاف الديانات والثقافات والسلالات، وخدمته، وإيصال النفع إليه، ومشاركته في الهموم والآلام.

كان شعارهم وعملهم بالحديث النبوي" الخلق عيال الله، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله"، كانت قلوبهم فائضة بالرحمة والمواساة للإنسانية كلها، حدث الشيخ نظام الدين عن نفسه مرة فقال يأتيني رجل ويحكي لي قصته، وفي نفسي من الهم والألم والتوجع لحاله ما لا يجده هو نفسه.

www.abulhasanalinadwi.org

وقال مرة : لا شيء أغلى وأحب يوم القيامة من المواساة، وجبر القلوب المنكسرة، وإدخال السرور على أصحابها .

كانت نتيجة ذلك أن جرحى القلوب والفؤاد كانوا يجدون بلسما لهمومهم وأحزانهم في هذه الزوايا وملجأ لهم، إن حجر عطفهم وحبهم كان مفتوحا لكل من هجره المجتمع، أو الأسرة، أو تنكر له الحظ، وأدبرت عنه السعادة، إن هؤلاء الذين لم يقبلهم أبناء أسرتهم، أو طردهم أولادهم بعض الأحيان كانوا يقدمون إلى هؤلاء الصوفية والمشايخ، ويعيشون في أحضانهم وكنفهم، ويجدون فيه كل ما افتقدوه من راحة البيت وأنس الأحبة، ويزور هذه الزوايا كل رجل مهما كان نسبه أو دينه فيجد فيها الإسعاف والرفد وخلاصا من هموم القلب وأحزانه، وينال فيها الغذاء، والدواء والحب والعطف، والتقدير والإكرام .

لما أرسل الشيخ نظام الدين شيخه إلى دلهي قال له :

"ستكون كدوحة وارفة الظلال، يستريح خلق الله في ظلها"

والتاريخ يشهد بأنه قد استراح في ظله الوارف الوافدون من دلهي، ومن أنحاء بعيدة سبعين سنة كوامل .

لقد كانت هناك بجهود هؤلاء الصوفية أشجار كثيرة وارفة الظلال في مئات من بلاد الهند استراحت في ظلها القوافل التائهة والمسافرون المتعبون، ورجعوا بنشاط جديد وحياة جديدة"[١] .

قال الإمام أبو حامد الغزالي وهو يشيد بدور الصوفية في بناء المجتمع وتقويمه، وقد مر بمراحل مختلفة، فعاش بين العلماء

[١] – المسلمون في الهند للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

والفلاسفة، والمحققين والحكام، وعرف أحوالهم:

" إني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقتهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلاً، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به"[١].

[١] – المنقذ من الضلال، ص: ١٣١-١٣٢

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

العلامة ابن تيمية[1]

٦٦١- ٧٢٨هـ

عرف شيخ الإسلام العلامة تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية - بوجه عام - كعالم متكلم، وفقيه جدلي، ومحدث كبير، واسع العلم، قوي الحجة، غزير المادة، ويبدو من بعض مواقفه إزاء بعض الآراء والسلوك لأصحاب القلوب، أنه كان مجرد محقق، وصاحب نظر في العلوم الظاهرة، وأنه كان جافاً متصلباً، صاحب عقل وفكر، مجردين عن العاطفة والشعور القلبي، وأنه كان عدواً للتصوف، ولاشك في أنه هجم على بعض معتقدات وتصرفات الصوفية، وخاصة المتصوفين في عصره، الذين تأثروا بالآراء العجمية، والتأويلات الباطنية، لعدول هذه الآراء عن الفكر الأصيل، وانحراف بعض أصحاب الطريقة عن الشريعة الحقيقية والسنة المطهرة، ولكن دراسة حياته الشخصية تدل على أنه لم يكن يغفل أهمية القلب ودوره في العبادة، والسلوك، وحتى في العقيدة.

---

[1] - البداية والنهاية: ١٤/١٣٥، كتاب الذيل على طبقات الحنابلة: ٢/٣٩٢، الدرر الكامنة: ١/١٤٤، النجوم الزاهرة: ٩/٢٧١، فوات الوفيات: ١/٣٥، تذكرة الحفاظ المجلد الرابع، الكواكب الدرية، مدارج السالكين، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، رجل الإصلاح والدعوة للأستاذ إبراهيم محمد العلي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، المجلد الثاني، الأعلام للزركلي: ١/١٤٤، ابن تيمية لمحمد أبي زهرة.

www.abulhasanalinadwi.org

بل يجد الدارس في حياته أحوالاً وأقوالاً ومواقف لا تقل أهمية وتأثيراً من أصحاب القلوب المعروفين، وقد خفيت هذه الأحوال في تفاصيل مواقفه وجدلياته، وقد ذكر هذه الأحوال الحافظ ابن قيم الجوزية في "مدارج السالكين"، والعلامة الذهبي وأمثاله في ترجمته مما يدل دلالة واضحة على أن شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية يستحق كل استحقاق أن يعد من العارفين، ورجال الله.

مولده ونشأته:

الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية الحراني الدمشقي، ولد بـ "حران" سنة ٦٦١هـ، وقدم مع والده وأهله إلى "دمشق"، وهو صغير، فسمع الحديث من ابن عبد الدائم، وابن أبي اليسر، وابن عبدان، والشيخ شمس الدين الحنبلي، والشيخ شمس الدين بن عطاء الحنفي، والشيخ جمال الدين بن الصيرفي، ومجد الدين ابن عساكر، والشيخ جمال الدين البغدادي، ونجيب الدين المقداد، وخلق كثير سمع منهم الحديث وقرأ بنفسه الكثير، وكان قوي الذاكرة، فما سمع شيئاً إلا حفظه، ويقال إنه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلها الذين كانوا في زمانه وغيره، أما الحديث فكان حامل رايته حافظاً له، مميزاً بين صحيحه وسقيمه، عارفاً برجاله، متضلعاً بذلك

قال ابن الزملكاني: اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها، وإن له اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة، والترتيب، والتقسيم، والتدوين، وكتب على تصنيف له هذه

www.abulhasanalinadwi.org

الأبيات:

ما ذا يقول الواصفون لـه وصفاته جلّت عن الحصر
هو حجـة الله قاهـرة هـو بيننا أعجوبة الدهـر
هو آية للخلـق ظاهـرة أنوارها أربت على الفجر[1]

كان فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان، وفي الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء، واستدل، وبرع في العلم والتفسير، وأفتى ودرس وهو دون العشرين، أما تصانيفه ففي الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي "فوات الوفيات" أنها تبلغ ثلاثة مائة مجلد.

درس ابن تيمية العلوم المعروفة في عصره وعني بالعربية عناية كبيرة، وبرع في اللغة، والنحو براعة تامة، وقد اعتنى بدراسة الكتاب لسيبويه بنظر ناقد، وانتقد في مواضع كثيرة، وكانت له ملكة قوية في العربية واللغة استخدمها في حياته العلمية واعتمد عليها في أبحاثه وتأليفاته، وقد حفظ على ذلك جزءاً كبيراً من منثور كلام العرب، ومنظومه، ودرس أحوال الجاهلية والعرب الأولين، وتوسع في دراسة تاريخ العهد الإسلامي والدول الإسلامية، واستفاد من كل هذه الدراسات المتنوعة الواسعة في مناحي حياته العلمية المختلفة فيما بعد.

وكان التفسير أحب موضوع لدى ابن تيمية، وكان له شغف زائد بهذا الفن، وقد تحدث بنفسه أنه درس أكثر من مائة كتاب في تفسير القرآن، وقال:

"ربما طالعت على الآية الواحدة مائة تفسير، ثم أسأل الله الفهم وأقول: يا معلم آدم وإبراهيم علمني، وكنت أذهب إلى

[1]- البداية والنهاية وكتاب الذيل علي طبقات الحنابلة ٣٩٢/٢

www.abulhasanalinadwi.org

المساجد المهجورة ونحوها، وأمرغ وجهي في التراب وأسأل الله وأقول: يا معلم إبراهيم فهّمني".

وفي تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي:

" الشيخ الإمام العلامة الحافظ الناقد الفقيه المجتهد المفسر البارع شيخ الإسلام علم الزهاد نادرة العصر تقي الدين أبو العباس أحمد بن المفتي شهاب الدين عبد الحليم.

كان من بحور العلم، ومن الأذكياء المعدودين، والزهاد الأفراد، والشجعان الكبار، الكرماء الأجواد، أثنى عليه الموافق والمخالف، وسارت بتصانيفه الركبان لعلها ثلاثة مائة مجلد.

حدث بدمشق، ومصر، والثغر، وقد امتحن وأوذي مرات، وحبس بقلعة مصر، والقاهرة، والاسكندرية، وبقلعة دمشق مرتين، وبها توفي في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مائة في قاعة معتقلاً، ثم جهز وأخرج إلى جامع البلد فشهده أمم لا يحصون فخزروا بستين ألفاً، ودفن إلى جنب أخيه الإمام شرف الدين عبد الله بمقابر الصوفية رحمهم الله تعالى، ورؤيت له منامات حسنة ورثي بعدة قصائد، وقد انفرد بفتاوى نيل من عرضه لأجلها، وهي مغمورة في بحر علمه، فالله تعالى يسامحه ويرضى عنه، فما رأيت مثله"[1].

ابن تيمية والسلوك والإحسان:

كان ابن تيمية من فرسان الوعظ، والإرشاد، وأحد السباقين في ميدان التربية والسلوك، والتزكية، فهو عالم متبحر في خفايا

[1] تذكرة الحفاظ المجلد الرابع ص: ١٤٩٦، ط: دار إحياء التراث العربي

www.abulhasanalinadwi.org

النفس، وشؤونها ومراميها وخباياها وأمراضها وعللها.

ويعرض ابن تيمية هذه الأمور بأسلوب جميل أخاذ، فكتبه "التحفة القرآنية"، "أمراض القلوب وشفاؤها"، "الاستقامة"، والرسائل التي عالج فيها كثيراً من هذه الموضوعات والموجودة ضمن المجلد العاشر من مجموع الفتاوى، و"جامع الرسائل والمسائل" ففيها الكثير الكثير الذي يلغي الصورة المرسومة في أذهان البعض عن شدته في رأيه.

وقد رويت عنه كرامات وكشوف، وإن كان بعض المتشددين ينكرون ذلك.

يقول العلامة بدر الدين العيني صاحب "عمدة القارئ شرح صحيح البخاري" في "تقريظ الرد الوافر".

"هذا الإمام مع جلالة قدره في العلوم نقلت عنه على لسان جم غفير في الناس كرامات ظهرت منه بلا التباس".

وقد شهد معاصروه وتلاميذه، ومحبوه بتلك الوقائع التي حدثت كخرق للعادة والكرامة، واعترف بها المتأخرون، وقالوا: "لا يمكن إنكارها لكثرة ما عرفت ونقلت".

و رويت عنه آراء تؤيد السلوك وضرورته، فيقول رحمه الله:

"فإن السلوك هو الطريق التي أمر الله بها ورسوله من الاعتقادات والعبادات، والأخلاق، وهذا كله مبين في الكتاب، والسنة، فإن هذه بمنزلة الغذاء الذي لابد للمؤمن منه" ويقول:

"وفي السلوك مسائل تنازع فيها الشيوخ، لكن يوجد في الكتاب والسنة من النصوص الدالة على الصواب، في ذلك ما يفهمه

www.abulhasanalinadwi.org

غالب السالكين، فمسائل السلوك من جنس مسائل العقائد كلها منصوصة في الكتاب والسنة".

وقال:

" وكذلك من بنى الإرادة والعبادة، والعمل والسماع المتعلق بأصول الأعمال وفروعها من الأحوال القلبية والأعمال البدنية على الإيمان والسنة والهدى الذي كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقد أصاب طريق النبوة وهذه طريق أئمة الهدى"[١].

ومن معارفه أعمال القلوب التي تسمى المقامات والأحوال، مثل محبة الله ورسوله، والتوكل عليه، وإخلاص الدين له، والشكر والصبر على حكمه، والخوف والرجاء له، وما يتبع ذلك واجبة على جميع الخلق، خاصتهم وعامتهم للخاصة خاصتها، وللعامة عامتها كتفاوت أحوال القلوب وصفاتها.

وهذه أكبر شهادة على أهمية أعمال القلوب من محقق كانت ميزته اتباع السنة، وشغفه بالسنة، وانهماكه في الحديث، وقد شهد معاصروه أنهم لم يروا جلال مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم والاهتمام باتباع سنته عند أحد العلماء مثل ما رأوا ذلك عند شيخ الإسلام ابن تيمية.

يقول الحافظ سراج الدين البزاز وهو يقسم بالله.

"لا والله ما رأيت أحداً أشد تعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحرص على اتباعه و ماجاء به منه"[٢].

---

[١] – رجال الفكر والدعوة، ج ٢ للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

[٢] – رجال الفكر والدعوة للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي..

www.abulhasanalinadwi.org

وقد كانت هذه الناحية تستحوذ عليه وتسيطر على قلبه، فكل من رآه شهد قلبه بكمال اتباعه للسنه، وحبه العميق للرسول صلى الله عليه وسلم.

الزهد عند ابن تيمية

وقد كان الزهد من أعلى سمات العلامة ابن تيمية، و وردت فيه أحوال وأقوال له، فقد كان يقول: كما رواه تليمذه الحافظ ابن القيم رحمه الله:

"ما لي شيء، ولا مني شيء، ولا فّي شيء".

وإذا مدحه أحد في وجهه قال: والله "إني أجدد إلى الآن إسلامي كل وقت، وما أسلمت بعد إسلاماً جيداً".

وقال: "أنا رجل ملة، لا رجل دولة".

وقال: "العارف لا يرى له على أحد حقاً، ولا يشهد على غيره فضلاً، ولذلك لا يعاقب ولا يطالب، ولا يضارب".

وقال: "ما يصنع أعدائي بي؟ إن جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي، لا تفارقني".

جوده وسخاؤه:

ويتحدث الحافظ ابن فضل الله العمري أحد معاصريه عن جوده وسخائه: "كانت تأتيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسومة، والأنعام والحرث، فيهب ذلك بأجمعه ويضعه عند أهل الحاجة في موضعه، لا يأخذ منه شيئاً إلا ليهبه ولا يحفظه إلا ليذهبه".

وقد بلغ من السخاء والإيثار أن كان يخلع ما كان عليه من

www.abulhasanalinadwi.org

ثياب ويقدمها إلى السائل إذا لم يجد شيئاً آخر .

كان يتصدق حتى إذا لم يجد شيئاً نزع بعض ثيابه ، فيصل به الفقراء .

ويقول أحد الرواة : "كان يتفضل من قوته الرغيف والرغيفين ، فيؤثر بذلك على نفسه" .

ويقول أحد تلاميذه : "كان يدعو لأعدائه ، ما رأيته يدعو على واحد منهم" .

شغفه بالعبادة والذكر :

جاء في "الكواكب الدرية" : في وصف انهماكه في العبادة والذكر :

"كان في ليله منفرداً عن الناس كلهم ، خالياً بربه عزوجل ، ضارعاً إليه ، مواظباً على تلاوة القرآن العظيم ، مكرراً لأنواع التعبدات الليلية والنهارية ، وكان إذا دخل في الصلاة ترتعد فرائصه وأعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة " .

ويقول ابن القيم :

"وكان إذا صلى الفجر جلس في مكانه حتى يتعالى النهار جداً ، يقول : هذه غدوتي لولم أتغد هذه الغدوة سقطت قواي" .

يقول العلامة الذهبي : "له أوراد وأذكار ، يدمنها بكيفية وجمعية" .

وقد روي أنه إذا أشكلت عليه مسألة أو صعب فهم آية التجأ إلى مسجد مهجور ووضع جبهته على التراب وردد قوله : "يا معلم إبراهيم فهّمني" .

www.abulhasanalinadwi.org

نماذج من كلامه :

القلب هو الأصل :

يقول في موضع :

"القلب هو الأصل ، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى لك إلى البدن بالضرورة ، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب.

وقال أبو هريرة : "القلب ملك ، والأعضاء جنوده ، فإذ طاب الملك طابت جنوده ، وإذا خبث الملك خبثت جنوده" .

المحبة وعوامل صلاح القلب :

ويقول :

" القلب لا يصلح ، ولا يفلح ، ولا يلتذ ، ولا يسر ، ولا يطيب ، ولا يسكن ، ولا يطمئن إلا بعبادة ربه ، وحبه والإنابة إليه ، ولو حصل له كل ما يلتذ به في المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن ، إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه ، ومن حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه ، وبذلك يحصل له الفرح والسرور ، واللذة والنعمة ، والسكون والطمأنينة ، وهذا لا يحصل له إلا بإعانة الله له ، لا يقدر على تحصيل ذلك له إلا الله" .

قوله في باب العلم :

"العلم إما نقل مصدق ، وإما استدلال محقق".

"العلم إما نقل مصدق عن معصوم ، وإما قول عليه دليل معلوم ، وما سوى هذا فإما زيف مردود ، وإما موقوف لا يعلم أنه

www.abulhasanalinadwi.org

بهرج ولا منقود".

"لاريب أن لذة العلم أعظم اللذات، واللذة التي تبقى بعد الموت، وتنفع في الآخرة هي لذة العلم بالله والعمل له، وهو الإيمان به".

"حصول العلم في القلب كحصول الطعام في الجسم، فالجسم يحس بالطعام والشراب، وكذلك القلوب تحس بما يتنزل إليها من العلوم التي هي طعامها وشرابها".

"لا ينال الهدى إلا بالعلم، ولا ينال الرشاد إلا بالصبر".

وقال رحمه الله تعالى:

"العبد دائماً بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكر، وذنب منه يحتاج فيه إلى الاستغناء، وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائما فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه، ولا يزال محتاجاً إلى التوبة والاستغناء".

"الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه، والهجر الجميل هو الذي لا أذى معه".[1]

"الحرية حرية القلب، والعبودية عبودية القلب، كما أن الغنى غنى النفس".

"إن في الدنيا جنة (جنة الإيمان) من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة".

"من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية".

ويقول:

---

[1] – مدارج السالكين ١٦٠/٢

www.abulhasanalinadwi.org

" لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة، فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجلعه كالزجاجة المصممتة، تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليك صار مقراً للشبهات" .

ويقول:

" الرضا والتوكل يكتفان المقدور، التوكل قبل وقوعه، والرضا بعد وقوعه، فمن توكل على الله قبل الفعل، ورضي بالمقضي له بعد الفعل فقد قام بالعبودية" .

ويصفّ أهل الحق:

"ليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات، فلا يتميزون بلباس دون لباس، إذا كان كلاهما مباحاً، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ظفره إذا كان مباحاً كما قيل: كم من صديق في قباء، وكم من زنديق في عباء، بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد صلى الله عليه وسلم إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور، فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف، ويوجدون في التجار والصناع والزراع"[1] .

قال الحافظ الذهبي: له نظم قليل وسط (ذيل طبقات الحنابلة٢) وكان يكثر من الاستشهاد بالشعر في المناسبات المختلفة ومن نماذج من شعره .

---

[1] – شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رجل الإصلاح والدعوة، للأستاذ إبراهيم محمد العلي، ط: دار القلم

www.abulhasanalinadwi.org

عليك بخوف الله في السر والجهر
وبالقصد للإنفاق في العسر واليسر
وبالعدل أن تغضب وإن تك راضياً
فهن ثلاث منجيات من الشر
وإياك والشح المطاع ولا تكن
بمتبع الأهواء فترجع بالخسر
وعدٍّ عن الإعجاب بالنفس إنّ
ختام الثلاث المهلكات لدى الحشر

وسئل شيخ الإسلام: الحج نافلة أفضل أم الصدقة؟

ماذا يقول أهل العلم في رجل
آتاه ذو العرش مالاً حج واعتمرا
فهزّه الشوق نحو المصطفى طرباً
الحج أفضل أم إيثاره الفقرا
أم حجة عن أبيه ذاك أفضل أم
ماذا الذي يا سادتي ظهرا
فأفتوا محبا لكم قد رام فديتكم
وذكر كم دأبه إن غاب أو حضرا

فأجاب شيخ الإسلام نظماً:

نقول فيه بأن الحج أفضل من
فعل التصدق والإعطاء للفقرا
والحج عن والديه فيه برّهما
والأم أسبق في البر الذي ذُكرا

www.abulhasanalinadwi.org

لكن إذا الغرض خص الأب كان إذاً
هو المقدم فيما يمنع الضـــــــرا
كما إذا كان محتاجاً إلى صلـــــــة
وأمه قد كفاها من بري البشـــــرا
هــذا جوابك يا هــذا موازنـــــة
وليس مُفتيك معدوداً من الشعـــرا[1]

وفاته:

ذكر الشيخ علم الدين البرزاني في تاريخه: وفي ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة توفي الشيخ الإمام العالم العلامة الفقيه الحافظ الزاهد العابد المجاهد القدوة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن شيخنا الإمام العلامة المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن شيخ الإسلام أبي البركات عبد السلام بن عبد الله القاسم محمد الخضر بن محمد بن الخضر بن علي عبد الله ابن تيمية الحراني الدمشقي، بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوساً بها، وحضر جمع غفير إلى القلعة وأذن لهم بالدخول عليه، وجلس جماعة عنده قبل الغسل، وقرأوا القرآن، وتبركوا برؤيته وتقبيله، ثم انصرفوا، ثم حضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ثم انصرفن.

وقال: وخرج النعش به من باب البريد، واشتد الزحام، وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب والترحم عليه والثناء والدعاء له، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم، وثيابهم وذهبت النعال من أرجل الناس لا يلتفتون إليها، لشغلهم بالنظر إلى الجنازة.

---

[1] – شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رجل الإصلاح والدعوة لإبراهيم محمد العلي.

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

العلامة ابن قيم الجوزية [١]

٦٩١ - ٧٥١هـ

مولده ونشأته :

ولد الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي إمام الجوزية وابن قيّمها [٢] في قرية "زرع" من قرى "حوران" على بعد ٧٥ ميلاً من دمشق عام ٦٩١هـ، ثم تحول إلى دمشق، فسمع الحديث عن الشهاب النابلسي العامر، والقاضي تقي الدين سليمان، وفاطمة بنت جوهر، وعيسى بن مطعم، وأبي بكر ابن عبد الدائم، وغيرهم من شيوخ عصره، وبرع في الفقه على المذهب الحنبلي، وأفتى، ولازم ابن تيمية حتى آخر لحظة من حياته، وأخذ عنه علماً جماً.

شارك في جميع العلوم الإسلامية، ولكنه تفرد بالتفسير، ونبغ في أصول الدين، وبلغ فيها إلى القمة، ولم يوجد له نظير في الحديث، وفقه الحديث، ودقائق الاستنباط، كما برع في الفقه

---

[١] – البداية والنهاية، ذيل طبقات الحنابلة، الدرر الكامنة، الوافي بالوفيات، شذرات الذهب، الرد الوافر، بغية الدعاة، النجوم الزاهرة، البدر الطالع، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي.

[٢] – البداية والنهاية: ج ١٤/٧٣٥

www.abulhasanalinadwi.org

وأصول الفقه، والعربية، وعلم الكلام، وحصلت له إشارات أهل القلوب، ودقائق أصحاب المعرفة، والتصوف، ويقول ابن رجب: "لم أجد عالماً أكبر منه في معاني الكتاب والسنة، والحقائق الإيمانية، إنه لم يكن معصوماً عن الخطأ إلا أنني لم أر أحداً يحمل هذه الصفات كمثله".

وقال العلامة الذهبي: "كانت له عناية فائقة بمتون الحديث ورجاله، وكانت له براعة في تدريس النحو، وأصول الفقه، وأصول الحديث".

زهده وعبادته:

كان كثير العبادة، كثير إحياء الليالي، يطيل الصلاة ويخشع فيها، يدوم على ذكر الله، ويغلب عليه ويأخذ بمجامع قلبه حبّ الله، وحالة خاصة من الإنابة إليه، يعلو وجهه نور من التواضع والافتقار إلى الله. حج مرات عديدة، يحكي أهل مكة حكايات من كثرة عبادته وطوافه مما يبعث على الاستغراب والدهشة.

يقول ابن كثير: "كان كثير التودد، لا يحسد أحداً، ولا يؤذيه ويستعيبه، ولا يحقد على أحد، وكنت من أصحب الناس له وأحب الناس إليه، ولا أعرف في العالم في زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جداً، ويمد ركوعها وسجودها، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك".

مر العلامة ابن القيم بمحن ومجاهدات شاقة كأستاذه وشيخه العلامة ابن تيمية فحبس معه، وأفرج عنه بعد وفاة شيخه، وظل في السجن مشغولاً بتلاوة القرآن ودراسة معانيه والتدبر فيها.

www.abulhasanalinadwi.org

يقول ابن رجب :

"فتح عليه من ذلك خير كثير، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف، والدخول في غوامضهم، وتصانيفه مملوءة بذلك" .

قال أحد تلاميذه ابن عبد الهادي ابن رجب : "لقد قال عنه القاضي برهان الدين الزرعي : لا يوجد الآن رجل أوسع علماً منه تحت هذه السماء" .

شغفه بالعلم :

يقول ابن كثير: كتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً، واقتنى من الكتب مالا لا يتهيأ لغيره تحصل عشره من كتب السلف والخلف، وبالجملة كان قليل النظير في مجموعه وأموره وأحواله، والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة .

وقد كان متصدياً للإفتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين بن تيمية، وجرت بسببها فصول يطول بسطها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره، وكان على نهج شيخه يحارب التقليد بلا هوادة، وينعى على فاعليه ويوجب الاجتهاد على القادر المطلق .

أهم مؤلفاته :

تهذيب سنن أبي داود، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، زاد المعاد في هدي خير العباد، جلاء الأفهام من الصلاة والسلام على خير الأنام، إعلام الموقعين عن رب العالمين،

www.abulhasanalinadwi.org

الداء والدواء، مفتاح دار السعادة، الكلم الطيب والعمل الصالح، تحفة الودود بأحكام المولود، كتاب الروح، شفاء العليل، نفحة الأرواح وتحفة الأفراح، الفوائد، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، طريق الهجرتين وباب السعادتين.

أما كتابه زادالمعاد، فيقول عنه الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي: أعتقد أنه ليس هناك كتاب جامع ألف للعمل والإصلاح بعد كتاب إحياء العلوم للإمام الغزالي، بل وقد يفوقه من ناحية التحقيق والاستناد، والتطبيق بين الكتاب والسنة، ويبدو أنه أراد أن يؤلف كتاباً ينوب عن المكتبة الدينية إلى حد كبير، ويقوم مقام مرب ومرشد، وفقيه ومحدث، ولقد شغف بهذا الكتاب وأولع به من كانوا يتذوقون الحديث، ويحرصون على اتباع السنة والآداب النبوية، وكانوا يهتمون بها.

تلامذته:

تلقى عنه كثير من العلماء المشهود لهم بالفضل، كان منهم عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي، ثم الدمشقي الحنبلي، العالم الزاهد، صاحب المؤلفات المفيدة في الفقه والحديث والتاريخ، والحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير صاحب البداية والنهاية، ومنهم الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي الجمَّاعيلي الصالحي صاحب التصانيف الكثيرة وغيرهم.

وفاته:

توفي في٢٣/رجب٧٥١هـ، وكانت جنازته حافلة، رحمه الله، شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة،

www.abulhasanalinadwi.org

وتزاحم الناس على حمل نعشه، وكمل له من العمر ستون سنة[1]

نماذج من كلامه:

يقول ابن قيم الجوزية:

من أمراض القلوب ما يزول بالأدوية الطبيعية، ومنها ما لا يزول إلا بالأدوية الشرعية الإيمانية، والقلب له حياة وموت، ومرض وشفاء، وذلك أعظم مما للبدن وبالله التوفيق.

ويقول: إن كلام الفلاسفة والمتكلمين لا يشفي القلوب، ولا يزيل الشكوك والشبهات، بل يزيدها تعقداً، فيقول:

"أحسن ما عند المتكلمين وغيرهم فهو في القرآن أصح تقريراً وأحسن تفسيراً، فليس عندهم إلا التكلف، والتطويل، أو التعقيد كما قيل:

لولا التنافس في الدنيا لما وضعت
كتب التناظر لا (المغني ولا العمد)
يحللون بزعم منهم عقداً
وبالذي وضعوه زادت العقد

فهم يزعمون أنهم يرفعون بالذي وضعوه الشبه والشكوك، والفاضل الذكي يعلم أن الشبه والشكوك زادت بذلك، ومن المحال أن لا يحصل الشفاء والهدى والعلم، واليقين من كتاب الله وكلام رسوله، ويحصل من كلام هؤلاء المتحيرين المتشككين الشاكين، الذين أخبر الواقف الإمام فخر الدين الرازي (م٦٠٦هـ) على نهايات إقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم حيث يقول:

---

[1] البداية والنهاية: ج١٤

www.abulhasanalinadwi.org

نهايـــة إقدام العقـول عقـــال
وأكثـــر سعي العـالمين ضـــلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا
وحـــاصل دنيانا أذى ووبـــال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل و قالـوا

لقد تـأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروى غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن.

ويقـول: آخر أمر المتكلمين الشك، وآخـر أمـر المتصوفـين الشطح.

والقرآن يوصلك إلى نفس اليقين في هذه المطالب التي هي أعلى مطالب العباد، ولذلك أنزله من تكلم به، وجعله شفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين.

ويذكر منهج القرآن في علاج أمراض القلب:

مثلاً منهجه لمعالجة مرض الشهوات، بما فيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والتزهيد في الدنيا، والترغيب في الآخرة، والأمثال والقصص التي فيها أنواع العبر والاستبصار، فيرغب القلب السليم إذا أبصر ذلك فيما ينفعه في معاشه ومعاده، ويرغب عما يضره، فيصير القلب محباً للرشد، مبغضاً للغي.

فالقرآن مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة، فيصلح القلب فتصلح إرادته، ويعود إلى فطرته التي فطر عليها، فتصلح أفعاله الاختيارية الكسبية، كما يعود البدن بصحته وصلاحه إلى

www.abulhasanalinadwi.org

الحال الطبيعي، فيصير بحيث لا يقبل إلا الحق، كما أن الطفل لا يقبل إلا اللبن.

وعاد الفتى كالطفل ليس بقـــابل
سوى المحض[١] شيئاً، واستراحت عواذله

فيتغذى القلب من الإيمان والقرآن بما يزكيه ويقويه، ويؤيده ويفرحه ويسره وينشطه ويثبت ملكه، كما يتغذى البدن بما ينميه ويقويه.

القلب:

وقد قسم العلامة ابن القيم القلب إلى قلب مريض، وقلب صحيح، وبعد شرح مزايا القلب، القلب الصحيح يقول:

وبالجملة فالقلب الصحيح: هو الذي همه كله في الله، وحبه كله له، وقصده له، وبدنه له، وأعماله له، ونومه له، ويقظته له، وحديثه والحديث عنه أشهى إليه من كل حديث، وأفكاره تحوم على مراضيه ومحابه، و الخلوة به آثر عنده من الخلطة إلا حيث تكون الخلطة أحب إليه وأرضى له، قرة عينه به، وطمأنيته وسكونه إليه، فهو كلما وجد في نفسه التفاتاً إلى غيره تلا عليها **﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾**[٢] فهو يردد عليها الخطاب بذلك ليسمعه من ربه يوم لقائه فينصبغ القلب بين يدي إلهه ومعبوده الحق بصبغة العبودية، فتصير العبودية صفته، ذوقاً لا تكلفاً فيأتي بها تودداً وتحبباً وتقرباً، كما يأتي المحب المتيم في محبة محبوبه بخدمته وقضاء أشغاله.

---

[١] – اللبن الخالص

[٢] – الفجر: ٢٧-٢٨

www.abulhasanalinadwi.org

فكلما عرض له أمر من ربه أو نهي أحس من قلبه ناطقاً ينطق: لبيك وسعديك، إلى سامع مطيع ممتثل، ولك عليَّ المنة في ذلك، والحمد فيه عائد إليك.

وإذا أصابه قدر وجد من قلبه ناطقاً يقول: أنا عبدك ومسكينك وفقيرك، وأنا عبدك الفقير العاجز الضعيف المسكين، وأنت ربي العزيز الرحيم، لا صبر لي إن لم تصبرني، ولا قوة لي إن لم تحملني وتقوِّني، لا ملجأ لي منك إلا إليك، ولا مستعان لي إلا بك، ولا إنصراف لي عن بابك، ولا مذهب لي عنك.

فينطرح بمجموعه بين يديه، ويعتمد بكليته عليه، فإن أصابه مما يكره قال: رحمة أهديت إليَّ، ودواء نافع من طبيب مشفق، وإن صرف عنه ما يحب قال: شراً صرف عني.

وكم رمت أمراً خرت لي في إنصرافه
وما زلت بي مني أبر و أرحما

فكل ما مسّه به من السراء والضراء، اهتدى به طريقاً إليه، وانفتح له باب يدخل منه عليه كما قيل:

ما مسني قدر بكره أو رضى
إلا اهتديت به إليك طريقاً
أمض القضاء على الرضا مني به
إني وجدتك في البلاء رفيقاً[1]

عرف الجاحظ والدميري بوصف الحيوانات وحياتها في كتابيهما عن الحيوان، ويخفى على كثير من أهل الأدب أسلوب

[1] – طب القلوب لابن قيم الجوزية، ص: ٥٠، دار القلم، دمشق ٢٠٠١م

www.abulhasanalinadwi.org

العلامة ابن القيم، وفيما يلي نموذج مأخوذ من كتاب" مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة" وهو في بيان آيات الله، ونعمه على الإنسان، وبيان أنواع خلقه وصفاته، وقال صاحب كشف الظنون: مفتاح دار السعادة للشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف ابن القيم المتوفى ٧٥١هـ كتاب كبير الحجم، فيه فوائد مرسلة يقتبس من مجموعها معرفة العلم وفضله. ومعرفة إثبات الصانع، ومعرفة قدر الشريعة، ومعرفة النبوة، ومعرفة الرد على المنجمين، ومعرفة الطيرة والفال والزجر، ومعرفة أصول نافعة جامعة مما تكمل به النفوس البشرية إلى غير ذلك من الفوائد.

النملة:

"تأمل هذه النملة الضعيفة، وما أعطيته من الفطنة أو الحيلة، في جمع القوت، وادخاره وحفظه، ودفع الآفة عنه، فإنك ترى في ذلك عبراً وآيات، فترى جماعة النمل إذا أرادت إجراز القوت خرجت من أسرابها طالبة له، فإذا ظفرت به أخذت طريقاً من أسرابها إليه، وشرعت في نقله، فتراها رفقتين رفقة حاملة تحمله إلى بيوتها سرباً ذاهباً، ورفقة خارجة من بيوتها إليه لا تخالط تلك في طريقها، بل هما كالخيطين بمنزلة جماعة الناس الذاهبين في طريق وجماعة الراجعين من جانبهم، فإذا ثقل عليها حمل الشيء من تلك اجتمعت عليه جماعة من النمل وتساعدت على حمله بمنزلة الخشبة والحجر الذي تتساعد الفئة من الناس عليه، فإذا كان الذي ظفر به منهن واحدة ساعدها رفقتها عليه إلى بيتها وخلوا بينها وبينه، وإن كان الذي صادفه جماعة تساعدن عليه ثم تقاسمنه على باب البيت.

www.abulhasanalinadwi.org

ولقد أخبر بعض العارفين أنه شاهد منهن يوماً عجيباً، قال: رأيت نملة جاءت إلى شق جرادة فزاولته فلم تطق حمله من الأرض فذهبت غير بعيد، ثم جاءت معها بجماعة من النمل، قال: فرفعت ذلك الشق من الأرض، فلما وصلت النملة برفقتها إلى مكانه دارت حوله ودرن معها فلم يجدن شيئاً فرجعن فوضعته، ثم جاءت فصادفته فزاولته فلم يجدن شيئاً فوضعته ثم جاءت فصادفته فزاولته فلم تطق رفعه فذهبت غير بعيد، ثم جاءت بهن فرفعته فدرن حول مكانه فلم يجدن شيئاً فذهبن فوضعته فعادت فجاءت بهن فرفعته فدرن حول المكان، فلما لم يجدن شيئاً تحلقن حلقة وجعلن تلك النملة في وسطها ثم تحاملن عليها فقطعنها عضواً عضواً، وأنا أنظر.

ومن عجيب أمر الفطنة فيها إذا نقلت الحب إلى مساكنها كسرته لئلا ينبت، فإن كان مما ينبت الفلقتان منه كسرته أربعاً فإذا أصابه ند أو بلل وخافت عليه الفساد أخرجته للشمس، ثم ترده إلى بيوتها، ولهذا ترى في بعض الأحيان حباً كثيراً على أبواب مساكنها مكسراً، ثم تعود عن قريب فلا ترى منه واحدة.

ومن فطنتها أنها لا تتخذ قريتها إلا على نشر من الأرض لئلا يفيض عليها السيل فيغرقها فلا ترى قرية نمل في بطن واد، ولكن في أعلاه وما ارتفع عن السيل منه.

ويكفي في فطنتها ما نص الله عزوجل في كتابه من قولها لجماعة النمل، وقد رأت سليمان عليه الصلاة والسلام وجنوده **﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾**[النمل:] فتكلمت بعشرة أنواع من الخطاب في

www.abulhasanalinadwi.org

هـذه النصيحـة: النـداء والتنبيـه، والتسـمية، والأمـر، والنـص، والتحذير، والتخصيص، والتفهيم، والتعميم، والاعتذار فاشتملت نصيحتها مع الاختصار على هذه الأنواع العشرة، ولذلك أعجب سليمان قولها وتبسم ضاحكاً منه، وسأل الله أن يوزعه شكر نعمته عليه لما سمع كلامها ولا تستبعد هذه الفطنة من أمة من الأمم تسبح بحمد ربها كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة، فأمر بجهازه فأخرج، ثم أحرق قرية النمل، فأوحى الله إليه من أجل أن لدغتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح فهلا نملة واحدة".

الثعلب :

ويقول ابن القيم:

"ومن عجيب الفطنة في الحيوان أن الثعلب إذا أعوزه الطعام، ولم يجد صيداً تماوت ونفخ بطنه حتى يحسبه الطير ميتاً، فيقع عليه ليأكل منه، فيثب عليه الثعلب فيأخذه.

ومن عجيب الفطنة في هذه الذبابة الكبيرة التي تسمى أسد الذباب، فإنك تراه حين يحس بالذباب قد وقع قريباً منه يسكن ملياً حتى كأنه موات لا حراك فيه، فإذا رأى الذباب قد اطمأن وغفل عنه دب دبيباً رفيقاً حتى يكون منه بحيث يناله، ثم يثب عليه فيأخذه.

ومن عجيب حيل العنكبوت أنه ينسج تلك الشبكة شركا للصيد ثم يكمن في جوفها، فإذا نشب فيها البرغش والذباب وثب عليه وامتص دمه.

فهذا يحكي صيد الأشراك والشباك، والأول يحكي صيد

www.abulhasanalinadwi.org

الكلاب والفهود ولا تزدرين العبرة بالشيء الحقير من الذرة والبعوض، فإن المعنى النفيس يقتبس من الشيء الحقير والازدراء بذلك ميراث من الذين استنكرت عقولهم ضرب الله تعالى في كتابه المثل بالذباب والعنكبوت والكلب والحمار، فأنزل الله تعالى ﴿**إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها**﴾.

فما أغزر الحكم وأكثرها في هذه الحيوانات التي تزدريها وتحتقرها، وكم من دلالة فيها على الخالق ولطفه ورحمته وحكمته فسل المعطل من ألهمه هذه الحيل والتلطف في اقتناص صيدها الذي جعل قوتها، ومن جعل هذه الحيل فيها بدل ما سلبها من القوة والقدرة فأغناها ما أعطاها من الحيلة عما سلبها من القوة والقدرة سوى اللطيف الخبير"[1].

نماذج من كلامه :

وهذه قطعة رائعة مؤثرة ومثيرة فيها تعبير عن الشوق والوجد، والحب الغامر والفداء في سبيل الحبيب ورضاه، ووصف لفضله وعطائه، ولكن هذا الحب وروح الفداء ليس لإنسان، بل لذات الله سبحانه وتعالى:

يقول ابن قيم الجوزية وهو يبين الجهاد وفضله وثوابه:

"ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يُقاتلهم فقال: ﴿ **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم**﴾[2].

ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة، وكان محرماً، ثم مأذوناً

---

[1] – مفتاح دار السعادة، ص٢٤٣-٢٤٤، دار الكتب العلمية بيروت لبنان

[2] – البقرة: ١٩٠

www.abulhasanalinadwi.org

به، ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأموراً به لجميع المشركين إما فرض عين على أحد القولين، أو فرض كفاية على المشهور.

والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب، وإما باللسان، وإما بالمال، وإما باليد، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع.

أما الجهاد بالنفس، ففرض كفاية، وأما الجهاد بالمال، ففي وجوبه قولان، والصحيح وجوبه، لأن الأمر بالجهاد به وبالنفس في القرآن سواء، كما قال تعالى: ﴿**انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾[١]، وعلق النجاة من النار به، ومغفرة الذنب، ودخول الجنة، فقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن، ذلك الفوز العظيم**﴾[٢]، وأخبر أنهم إن فعلوا ذلك، أعطاهم ما يحبون من النصر والفتح القريب فقال: ﴿**وأخرى تحبونها**﴾[٣]، ولكم خصلة أخرى تحبونها في الجهاد، وهي﴿ **نصر من الله وفتح قريب**﴾، وأخبر سبحانه أنه ﴿**اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾[٤] وأعاضهم

---

[١] – التوبة: ٤١

[٢] – الصف: ١٠

[٣] – الصف: ١٢

[٤] – التوبة: ١١١

www.abulhasanalinadwi.org

عليها الجنة، وأن هذا العقد والوعد قد أودعه أفضل كتبه المنزلة من السماء، وهي التوراة والإنجيل، والقرآن، ثم أكد ذلك بإعلامهم أنه لا أحد أوفى بعهده منه تبارك وتعالى، ثم أكد ذلك بأن أمرهم بأن يستبشروا ببيعهم الذي عاقدوه عليه، ثم أعلمهم أن ذلك هو الفوز العظيم.

فليتأمل العاقد مع ربه عقد هذا التبايع ما أعظم خطره وأجله، فإن الله عزوجل هو المشتري، والثمن جنات النعيم، والفوز برضاه، والتمتع برؤيته هناك، والذي جرى على يده هذا العقد أشرف رسله وأكرمهم عليه من الملائكة والبشر، وإن سلعة هذا شأنها لقد هيئت لأمر عظيم وخطب جسيم.

قد هيَّؤوك لأمر لو فطنتَ له
فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهَمَل

مهر المحبة والجنة بذل النفس والمال لمالكهما، الذي اشتراهما من المؤمنين، فما للجبان المعرض المفلس، وسوم هذه السلعة، بالله ما هزلت فيستامها المفلسون، ولا كسدت، فيبيعها بالنسيئة المعسرون، لقد أقيمت للعرض في سوق من يريد، فلم ير ربها لها بثمن دون بذل النفوس، فتأخر البطَّالون، وقام المحبون ينتظرون أيهم يصلح أن يكون نفسه الثمن، فدارت السلعة بينهم، ووقعت في يد ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾[1].

لما كثر المدَّعون للمحبة، طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى، فلو يُعطي الناس بدعواهم، لادّعى الخليُّ حرقة الشجيِّ،

[1] – المائدة: ٥٤

www.abulhasanalinadwi.org

فتنوع المدعون في الشهود، فقيل: لا تثبت هذه الدعوى إلا ببينة ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾[١]، فتأخر الخلق كلهم، وثبت أتباع الرسول في أفعاله وأقواله، وهديه وأخلاقه، فطولبوا بعدالة البينة، وقيل: لا تقبل العدالة إلا بتزكية ﴿**يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم**﴾[٢]، فتأخر أكثر المدعين للمحبة، وقام المجاهدون، فقيل لهم: إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم، فسلموا ما وقع عليه العقد، فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، وعقد التبايع يوجب التسليم من الجانبين، فلما رأى التجار عظمة المشترى وقدر الثمن، وجلالة قدر من جرى عقد التبايع على يديه. ومقدار الكتاب الذي أثبت فيه العقد، عرفوا أن للسلعة قدراً وشأناً ليس لغيرها من السلع، فرأوا من الخسران المبين والغبن الفاحش أن يبيعوها بثمن بخس دراهم معدودة، تذهب لذتها وشهوتها، وتبقى تَبِعَتُها وحسرتها، فإن فاعل ذلك معدود في جملة السفهاء، فعقدوا مع المشترى بيعة الرضوان رضى واختياراً من غير ثبوت خيار، وقالوا: والله لا نقيلك ولا نستقيلك فلما تم العقد، وسلموا المبيع، قيل لهم: قد صارت أنفسكم وأموالكم لنا، والآن فقد رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعاف أموالكم معها ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾[٣]، لم نبتع منكم نفوسكم

---

[١] – آل عمران: ٣١

[٢] – المائدة: ٥٤

[٣] – آل عمران: ٦٩

www.abulhasanalinadwi.org

وأمولكم طلباً للربح عليكم، بل ليظهر أثر الجود والكرم في قبول المعيب والإعطاء عليه أجل الأثمان، ثم جمعنا لكم بين الثمن والمثمن، تأمل قصة جابر بن عبد الله وقد اشترى منه صلى الله عليه وسلم بعيره، ثم وفّاه الثمن وزاده، ورد عليه البعير"، وكان أبوه قتل مع النبي صلى الله عليه وسلم في وقعة أحد، فذكره بهذا الفعل حال أبيه مع الله، وأخبره "أن الله أحياه" وكلمه كفاحاً وقال: يا عبدي تمن علي"، فسبحان مَن عظم جودُه وكرمُه أن يُحيط به علمُ الخلائق، فقد أعطى السلعة، وأعطى الثمن، ووفّق لتكميل العقد، وقبل المبيع على عيبه، وأعاض عليه أجل الأثمان، واشترى عبده من نفسه بماله، وجمع له بين الثمن والمثمن، وأثنى عليه، ومدحه بهذا العقد، وهو سبحانه الذي وفقه له، وشاءه منه.

فحيَّهلا إن كنت ذا همة فقد
حدا بك حادي الشوق فاطوِ المراحلا
وقل لمنادي حبهم، ورضاهم
إذا ما دعا لبيك ألفاً كواملا
ولا تنظر الأطلال من دونهم فإن
نظرت إلى الأطلال عُدن حوائلا
ولا تنتظر بالسير رفقة قاعد
ودعْه فإن الشوق يكفيك حاملاً
وخذ منهم زاداً إليهم وسر على
طريق الهُدى والحب تصبح واصلا

www.abulhasanalinadwi.org

وأحي بذكـــراهم شـراك إذا دنت
ركابك فالذكـــرى تعيـــدك عاملا
وإما تخافن الكـــــلال فقل لهـــا
أمامك ورد الوصل فابغي المناهـــلا
وخذ قبساً من نورهم ثم سر بـــــه
فنورهم يهديك ليس المشاعـــــلا
وحي على وادي الأراك فقِل بـــــه
عساك تراهم ثم إن كنت قائـــــلا
وإلا ففي نعمان عندي معـــرِّف الـ
أحبة فاطلبهم إذ كنت سائـــــلا
وإلا ففي جمع بليلتـــه فـــإن
تفت فمنى يا ويح من كان غافـــلا
وحي على جنات عـــدن فإنهـــا
منـــازلك الأولى بهـــا كنت نـــازلا
ولكن سباك الكاشحون لأجل ذا
وقفت على الأطلال تبكي المنـــازلا
وحي على يوم الـمـــزيد بجنة الـ
خلـــود فجـد بالنفس إن كنت باذلا
فدعها رسومـاً دارسات فما بهـــا
مقيل وجـــاوزهـــا فليست منـــازلا
رسوماً عفت ينتابها الخلق كـم بها
قتيل وكم فيها لـــذا الخلـق قاتـــلا

www.abulhasanalinadwi.org

وخذ يمنة عنها على المنهج الـذي
عليه سرى وفـد الأحبـة آهـلا
وقل ساعدي يا نفس بالصبر ساعة
فعنـد اللقا ذا الكـد يصبح زائـلا
فما هي إلا ساعـة ثم تنقضـي
ويصبح ذو الأحزان فـرحان جاذلا

لقد حرك الداعـي إلى الله، وإلى دار السلام النفوس الأبية، والهمم العالية، وأسمع منادي الإيمان من كانت لـه أذن واعية، وأسمع الله من كان حياً، فهزه السماع إلى منازل الأبرار، وحدا به في طريق سيره، فما حطت به رحالـه إلا بـدار القرار فقال: "انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي، وتصديق برسلي أن أرجعـه بما نال من أجر، أو غنيمة، أو أدخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتي، ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا، ثم أقتل.[1]

وقال: "مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولاصلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة[2].

وقال: "غدوةٌ في سبيل الله أو روحة خيرٌ من الدنيا وما فيها[3]

---

[1]- أخرجه البخاري: ٨٦/١ في الإيمان
[2] - أخرجه البخاري: ٥/٦-٦ في الجهاد.
[3]- البخاري: ١١/٦

www.abulhasanalinadwi.org

وقال فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى: "أيما عبدٍ من عبادي خرج مجاهداً في سبيلي ابتغاء مرضاتي، ضمنت له أن أرجعه إن أرجعته بما أصاب من أجر أو غنيمة، وإن قبضته أن أغفر له وأرحمه وأدخله الجنة[1].

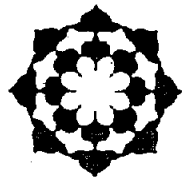

[1] – النسائي: ١٨/٦ في الجهاد. – زاد المعاد في هدى خير العباد ص: ٧١/٣–٧٧ لابن قيم الجوزية، بتحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، عام ١٩٧٩م.

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

الشيخ شرف الدين يحيى المنيري[١]

٦٦١هـ - ٧٨٢م

هو مخدوم الملك شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري، يصل نسبه إلى زبير بن عبد المطلب، فهو هاشمي قرشي، انتقل جده الأكبر الشيخ محمد تاج فقيه الذي كان من كبار الربانيين، من "الخليل" إلى "منير"١، ويرى المؤرخون أن رحلته إلى الهند كانت في عهد السلطان شهاب الدين الغوري(م ٦٠٢هـ)، وهو عهد الشيخ معين الدين السجزي (م ٦٢٧هـ)، الذي انتقل من "سجز" إلى الهند في عهد قطب الدين أيبك (م ٦٠٧) الذي فتح أجمير ودلهي وأسس الدولة الإسلامية، واستوطن الشيخ معين الدين الششتي السجزي "أجمير"، وإليه يرجع استقرار المسلمين في الهند، وانتشر الإسلام بسلسلته الربانية.

يقول سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي:

"تأسست الدولة الإسلامية في الهند في القرن الخامس الهجري، واحتضنت العلم والدين، وقصدها العلماء والأشراف من أقصى العالم الإسلامي، وآوى إليها كل من نبا به بلده، أو ضاقت

---

[١] - رجال الفكر والدعوة في الإسلام، للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي(بالأردية) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام.

www.abulhasanalinadwi.org

عليه أرضه، واجتمع فيها آلاف من أهل الدين والعلم، نزحوا من بلادهم في فتنة التتار، وقصدها أهل الهمم العالية والنفوس الكبيرة من المجاهدين والدعاة، بإشارات غيبية ومبشرات صادقة، أو برغبة في الجهاد ونشر الدعوة الإسلامية، فنشطوا في الجهاد والدعوة، وانتشر الإسلام بسرعة غريبة بتأثير أخلاقهم الطيبة وشخصيتهم القوية، وقد أسلم مئات آلاف من الوثنيين على يد الشيخ معين الدين الجشتي (م٦٢٧هـ) في أجمير، وما جاورها من البلدان، وأسلم آلاف في بنجاب على يد الشيخ إسماعيل اللاهوري(م٤٤٨هـ)، والشيخ فريد الدين الأجودهني(٦٦٤هـ)، وأسلمت كشمير كلها على يد السيد علي بن الشهاب الهمداني (م٧٨٦هـ).

وأسس رجال الدين دولاً مستقلة في جنب هذه الحكومات، كانت أعظم سلطاناً، وأعمق نفوذاً من هذه الحكومات، واستقلت هذه الدول الروحية بالناحية الروحية والخلقية، وكان القائمون على هذه الدول يحكمون القلوب والأرواح، وكثيراً ما شوهد أن الملك كان يحكم على البلاد كلها ويحكم عليه وعلى بلاطه وأزواجه، وأولاده وبطانته رجل من الصالحين قد لا يجد قوت يومه وقد يكون دواب هذا الملك أشبع وأنعم عيشاً منه"[1].

استفاد خلق كبير من الشيخ محمد تاج فقيه، وأسلم على يديه عدد كبير من غير المسلمين، وبعد فترة من الزمن عاد الشيخ إلى وطنه "الخليل"، وقضى بقية حياته في وطنه، لكن أسرته استقرت في

[1] الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها للشيخ الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

"منير" واستوطنتها .

وكان جد الشيخ أحمد شرف الدين من جهة الأم شهاب الدين جك جوت من أئمة السلسلة السهروردية، وكان وطنه "كاشغر"، انتقل منها إلى الهند، وأقام بقرب من "بتنه" عاصمة ولاية"بهار"، وكان الشيخ جك جوت من مسترشدي الشيخ شهاب الدين السهروردي، وكان في غاية من الورع، والزهد، والاستقامة، يضرب به المثل، فعرف بجك جوت، أي (نور العالم) وكان من الأشراف الحسينيين، وبذلك يصل نسب الشيخ أحمد شرف الدين من جهة الأم إلى سيدنا الحسين رضي الله عنه .

مولده ودراسته :

ولد الشيخ شرف الدين في ٦٦١هـ في قرية"منير"،[١] وقرأ الكتب الابتدائية في كُتَّاب قريته، ثم قام برحلات في سبيل كسب العلم، وقرأ على كبار مشايخ عصره، كان منهم الشيخ شرف الدين أبو توامة الذي كان من أقطاب العلم والتربية، في عهد السلطان شمس الدين التمش، وكان مرجعاً للعلماء، فأقام عنده مدة، وشغف بعلمه وفضله وورعه، يقول الشيخ شرف الدين يحي في كتابه"خوان بر نعمت" عن أستاذه الشيخ شرف الدين .

"كان الشيخ شرف الدين عالماً يومى إليه في سائر أنحاء الهند، ولم يكن له مثيل ولا نظير في العلم في الهند كلها" .

---

[١] – منير في الأصل Munyar بضم الميم وسكون النون وفتح الباء، ثم صار بفتح الميم، وسكون النون وفتح الباء، وهكذا جاء في بعض الأبيات، ووافق عليه الأدباء والكتاب.(الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام) .

www.abulhasanalinadwi.org

انقطع الشيخ شرف الدين يحيى إلى العلم كلياً، وانقطع عن كل شيء، وبلغ شغفه بالعلم أنه كان يحدد وقتاً للغذاء، وكان في ذلك مثالاً للشيخ يحي الليثي تلميذ الإمام مالك بن أنس رحمه الله الذي لم يخرج لمشاهدة الفيل، يروى أنه كان في مجلس مالك مع جماعة من أصحابه، فقال قائل قد حضر الفيل، فخرج أصحاب مالك كلهم لينظروا إليه، ولم يخرج يحيى، فقال له مالك: ما لك لا تخرج فتراه، لأنه لا يكون ببلدك الأندلس؟ فقال: إنما جئت من بلدي لأنظر إليك وأتعلم من هديك وعلمك، ولم أجئ لأنظر إلى الفيل، فأعجب به مالك، وسماه عاقل الأندلس[1].

كذلك كان الشيخ شرف الدين لا يقرأ الكتب والرسائل التي كانت تأتي إليه من أسرته لكيلا يتأثر بأخبار عائلته، وكان يضعها في صندوق، وأعجب أستاذه بشغفه بالعلم وزهده في الحياة، فزوجه ببنته، وأقام الشيخ شرف الدين بن يحيي في "سناركاؤن" مقر أستاذه الشيخ شرف الدين أبي توامة بعد الزواج مدة، ثم استأذنه العودة إلى الوطن لما علم وفاة والده، وكان ذلك في عام ٦٩٠م.

ولم يرض الشيخ شرف الدين أن يكتفي بالعلم الظاهر، فأستأذن والدته وسافر إلى "دلهي" للتربية والتزكية، وكان يرافقه شقيقه الشيخ جليل الدين، وكان ذلك العصر عامراً بالمشايخ والربانيين الكبار، وكانت دلهي عاصمة سياسية ودينية كذلك، فقد كان الشيخ نظام الدين أولياء شيخ المشايخ في ذلك الوقت فحضر مجالسه، وجرى بينهما تبادل في المسائل العلمية والدينية، فأكرمه

[1] وفيات الأعيان لابن خلكان ،ج ٦ ، ص: ١٤٤.

www.abulhasanalinadwi.org

الشيخ نظام الدين غاية الإكرام، وقال: إنه عقاب، لكنه أرفع من أن أصيده، وتوجه الشيخ إلى "باني بت"، وحضر مجالس الشيخ بو علي شرف الدين قلندر، لكنه قال عنه بفضل علمه وفراسته إنه شيخ كبير، لكنه مغلوب الحال، ثم توجه إلى الشيخ نجيب الدين الفردوسي[١] فقبل ذوقه صحبة هذا الشيخ، وقرر الإقامة عنده، والاستفادة من فيوضه، فبايع على يده، ونال الإجازة منه فور دخوله في بيعته، لأن الشيخ أدرك بفراسته أنه بلغ الكمال، وأنه أهل للإرشاد.

كان التوحيد سمة هذه السلسلة التي تعرف بالسلسلة الفردوسية، التي ترجع إلى الشيخ نجم الدين الكبرى، وكل من انتسب إلى هذه السلسلة غلب عليه التوحيد، واتباع السنة، وكان من هذه السلسلة الشيخ أمير المؤمنين السيد قطب الدين محمد المدني (٦٧٧هـ)[٢] والشيخ علي الهمداني[٣].

---

[١] – خواجه نجيب الدين الفردوسي ابن الشيخ عماد الدين الدهلوي، هو مسترشد الشيخ ركن الدين الفردوسي وابن أخيه، والشيخ ركن الدين الفردوسي هو مسترشد الشيخ بدر الدين السمرقندي، وهو أول مشايخ السلسلة الفردوسية، والذي وصل إلى الهند، وهو مسترشد الشيخ سيف الدين باخرزي وهو مسترشد الشيخ الكبير خواجه نجم الدين كبرى، والشيخ أبو الجناب أحمد بن عمر المعروف بنجم الدين كبرى هو من كبار مسترشدي الشيخ ضياء الدين أبو النجيب عبد القادر السهروردي (م ٥٦٣هـ) والشيخ عبد القادر السهروردي هو عم الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي صاحب عوارف المعارف وإمام الطريقة السهروردية وشيخه.

[٢] – نشأ في أسرة الشيخ قطب الدين المدني كبار المجاهدين والعلماء والربانيين كان منهم الشيخ علم الله الحسني، أحد مسترشدي الإمام آدم البنوري، وفي ذريته الإمام أحمد بن عرفان الشهيد والشيخ خواجه أحمد النصيرآبادي، والشيخ عبد الحي الحسني صاحب "الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام".

[٣] – الشيخ علي الهمداني، هو شيخ كشمير، أسلم على يده عدد لا يحصى، قضى

www.abulhasanalinadwi.org

بعد أن فاز الشيخ شرف الدين بإجازة الشيخ نجيب الدين الفردوسي في التربية الروحانية، وقد حاز قبل ذلك إجازة أستاذه في التعليم والتربية، توجه إلى المجاهدة، والرياضة، وتربية النفس، فانقطع عن الخلق، وقضى ١٤ سنة منقطعاً إلى العبادة، والتأمل لا يخرج من خلوته إلا للصلاة.

وقد وصف حالته النفسية بنفسه:

"لما خرجت من عند شيخي نجيب الدين الفردوسي، غلبني حزن وكآبة شديدة، وازدادت هذه الطبيعة يوماً بعد يوم".

ولغلبة هذه الطبيعة ترك الاختلاط بالناس إلى أن لجأ إلى غابة راجكير الموحشة، وكان يقضي وقتاً طويلاً في الكهوف والمغارات، وكان الناس يقصدونه فكانوا يدخلون هذه الغابة بحثاً عنه، وكان منهم أحد مسترشدي الشيخ نظام الدين أولياء الشيخ نظام الدين المعروف بـ "نظام مولى"، وكان في هذه الغابة عدد من النساك الهنود أيضاً، فكان الشيخ يلتقي بهم، ويعرض عليهم الإسلام، وهكذا قضى أكثر من إثنتي عشرة سنة، وكان يقول: تحملت شدائد ومجاهدات لو مرت على جبل لتحول تراباً، لكنه يبدو أنه كان حالاً طرأ عليه، ولم يك راضياً بذلك في آخر عمره.

وفي عام ٧٢١هـ أجبره بعض المشايخ وتلاميذه الذين كانوا يقصدونه ويتحملون الشدائد في الوصول إليه في الغابات والكهوف على أن ينتقل إلى مكان خارج الغابة، وبنوا له غرفة، ولما ولي

حياته في كشمير، ونشر الإسلام في هذه الإمارة التي تحولت الأغلبية الهندوكية فيها إلى الإسلام.

www.abulhasanalinadwi.org

السلطان محمد تغلق بعد موت أبيه، أرسل حاكم ولاية بهار مجد الملك إليه بسجادة وطلب منه أن يبنى له بناية يقيم فيها هو ومسترشدوه، وخصص له ضيعة لنفقته، وأصر على قبول ذلك فقبل الشيخ مكرهاً لتفادي الصراع مع الملك، فانتقل إليه مكرهاً، وكان يقول لجلسائه أنكم أجبرتموني على الانتقال إلى هذا المعبد.

وقال عندما انتقل إلى تلك البناية لجلسائه أنا لا أليق بهذا المكان، لكني قبلت ذلك امتثالاً لحكم حاكم الولاية مجد الملك، لأن طاعة أولى الأمر لابد منها، وكل ما يوجد هنا صرفته على الفقراء، فقال له أحد الجلساء من مسترشديه إن الناس لا يعرفونكم بهذا المكان ولا المصلى، وإنما يعرفونكم بالحق، وكل من يأتي هنا يأتي لروحانيتكم، وسيظهر الله ببركتكم الإسلام ويقويه.

بدأ حقاً عهد جديد بانتقال الشيخ إلى هذا المكان واتصاله بالناس، واستفاد واسترشد به خلق كثير، وطبقا للشيخ حسين معز شمس البلخي استرشد به أكثر من مائة ألف شخص صلحت حياتهم، وطبقاً لبعض التقديرات بلغ أكثر من ثلاثمائة شخص درجة الكمال، والمعرفة الإسلامية، وأسلم على يديه عدد كبير من النساك الهندوس المعروفين مع تلاميذهم ومتبعيهم.

كانت مجالسه التي كان يحضرها رجال سائر الطبقات والعقائد عامرة، وكان تأثير مواعظه كتأثير الشيخ عبد الرحمن ابن الجوزي، كان الناس يتوبون في مجالسه بمواعظه، وترق قلوب القساة، والفجرة بكلامه، ولم يكن لكلامه موضوع معين، أو باعث، وإنما كان كلاماً يصدر من قلبه، فكان كالشلال الذي يتدفق ماؤه ويفيض.

www.abulhasanalinadwi.org

كلامه :

ينقسم كلام الشيخ شرف الدين إلى ثلاثة أقسام : مواعظه ، وأحاديثه في المجالس التي كان يحضرها رجال سائر الطبقات ، وكان منهم من تساوره شكوك وشبهات ، أو تراوده وساوس قلب ، فكان يعرضها على الشيخ ، وكان الشيخ يرد عليها بأسلوب مقنع يشرح قلب السائل ، ولم يكن لهذه المجالس موضوع معين ، أو لأحاديثه موضوع خاص ، وكذلك لم يكن كلامه ككلام الأساتذة ، أو الشيوخ يسمعه السامع بصمت ، بل كان الناس يثيرون مسائل ، أو كان الشيخ بنفسه يبدأ الكلام على موضوع ، فكانت هذه المجالس مجالس علم ومعرفة ، وتربية ، ويشتمل كلامه على نكت مهمة ، وقد وصف جامع مواعظه الشيخ زين بدر في كتاب "معدن المعاني" .

"في كل مجلس كان الحاضرون يوجهون إليه أسئلة عن الإحسان والتزكية ، أو حكم من أحكام الإسلام ومصلحة الشريعة الكامنة فيه ، أو عن أسرار العرفان الإلهي ، فكان الشيخ يرد على هذه الأسئلة بكل اهتمام ، ويشجع السائل على السؤال والاسترسال فيه ، ويشرح رده قلب السائل ، لأنه يستخدم في رده أسلوباً شيقاً واستدلالاً مقنعاً ، تميل إليه القلوب" .

وفي بعض الأحيان كان يقرأ كتاب ديني ، وكان الشيخ يشرح الموضوع شرحاً يستسيغه كل شخص ، وأحياناً يتكلم على موضوع علمي دقيق في الفقه وأصول الحديث ، والتفسير ، والإحسان ، فيستفيد من كلامه العلماء .

والقسم الثاني لكلامه هو ما كتبه في رسائله التي وجهها إلى

www.abulhasanalinadwi.org

متبعوه وتلاميذه، ومسترشديه، ولا يوجد نظير لهذه الرسائل المؤثرة إلا في رسائل الإمام أحمد السرهندي، وهذه الرسائل هي في الواقع خزانة وثروة غنية للحكمة، والمعرفة، وتمتاز هذه الرسائل بأسلوبها الأدبي المؤثر الجذاب، كما تمتاز بالنكت والنوادر، والمعارف الدقيقة، وهي في الفارسية، وتشكل تراثاً أدبياً في الأدب الفارسي، ولا تزال هذه الرسائل تحمل تأثيرها الخلاب وصلاحيتها لتسخير القلوب، وحتى بعد مرور زمن طويل، وتحمل هذه الرسائل رغم مرور عهد طويل على كتابتها، نفس التأثير الذي كانت تحمله وقت كتابتها، وقد شرحها الشراح، وتبدو بعض كلماتها كأنها سهام تصيب المحز، ولا تطيش عن أهدافها.

والقسم الثالث كلامه في مؤلفاته وهي كثيرة، منها مؤلفات علمية دقيقة، ومنها مؤلفات حول المعرفة الإلهية، والتربية والتزكية وأمراض القلب، وطرق معالجتها.

مزاياه الشخصية:

إنكار الذات:

كان إنكار الذات السمة الغالبة للشيخ شرف الدين، وقد ذكر صاحب "مناقب الأصفياء" أن كبار المشايخ قد اجتمعوا مرة، وعبر كل شيخ من المشايخ عن أمانيه ورغباته، ولما جاء دور الشيخ شرف الدين قال: "أمنيتي أن لا يبقى لي رسم ولا عين في هذه الدنيا، ولا في الدنيا الأخروية".

ومرة قال: "أنا فريسة لتلبيس الشيطان، لا أثر للإسلام عليَّ".

وقد كان في ذلك مصداقاً لما ورد في الحديث الشريف.

www.abulhasanalinadwi.org

وكان دائماً يظهر التأسف والندم على حاله، ويتحسر على تقصيره، ويغلب عليه الخوف والخشية من الله تعالى، قال في أحد مجالسه: يقول أحد العارفين: "أقسم بالله، أقسم بالله إن البكاء على النفس والندم أحب إلى الله من صوت آخر، فعلى سالكي هذا الطريق وعلماء هذا الدين أن يقتدوا بالشيخ أويس القرني في البكاء على النفس، ومن لا ينوح ولا يبكى على ما يصدر منه من تقصير ولا يعول عليه فهو غافل عن القيامة، بل هو ميت، قلبه مفعم بالحسرات، وهو دعى من أدعياء المعرفة، ما هذه الرغبات الكاذبة التي تسود على النفوس، كل شخص يسعى إلى كسب العزة الزائلة، والجاه الدنيوي، وكيف يمكن الجمع بين اتباع الهوى وحب الذات، والسعي إلى لذات الدنيا، وابتغاء العزة، والكرامة ومعرفة الله، أقسم بالله هذا الجمع يستحيل".

وكتب في رسالة له أخرى وهو ينعى على التعارض بين الظاهر والباطن، والقول والعمل، يقول: "إذا كنت على باب مولاك عليك أن تطهر نفسك من سائر الدعاوي، فإنك وإن حليت نفسك بأرفع الحلى وزينت رأسك بأفضل الأكاليل الملكية لا تزال تراباً، فإن التراب يزول بقليل من الماء، ولكن الحقيقة لا تزول".

ويقول في رسالة أخرى: "أنا عبيد من عبد الدنيا، وأسير الرغبات والعادات، تأسرني اللذات، وتسودني الرغبة، واتباع الهوى، ففي مثل هذه الحال كيف أدعى أني من عباد الله تعالى، فإن الادعاء بالتوحيد في مثل هذه الحال لا يزيد عن جرأة".

وكان نتيجة غلبة هذه الحال أنه كان لا يتأثر بالمدح والذم،

www.abulhasanalinadwi.org

وقد وصف حاله أن أهل المعرفة لا يتأثرون بمدح الخلق ولا بهجائه، وتكذيبه و لا يضرهم ذلك، فإن مدح الخلق وذمه سواء عند الأولياء، فليس الخير ما يعتبره الخلق خيراً، وليس الشر ما يعتبره الخلق شراً، بل الخير والشر ما هو خير وشر عند الله تعالى، ولذلك كان يكره الكرامات التي تذكر في ذكر الأولياء، وما صدر منه شيء يدل على الكرامة كان يبتدر إلى تأويله وشرحه، وكان لا يعجبه المدح وذكر مناقبه، يقول صاحب "مناقب الأصفياء": كانت تصدر منه كرامات كثيرة، ولكنه دائماً يبدي كراهيته ونفوره من ظهور الكرامات، فإذا ظهر منه شيء كان يبدي عجزه، ويظهر أنه لا شيء، وكان في ذلك العهد الذي يعتبر عهد كرامات الأولياء، وكان الناس يعظمون من تصدر منه كرامات، وكان يعتبر ظهور الكرامات دليلاً على علو مرتبة صاحب الكرامات.

علو الأخلاق:

وكان من سمات الشيخ شرف الدين حرصه الشديد على الاتصاف بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، يقول في إحدى رسائله: "إن شعار أهل العلم والطريقة اتباع الشريعة في أعمالهم، واتباع السنة السنية في الأخلاق، والذي لا يحقق الشريعة ليس له من الطريقة شيء".

ويقول في رسالة أخرى: "كل من كان راسخاً في اتباع الشريعة يكون راسخاً في الخلق، وكل من هو راسخ في الخلق هو أقرب إلى الله وأحب إليه، فإن الخلق الجميل هو ميراث آدم عليه السلام، وعطية ونعمة من الله تعالى، فعلى المؤمن أن يكون حسن

www.abulhasanalinadwi.org

الخلق، وحقيقة حسن الخلق اتباع أحكام الله تعالى والاقتداء بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته، فإن سائر أفعال وحركات سيد الكون ـ عليه أفضل الصلوات والسلام ـ كانت محبوبة لدى الخلق والخالق، وهي سنة حسنة، وكل من يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم عليه أن يقضى حياته كلها اتباعاً لأسوته".

مؤلفاته :

راحة القلوب، إرشاد الطالبين، إرشاد السالكين، رسالة مكية، معدن المعاني، لطائف المعاني، إشارات مخ المعاني، خوان بر نعمت، تحفة غيبي، رسالة در طلب سالكان، ملفوظات، وزاد سفر، عقائد شرفي، فوائد مريدين، بحر المعاني، صفر المظفر، كنز المعاني، كنز لا يفنى، مونس المريدين، شرح آداب المريدين.

وله مؤلفات أخرى ضاعت، إلا أن مجموعة رسائله نالت قبولاً عاماً، وهي لا تقل تأثيراً، عن رسائل الإمام أحمد السرهندي، ولاتزال تحمل تأثيرها على القلوب.

نبذة من رسائله :

يقول الشيخ شرف الدين في رسالة :

"عندما تتلاطم أمواج المغفرة والتكريم في بحر رحمة الله تعالى تنعدم المعاصي والخطايا، وتفنى كلها وتنقلب العيوب والنقائص فضائل وكمالاً، ذلك لأن الخطايا والمعاصي حادثة وفانية ورحمة الله عزوجل لم تزل ولاتزال، فكيف يقاوم الحادث الفاني الرحمة الأبدية الباقية، إن هذه القبضة من طين لا تعتمد إلا على هذه الرحمة، ولو لا ذلك لم يكن لكساء الوجود المظلم وذرَّة من طين

www.abulhasanalinadwi.org

نجس أن تطمح إلى أن تخطو بقدمها على حاشية بلاط مالك الملك" .

ويقول :

"يا أخي إن باب الفضل والكرم مفتوح ، والمائدة ممدودة فلا تتأخر ، وأدرك نفسك ، ما للإنسان وما لمطالبه ، ولكن كرمه وجوده الذي لا نهاية له ، لا يحرم المالك ، ولا المملوك ، ولا الغني ، ولا الفقير ، مثل الشمس تطلع من مشرقها ولا يقدر الناس ولو أجمعوا وتظاهروا أن يقبضوا على ذرة منها ، ولكن لسخائها الفياض وجودها الجاري ، كما تطلع على قصر السلطان وبيوت الأمراء كذلك ترسل أشعتها إلى أكواخ الفقراء والمساكين ، فلا تنظر أيها الأخ إلى الماء والطين ، بل انظر إلى هذه العزة والتكريم إذ يقول : **﴿يحبهم ويحبونه﴾** ويقول **﴿الله ولي الذين آمنوا﴾** ويقول في موطن آخر : **﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾** ، هذه المكانة والتكريم الذي وفقت له لم يتيسر للملائكة المقربين ، نعم الملائكة المقربون بريئون طاهرون مقدسون مسبحون ، ومحمّدون ، يملكون أرواحاً مرفرفة ، ولكن قصة الماء والطين قصة أخرى عجيبة" .

ويقول في رسالة :

"إن الخلائق الأخرى ما سوى الإنسان لا تعرف للحب معنى ، فليس عندها طموح ولا همة عالية ، وإن ما تعرفه من لون واحد للملائكة ، وصفة واحدة إنما مرجعه أنهم لم يخاطبوا بحديث الحب ، وما تراه في دروب الناس من وهاد ونجاد مرجعها إلى طبيعة الحب ، فمن شم رائحة الحب فعليه أن يسلم على السلام تسليم الوداع ، ويودع نفسه ، فلا يحتمل الحب إلا الفناء ، وعندما ارتفع نجم

www.abulhasanalinadwi.org

قدر آدم وعلا مكانه ضج الكون، وامتلأ صراخاً واضطراباً وقال القائلون لقد صرف النظر عن عبادتنا وتسبيحنا وتهليلنا لآلاف السنن، وأكرم هذا الهيكل من تراب الذي سمى آدم، وفضل علينا، فنودوا أن لا تروا إلى شكله الطيني، وانظروا إلى جوهره الطاهر الذي وضع فيه فقد أشعلت فيه نار الحب "يحبهم ويحبونه".

ويقول:

"لقد خلق العرش وأسنده إلى المقربين، وخلق الجنة، وفوض حجابتها إلى رضوان، وخلق النار، ووكل بها المالك، ولكنه لما خلق قلب المؤمن قال إنه بين أصبعي الرحمن، فلو كان هناك شيء أثمن وأغلى من القلب لوضع درة معرفته فيه، وهذا معنى ما قيل: لا تسعني أرضي وسمائي إنما يسعني قلب المؤمن، فلا السماء مؤهلة لمعرفتي، ولا الأرض تحتمل ذلك، إنما هو قلب المؤمن حمل هذه الأمانة، وعندما تجلى الرب على الجبل جعله دكاً وإنه يتجلى على قلب المؤمن ثلاثمائة وستين مرة كل يوم، وهو يقول: "هل من مزيد".

ويقول:

"سفيه وأحمق ذلك الذي يظن أن الشريعة تطالب الفرد بالتجرد من الرغبات والصفات البشرية، فلم يتفطن إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنما أنا بشر" أرضى وأغضب، وكان يظهر أثر الغضب على وجهه ولذلك مدح الله، "الكاظمين الغيظ" ولا يمدح أولئك الذين فقدوا الغضب والغيظ".

ويقول:

"الكرامة" صنم والذي يعبد الصنم مبغوض ممقوت فإذا هجر

www.abulhasanalinadwi.org

الصنم وتبرأ منه أصبح محبوباً وصنم العارفين "الكرامة" فلو رضوا بالكرامة واطمأنوا بها كانوا محجوبين معزولين، ولو تبرأوا منها ولم يرضوا بها كانوا واصلين مقربين، إن الزهاد يتمنون الجنة والفردوس الأعلى، أما العشاق المتيمون فإنهم في متعة وراحة في قصر السجون، وعندما تظهر الكرامة على يد بعض أوليائه يزيد فيهم الخشوع والخضوع والتواضع، وتزداد عندهم الخشية والضراعة".

ويقول:

"إن من أفضل الأعمال لسالك طريق المعرفة خدمة الناس، ففيها من الفوائد والفضائل ما لا توجد في أي طاعة وعبادة، فهي تميت النفس الأمارة بالسوء، وتجرد العبد من الفخر والكبرياء، وتخلق فيه المسكنة والتواضع، إن الخدمة تهذبه وتؤدبه وتزين خلقه، وتعلمه السنة، وتعرفه بالطريقة، وتمحو ظلمة النفس وكدورتها، وترفع ثقلها و وزرها، وتجعل الإنسان خفيف الروح، لطيف المعشر، وتنير ظاهره وباطنه، هذه فوائد الخدمة، سأل شخص مربياً عارفاً: كم طرقاً تؤدي إلى الله تعالى، قال: إنها مثل الموجودات وذرات الكون، وليس فيها أدنى وأقرب إلى الله من إراحة القلوب، وقد وصلنا عن طريقها إلى الله".

ويقول:

"إن من لا يتبع الشريعة في أمور الطريقة، محروم من كل فائدة، هذا مسلك الملحدين الذين يقولون بأنها تغني عن الشريعة، يقولون إذا انكشفت الحقيقة فلا حاجة للشريعة، لعنهم الله، إن صلاح الظاهر بدون صلاح الباطن نفاق، وإن صلاح الباطن بدون

www.abulhasanalinadwi.org

صلاح الظاهر زندقة، والاكتفاء بظاهر الشريعة بدون تزكية الباطن عيب ونقص، والقناعة بإصلاح الباطن بدون الأخذ بظاهر الشريعة هوس وأمل فارغ، الظاهر مرتبط دائما بالباطن، لا يستطيع أحد أن يفرقهما".

ويقول:

"إن نفسا واحدا لنبي أفضل من عمر الولي كله، فما هو مبدأ النبي هو منتهى الولي، سئل بايزيد البسطامي: ماذا تقول في الأنبياء؟ قال: من نحن حتى نتكلم فيهم، وكما أن مرتبة الأولياء فوق إدراك العامة من الناس، كذلك مرتبة الأنبياء فوق إدراك الأولياء، الأولياء مسابقون، مسارعون على آثار الأنبياء، والأنبياء يطيرون ويحلقون في الفضاء، فأنى يدرك الماشي في الأرض، الطائر في السماء"[1].

ويقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي عن رسائله:

"إن رسائله مرآة لعلومه وكماله، وهي مجموعة نادرة المثال، ليس في مؤلفات العصر الذي كتبت فيه، بل تمتاز وتحتل مكانة خاصة في التراث الإسلامي للمعارف والحقائق، في التاريخ، وتمتاز هذه الرسائل بعمق العلم وندرة البحث والتحقيق، وحل العقد والمشاكل، والتعبير عن التجارب الشخصية والأذواق السليمة، والابتكار والفكر الرصين، وإبداع البيان، والفهم الصحيح العميق للكتاب والسنة، والبيان المبدع لمقام النبوة وحرمتها وعظمتها، وحماية الشريعة، والنوادر واللطائف المحيرة للعقل، والمثيرة

[1] – كانت هذه الرسائل باللغة الفارسية، نقلها إلى العربية الأستاذ سلمان الحسيني الندوي، وكيل كلية الشريعة وأصول الدين لدار العلوم لندوة العلماء لكناؤ، الهند ..

www.abulhasanalinadwi.org

للوجدان، وشرح مصالح الشريعة، بأسلوب لطيف مفهوم، وإني حسب دراساتي واطلاعي على المكتبة الإسلامية أستطيع أن أقول إنه لا نظير لمثل هذه الرسائل في المكتبة الإسلامية بكاملها إلا رسائل مخدوم شرف الدين، والإمام الرباني أحمد السرهندي.

ويعرف من مطالعة هذه الرسائل مدى ما وصل إليه علم علماء الإسلام وفكرهم، ولا تمتاز هذه الرسائل بالرسوخ في العلم، وبيان المعارف، والنكت العلمية فحسب، بل إنها تمتاز بجودة الأسلوب، وحسن الأداء للمعاني، والبيان المبدع، وقوة التعبير، وتستحق بعض قطعها أن تنال مكانة في أروع نماذج الأدب في العالم، وتمثل الأدب العالي"[1].

[1] – تاريخ دعوت وعزيمت ج ٣ للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي.

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

خاتمة

هذه مقتبسات قليلة من كلام أهل القلوب وعددهم لا يحصى، أكثر تأثيراً من كلام الأدباء المعروفين الذين نقلت عنهم الإنتاجات الأدبية الصناعية التي كانت نسيج خيال، أو فكر، ولم يكن لها صدور من القلب، لأنهم لم يكونوا من أصحاب القلوب وإنما كانوا من أصحاب خيال وفن.

وإلى مثل هذه القطع الأدبية يشير الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي فيقول:

"إن هذه القطع الأدبية الدافقة بالحياة، والقوة والجمال، كثيرة غير قليلة، في المكتبة العربية، إذا جمعت تكونت منها مكتبة، لكنها منثورة مبعثرة في هذه المكتبة مطوية مغمورة في أوراق الكتب، ومؤلفات لا تجدها في ركن الأدب والإنشاء في مكتباتنا العربية، ولا يذكرها المؤرخون للأدب في كتبهم، وتخلو كتب تاريخ الأدب والنقد من ذكرها، إنها تستحق دراسة الباحثين في الأدب وإبرازها لطالب الأدب أكثر من كتابات الأدباء المتفننين المحترفين.

ومثل هذه القطع الأدبية توجد في كل لغة، واللغة الأردية أيضاً غنية بها، نجدها في رسائل أصحاب القلوب، وفي كلامهم في مجالسهم، كالشيخ نظام الدين، والشيخ مجدد الألف الثاني، والشيخ يحيى منيري وأمثالهم[1].

[1] – نظرات في الأدب للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي.

www.abulhasanalinadwi.org

لقد أدخل بعض المؤرخين للأدب بعض أقوال الصوفية في الأدب الصوفي، فجعلوه قسماً مستقلاً للأدب مختلفاً عن الأدب الخالص، ولكن هذه الإنتاجات التي تتعلق بالعصور الأولى تستحق أن تدخل في الأدب الأصيل، بفصاحته وبلاغته، وتأثيره على القلوب، ووجدانيته لا يشوبها مؤثر خارجي.

اللهم إني أسألك علماً نافعاً، وعملاً متقبلاً، ورزقاً طيباً.

www.abulhasanalinadwi.org

فهرس المحتويات

الرقم	المحتويات	الصفحة
١.	كلمة الناشر	٣
٢.	مقدمة الطبعة الثانية	٥
٣.	المقدمة	٧
٤.	مقدمة	١١
٥.	بين يدي الكتاب	١٧
٦.	الإمام الحسن البصري	٢٧
٧.	كلمة حق عند سلطان جائر	٣١
٨.	أقواله	٣٣
٩.	الفضيل بن عياض	٣٧
١٠.	عصره	٣٧
١١.	سفيان الثوري	٣٩
١٢.	عبد الله بن المبارك	٤٠
١٣.	الفضيل بن عياض	٤١
١٤.	من كلام الفضيل	٤٨
١٥.	بشر الحافي	٥٣
١٦.	أقواله	٥٦
١٧.	نموذج من رسائله	٥٩
١٨.	الحارث المحاسبي	٦٣

www.abulhasanalinadwi.org

١٩. أقواله	٦٥
٢٠. مقتطفات من رسالة المسترشدين	٦٦
٢١. القلب وأهل القلوب	٦٨
٢٢. الجنيد بن محمد البغدادي	٧١
٢٣. وضع القرن الثالث	٧١
٢٤. الجنيد البغدادي	٧٤
٢٥. أقواله	٧٨
٢٦. ما هي الحكمة وما هي علاقاتها	٧٨
٢٧. سمات عباد الله الصالحين	٧٩
٢٨. القناعة	٨٠
٢٩. حقيقة الشكر	٨١
٣٠. لا تأمن نفسك	٨١
٣١. الطريق إلى الله	٨١
٣٢. من هو العاقل	٨٢
٣٣. من يقع في البلاء	٨٢
٣٤. غفلة ساعة تسلب ما كسبه العابد ألف سنة	٨٣
٣٥. متى يتأسف المحب	٨٣
٣٦. لا نجاة إلا باقتفاء آثار الرسول ﷺ	٨٣
٣٧. الخشوع	٨٣
٣٨. الزهد	٨٤
٣٩. أفضل الغنى طاعة الله	٨٥
٤٠. جماع الخير	٨٥

www.abulhasanalinadwi.org

٤١. مقام التوحيد ٨٥
٤٢. الإمام أبو حامد الغزالي ٨٧
٤٣. دراسته ٨٨
٤٤. أسلوب الغزالي ٩٥
٤٥. نماذج من كلامه ٩٥
٤٦. المحبة الإلهية ٩٦
٤٧. لذة معرفة الله ٩٧
٤٨. لذة المناجاة ٩٨
٤٩. أدب الصداقة ٩٨
٥٠. الحلم ٩٩
٥١. الوعظ زكاة نصابه الاتعاظ ١٠١
٥٢. الدين سطران ١٠١
٥٣. الشيخ عبد القادر الجيلاني ١٠٣
٥٤. نسبه ١٠٣
٥٥. دراسته وعلمه ١٠٣
٥٦. حثه على التفقه قبل التزهد والانقطاع ١٠٧
٥٧. قصه لشعر التائبين ١٠٧
٥٨. كراهيته لعلم الكلام ١٠٧
٥٩. مكانته وخلقه ١٠٨
٦٠. منهجه وتأثير كلامه ١٠٩
٦١. مختار من كلامه ١١٠
٦٢. أقواله ١١٣

www.abulhasanalinadwi.org

٦٣. التواصي بالخير ١١٣
٦٤. الابتلاء ١١٤
٦٥. خصال الشيخ ١١٥
٦٦. نموذج من شعره ١١٦
٦٧. تنبيه ١١٦
٦٨. عبد الرحمن ابن الجوزي ١١٩
٦٩. تأثير وعظه ١٢٢
٧٠. أسلوبه ١٢٣
٧١. نماذج من كلامه ١٢٤
٧٢. الغرور بالدنيا ١٢٤
٧٣. الإفراط في الشهوات ١٢٥
٧٤. علاج البلايا ١٢٦
٧٥. سبل النجاة ١٢٦
٧٦. تدارك الماضي ١٢٧
٧٧. قيمة الوقت ١٢٧
٧٨. رجال لا تلهيهم تجارة ١٢٨
٧٩. قوة الإرادة ١٢٩
٨٠. التوسط في المعاملة ١٢٩
٨١. بين المتعة والخوف ١٣٠
٨٢. مناجاة ١٣٣
٨٣. التجلد للأمور ١٣٤
٨٤. طريق النبوة الطريق الأمثل ١٣٤

www.abulhasanalinadwi.org

٨٥. أساس البدع	١٤٠
٨٦. علو الهمة	١٤١
٨٧. دعاؤ المنكسرين	١٤٦
٨٨. آثار الأدب	١٤٦
٨٩. مصنفاته	١٤٨
٩٠. وفاته	١٤٨
٩١. جلال الدين الرومي	١٤٩
٩٢. مولده ونشأته	١٤٩
٩٣. التدريس والوعظ	١٥٠
٩٤. اتصاله بالشيخ شمس الدين التبريز وتغير حالته وانقطاعه عن التدريس	١٥١
٩٥. في تربية الشيخ شمس الدين التبريز	١٥٢
٩٦. غيبة شمس الدين وغلبة الحزن والوجد على فراقه	١٥٣
٩٧. وفاته	١٥٥
٩٨. مزاياه الشخصية	١٥٥
٩٩. عاطفته	١٥٥
١٠٠. مولفاته	١٥٦
١٠١. نماذج من كلامه	١٥٧
١٠٢. العقل الإيماني والعقل الجسماني	١٥٨
١٠٣. المعرفة الحقيقية لا تتحقق إلا بتزكية النفس	١٥٩
١٠٤. الموت انتقال من مرحلة إلى مرحلة	١٥٩

www.abulhasanalinadwi.org

١٠٥. موت العارفين غير موت الجهلاء	١٦٠
١٠٦. الشيخ نظام الدين أولياء	١٦٣
١٠٧. الشيخ فريد الدين مسعود الأيودهني	١٦٤
١٠٨. نموذج من كلامه	١٦٥
١٠٩. إقبال الدنيا عليه ونفوره منها	١٦٧
١١٠. العلم والعقل والحب الإلهي	١٦٨
١١١. تحرق القلب ونفي الذات	١٦٩
١١٢. علوم الأنبياء والأولياء	١٦٩
١١٣. من يذم الدنيا أو يمدحها	١٦٩
١١٤. ثلاثة طرق لتلاوة القرآن	١٧٠
١١٥. فضل العلم	١٧٠
١١٦. الاشتغال بأمور الدنيا لا يحول في طريق السالكين	١٧١
١١٧. حقيقة ترك الدنيا	١٧٣
١١٨. الطاعة لها قسمان	١٧٢
١١٩. الكشوف والكرامات حجاب	١٧٢
١٢٠. سلوكه مع الأعداء	١٧٣
١٢١. نقطة اتصال بين الأغنياء والفقراء والحكام	١٧٤
١٢٢. العلامة ابن تيمية	١٧٩
١٢٣. مولده ونشأته	١٨٠
١٢٤. ابن تيمية والسلوك والإحسان	١٨٢
١٢٥. الزهد عند ابن تيمية	١٨٥

www.abulhasanalinadwi.org

١٢٦. جوده وسخاؤه	١٨٥
١٢٧. شغفه بالعبادة والذكر	١٨٦
١٢٨. نماذج من كلامه	١٨٧
١٢٩. القلب هو الأصل	١٨٧
١٣٠. المحبة وعوامل صلاح القلب	١٨٧
١٣١. قوله في باب العلم	١٨٧
١٣٢. وفاته	١٩١
١٣٣. العلامة ابن قيم الجوزية	١٩٣
١٣٤. مولده ونشأته	١٩٣
١٣٥. زهده وعبادته	١٩٤
١٣٦. شغفه بالعلم	١٩٥
١٣٧. أهم مؤلفاته	١٩٥
١٣٨. تلامذته	١٩٦
١٣٩. وفاته	١٩٦
١٤٠. نماذج من كلامه	١٩٧
١٤١. القلب	١٩٩
١٤٢. النملة	٢٠١
١٤٣. الثعلب	٢٠٣
١٤٤. نماذج من كلامه	٢٠٤
١٤٥. الشيخ شرف الدين يحيى المنيري	٢١٣
١٤٦. مولده ودراسته	٢١٥
١٤٧. كلامه	٢٢٠

www.abulhasanalinadwi.org

١٤٨. مزاياه الشخصية	٢٢١
١٤٩. إنكار الذات	٢٢١
١٥٠. علو الأخلاق	٢٢٣
١٥١. مؤلفاته	٢٢٤
١٥٢. نبذة من رسائله	٢٢٤
١٥٣. خاتمة	٢٢٧
١٥٤. فهرس الكتاب	٢٢٩

www.abulhasanalinadwi.org